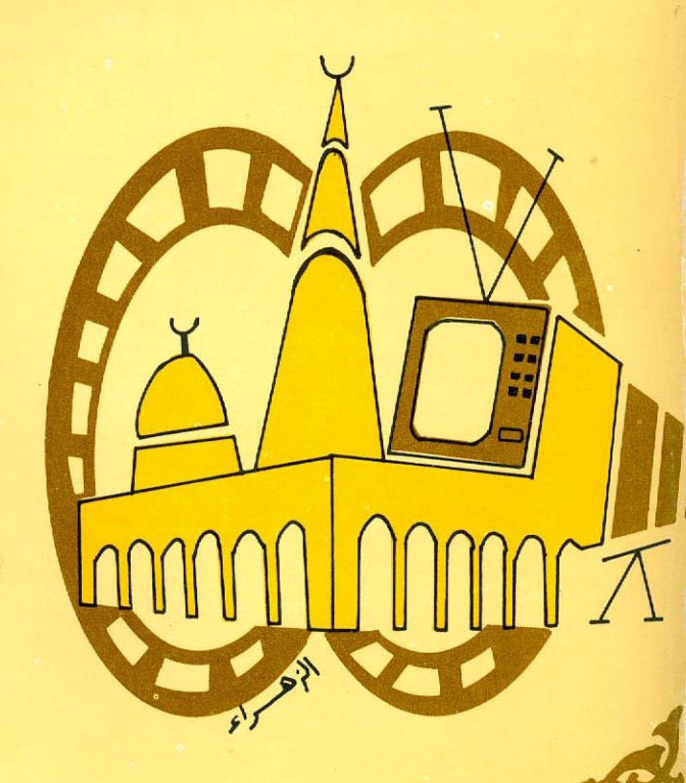


تأليف
مروان كجك

الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون



نشر وتوزيع
دار الكلمة الطيبة
القاهرة

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م

الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م

الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم . أما بعد :

فقد كان لمشكلة التلفزيون ، والفيديو فيما بعد ، وما لهما من الآثار الضارة المبرحة على الأسرة المسلمة أثر قوي في توجهي نحو البحث في هذه الآثار ، والتنبيه إليها ، والتحذير من أخطارها التي تتسلل برفق وتؤدة إلى النفس ، دون أن يحس المرء لها دبيباً أو يتنبه لخطرها قبل مرور وقت قد يطول كثيراً مما لاينفع بعده ندم .

إن آثار التلفزيون والفيديو لا تصيب الأسرة المسلمة فحسب ، ولكنها تنشب أظفارها في كل نفس تتعرض للمشاهدة ، إلاّ أن الذي يعنيني بحق الأسرة المسلمة لأنها المثال الذي على الإنسانية أن تنسج على منواله لتحقيق خلافة الله في الأرض ، فإذا انصلحت هذه الأسرة كانت القدوةَ الحسنةَ لكل أسرة في العالم .

ولما كانت الأخطار الناجمة عن التلفزيون والفيديو جدية تستتر بأثواب براقة وتقبع خلف شعارات خادعة ، فقد كان لزاماً على المسلمين أن يعوا موقعهم في هذه الحياة ، ويكتشفوا ما يدبّر لهم من خلال أجهزة الإعلام العالمية والمحلية مما يفسد عقائدهم ، وينزع الخير من قلوبهم ، واليقين من صدورهم ، والوقار من مسلكهم .

وقد تنبهت بفضل الله ، منذ مدة للآثار المدمرة للتلفزيون على الرغم مما

يلف برامجه من الجاذبية حيناً ، والجدية والدعوة إلى الخير في أحيان أخرى ، فلم تغمض عيني آيات القرآن المكتوبة التي ترافق تلاوة القارئ التلفزيوني ، عن آثار الرقص الماجن الذي يقدم على أنه فن رفيع يرقى بالذوق ، وينهض بالهمم !! بل كان ذلك دعوة إلى التفكر في هذا الخلط الشائن بين الخير والشر في جهاز واحد يتوجه إلى المشاهد نفسه ! إن هذا بلا شك هزء بالإنسان وتشكيل شائن لشخصيته . فما معنى أن تتوالى البرامج متوزعة الدعوة إلى الخير والحث على الشر ؟ وما نتيجة هذه التربية التي تخلط بين الخير والشر وتمزج بينهما ؟

لقد أثار انتباهي إلى خطر أجهزة الإعلام على دين المرء وسعادته حادثتان :

الأولى : كانت في صيف عام ١٩٦٧ عندما كنت أقيم في مدينة حمص ، وقد كان يزورنا أحد الأصدقاء لمشاهدة التلفزيون ، وهو متزوج وله أولاد . وفي إحدى المرات كان يرنو إلى المذيعة التي كانت تختتم البرامج ، فحدق فيها طويلاً واتجه إلينا قائلاً : بالله عليكم أهذه امرأة ، وأم فلان (يعني زوجته) امرأة ؟!!!

الثانية : كانت في عام ١٩٧٤ عندما كنت أقوم بالتدريس في ثانوية العروبة في القامشلي.ففي نهاية ذلك العام الدراسي ، وقد انقطع معظم الطلاب عن المدرسة ، بسبب الانتهاء من شرح المنهاج ، وبينما كنت أجول بين الطلاب في قاعة الدرس أجيب عن استفساراتهم وأسئلتهم لفت نظري أن طالباً وزميله كانا يغلقان الكتاب كلما اقتربت منهما ، ولما تكرر ذلك منهما دخل في نفسي أن هناك شيئاً خارجاً عما نحن فيه يستحوذ على اهتمامهما ، فعمدت إلى خطف الكتاب من بين أيديهما ، ولما فتحت الكتاب وجدت داخله كتاباً آخر . تصفحت هذا الكتاب فإذا هو كتاب « دعارة » جاء في

مقدمته دعوة حارة إلى الشباب العربي ليمارس الزنا « الجنس » في الشوارع والأزقة والحدائق ولينطلق إلى مصاف الأمم الراقية . وبعد المقدمة تأتي الصفحات المصورة التي تشرح طرق الشذوذ الجنسي ، وتحث على تقليدها لأنها عنوان الحرية الإباحية ، والشيوعية الجنسية .

هاتان الحادثتان لم تكونا وحدهما اللتين نبهتاني إلى خطر وسائل الإعلام وأثرها السيئ عندماتمتلكها الأيدي القذرة ، وإن كانتا من أشد الحوادث تنبيهاً ودعوة إلى اليقظة . ولا أزعم لنفسي أنني الوحيد الذي يحس ويرى هذه الأخطار الجسيمة المحيطة بنا من كل جانب ، والمدبرة تدبيراً ذكياً بحيث لا نتنبه ، في حالات كثيرة ، إلى ما وراءها من مقاصد وأهداف .

ولكن الإحساس وحده لايكفي وإن كان شيئاً طيباً ودليلاً على الاستعداد للتحرك الإيجابي نحو الاستماع للحق ، فلا بد من الانطلاق للعمل تصدياً للشر وإبعاداً له عن ساحتنا وانتصاراً للخير وحياة بمقتضاه وتثبيتاً له في أرضنا .

وعند انتشار أجهزة التلفزيون في سوريا بسبب عدوى التقليد ، وبعد إقامة محطات تقوية البث التلفزيوني هنا وهناك قررت بعد الزواج ألا يدخل التلفزيون بيتي ، على الرغم من أن الأقارب والجيران وكثيراً من الأصدقاء والمعارف قد حل التلفزيون بينهم على الرحب والسعة وعلى الرغم من « نصيحة » الأهل والأصدقاء باقتنائه تسلية للصغار وقتلاً للفراغ وحرصاً على فوائده ومع ذلك فقد كنت أشاهد وأفراد أسرتي بعض برامجه عند أقاربنا أو أصدقائنا بالمصادفة حيناً وبالقصد حيناً آخر ، وقلت لنفسي : بعض الشر أهون من بعض ، فهذا أفضل وأقل خطراً من أن يساكننا ونساكنه . إلا أن إحساسي بخطر برامج التلفزيون على أفراد الأسرة جميعاً كان يزداد يوماً بعد يوم حتى غدا هذا الإحساس اتجاهاً لديّ أمتلك البرهان على قوته وموضوعيته

بكثير من نتائج آثاره التي ابتدأت تظهر ملامحها في سلوك وتطلعات كثير من الناس الذين كنت أخالطهم من أقرباء وأصدقاء كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً .

وابتدأت أطرح المسألة في المحيط الذي أحيا فيه وبين الأهل والأصدقاء ولكم كنت أتألم عندما كنت أجد أجهزة التلفزيون هذه في بيوت كثير من الناس الذين كانوا يظهرون للناس دعاةَ حقٍ ومعلمي خير ، بل مما كان يزيدني ألماً أن خطباء يعتلون منابر المساجد ، وأئمة يصلون بالناس ، قد ركنوا إلى برامج التلفزيون يمتعون فيها أبصارهم ، ويتيحون الفرصة لنسائهم وأولادهم للغوص في أوحال اللهو والدنس ، ويدعونهم فريسة برامج آثمة تدفن الحياء وتستنبت الشر ، وتنحرف بالهوى ، وتساند الشيطان ، فقد أخبت القوم للتلفزيون وكانوا قدوة سيئة ومثالاً مخجلاً للذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

وعند إقامتنا في مصر في أواخر عام ١٩٨٠ م ، كان حظنا أن نسكن في شقة مفروشة فيها جهاز تلفزيون معطل فقلت الحمد لله على تلفزيون لا حراك به . غير أن آثار تلفزيون الجيران ، أصحاب الشقة ، لم تدعنا فقد كانوا يدعون أطفالنا « للفرجة » على بعض البرامج .

وازداد تعلق الأطفال بالتلفزيون وصاروا يلحّون عليّ للقيام بإصلاح الجهاز المعطل ، غير أن الجهاز كما يبدو قد أدى مهمته ولم يعد قابلاً للعمل فما كان من أصحاب الشقة إلا أن استجابوا لرغبة الأطفال ومنحوا الشقة جهازاً جديداً بعد موافقتي وبعد أن أبدى أطفالنا تعهدهم بمشاهدة البرامج الجيدة وإغلاقه أمام البرامج السيئة ، وقلنا : لتكن تجربة . وفعلاً نفذ الأولاد تعهدهم ولكن إلى فترة قصيرة . فقد كانت البرامج الأخرى تجرهم إليها شيئاً فشيئاً حتى غدوا متابعين نشطين لمختلف البرامج !!

وكان من نتائج ذلك أن كفوا عن المطالعة إذ صرفهم التلفزيون عنها ، وهذا دعَّم رأيي في ضرر التلفزيون من خلال هذه التجربة .

وعند انتقالنا إلى شقة أخرى مفروشة أيضاً تبين لي أن ليس فيها تلفزيون فحمدت الله على ذلك ، وهكذا لم يجد الأطفال أمامهم سوى المطالعة والقراءة في قصص ومجلات الأطفال . غير أنناوجدنا أنفسنا في حرج شديد عند زيارة أقاربنا من سوريا فاستجبنا لرغبتهم في تأمين جهاز مدة زيارتهم لنا وذلك بسبب أشواقهم لمشاهدة البرامج المصرية التي طبقت شهرتها آفاق بلاد العرب . وقد حدث هذا الأمر مرتين خلال صيفين متتاليين . وقد بدت الأضرار من جديد في انصراف الأولاد عن المطالعة أيضاً ؛ ولذلك فقد صممنا على الإحجام عن دخول التلفزيون نهائياً إلى البيت ، فعند زيارة الأقارب مرة أخرى لنا لم نحضر جهازاً ، ولم نشعر بالحرج هذه المرة فقد كنا وصلنا إلى القناعة التامة بضرر ذلك ، وهذا ما أتاح لنا فرصة أكبر للتمتع بزيارتهم لنا ، فأفدنا وأفادوا من الأوقات التي كانت تضيع سدى في التسمر أمام الشاشة في الزيارتين السابقتين .

وعند بداية التفكير في هذا البحث نشطت باحثاً عن مصادر تساعد في دراسة الموضوع ؛ فوجدت في ذلك صعوبة لقلة المصادر باللغة العربية التي تتحدث عمّا أنا مشغول فيه ، حتى أن مكتبة كلية الإعلام في جامعة القاهرة وجدتها فقيرة في الكتب التي تتحدث عن ذلك ، وكذلك دار الكتب المصرية (الهيئة العامة للكتاب) التي تكاد تخلو من كتاب جاد في البحث في آثار التلفزيون السلبية . وطوَّفت في المكتبات والمعارض في القاهرة ، واتصلت ببعض أساتذة كلية الإعلام والتربية حتى يسَّر الله لي بعض المصادر التي تعينني في متابعة البحث .

وقد خطر ببالي عدد من العناوين التي تصلح سمة للبحث فوجدت أنسبها

هـذا العنوان : (الأسرة المسلمـة أمـام الفيـديـو والتلفـزيـون) لثقتي بـأن خير الحديث في هذا الشأن أن نتوجه به إلى الأسرة المسلمة ، وإن كنـا لنريـد الخير لكل الناس كما علمنا ديننا ، إلا أن مـا وصلت إليـه الأسرة المسلمـة من الركون إلى الفيديو والتلفزيون دفعني إلى توجيه هذا البحث إلىأهلي وأبناء عقيدتي فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

إذن فحـديثي ليس موجهـا إلى سلطـة حكوميـة ، بـل إلى سلطـاني الأسرة المسلمة : الأب والأم ، فهما بمقدورهما توجيه الدفة في الأسرة وليس لسلطة مهما عتت أن تقف أمـام إرادة التربيـة الصحيحـة داخـل حجرات البيت ، وليست هنـاك سلطـة في الأرض تملـك حق إجبـار أحـد على امتلاك جهـاز فيـديو أو تلفز يون .

إن آثـار التلفزيون والفيـديو السلبيـة مـاثلـة لكل ذي بصر وبصيرة ، ولا يحتـاج أمر معرفة مـا وراء الإعلام التلفزيوني سـوى الإنصـات لصـوت الحـق ، والاطلاع على نتائج الدراسـات الجـادة في هـذا الموضوع التي يقوم بهـا مسلمون وغير مسلمين في شتى بقاع الدنيا ، ثم رجوع المرء إلى ذاته يتحسس من خلالهـا آثار ذلك في نفسه .

وسيرى القارئ الكريم مدى الآثار السلبية على الفرد طفلاً ويافعـاً وشـابـاً وشيخـاً ، وعلى المرأة والرجل ، في شتى الجوانب التربـويـة والثقـافيـة والعلميـة والاقتصادية وكذلك آثار ذلك على المجتمع كله بصورة عامة .

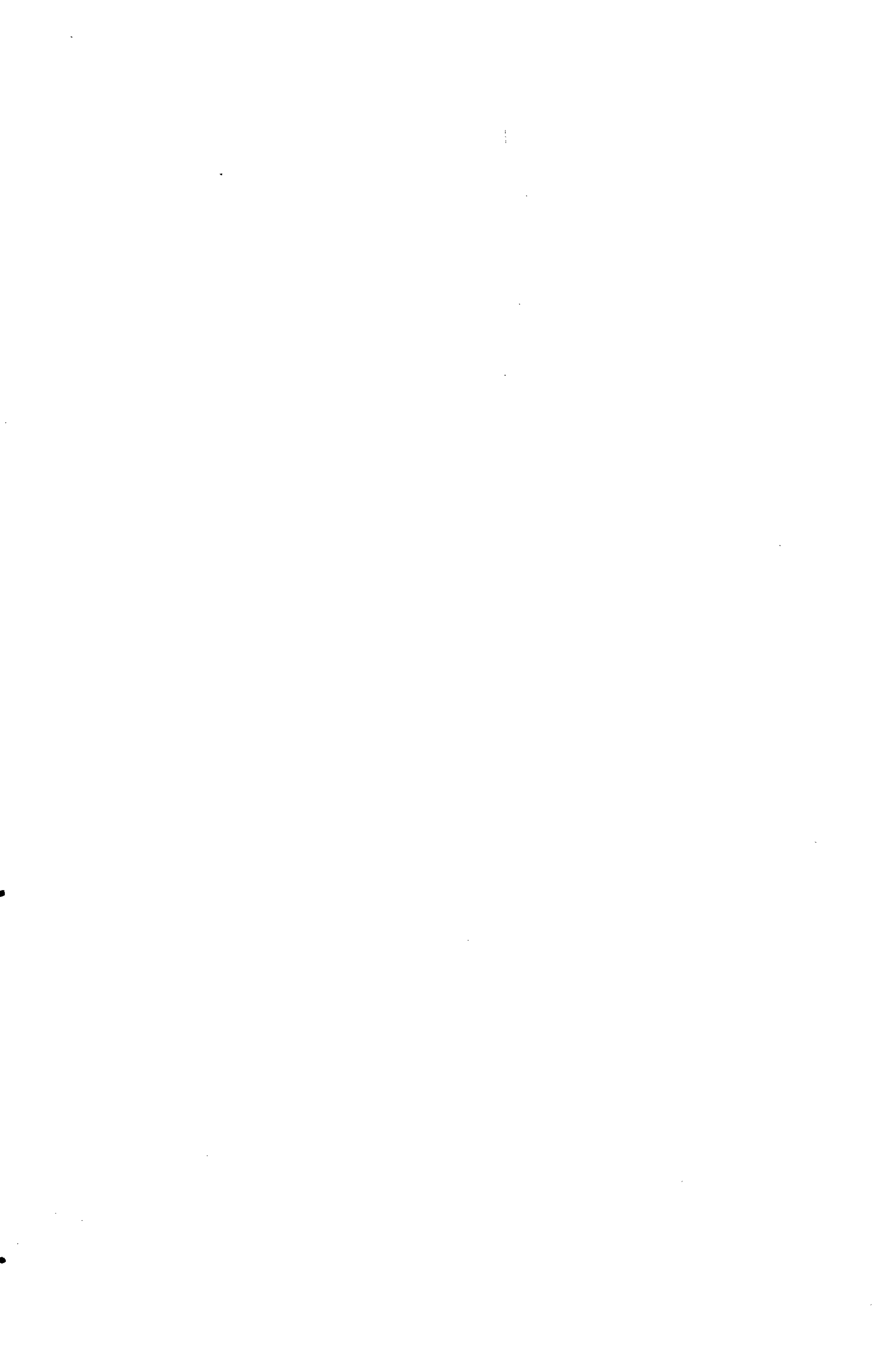
لقد استغرق إعداد هذا البحث مدة تزيد على عـامين اثنين حتى جـاء على صورته التي يراها القارئ بين يديـه ومع ذلـك فـإني لا أزعم لنفسي أنني وفيت الموضـوع حقـه كامـلاً ، ذلـك لأمرين اثنين : أولهما أن قـدرات الإنسـان الفرد محدودة ، وثانيهما مخافة الإطالة المملة ، فـإن وفقت إلى الصواب فيما خـط قلمي فمرجعـه إلى تـوفيـق الله وتسـديـده ، وإن أخطـأت أو قصرت فمن نفسي التي

أرجو لها مغفرة الله ثم معذرة القراء ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

القاهرة في ١٨ رجب ١٤٠٦ هـ .
الموافق ٢٩ آذار (مارس) ١٩٨٦ م .

مروان كجك



مفهوم الإعلام وغايته

تعريف الإعلام :

لم يتفق المفكرون على تعريف دقيق موحد لمفهوم العمل الإعلامي ، إلا أن هناك شبه اتفاق في أساسيات العمل الإعلامي وفي المبادئ والأسس التي يقوم عليها الإعلام ، وهي :

١ ـ الحقائق التي تدعمها الأرقام والإحصاءات .

٢ ـ التجرد من الذاتية ، والتحلي بالموضوعية في عرض الحقائق .

٣ ـ الصدق والأمانة في جمع البيانات من مصادرها الأصلية .

٤ ـ التعبير الصادق عن الجمهور الذي يتوجه إليه الإعلام [١] .

وعلى ذلك فإننا نجد أن أية عملية إعلامية تفقد أحد هذه الأسس أو بعضها فإنها تفتقر إلى ما يجعلها تستحق اسم الإعلام . فما قيمة إعلام لا يعتمد على الواقع إذ يؤازره رجاله على اللعب بالمعلومات التي تُبَثُّ للجماهير ممزوجةً بأهوائهم وتصوراتهم المنحرفة ، وما جدوى إعلام ليس أميناً على تراث الأمة ولا غيوراً على عقائدها ؟ إن إعلاماً كهذا الإعلام لا يبعث في النفس غير الألم ، ولا يساهم إلاّ في الهدم ؛ وهو بذلك لا يرقى إلى أن يستحق اسم « الإعلام » إذا كان تعريفنا للإعلام من منطلق أخلاقي .

وعلى ذلك فإننا نجد الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ ورئيس قسم الصحافة في جامعة القاهرة سابقاً ، يعرّف الإعلام من خلال هذه الأسس فيقول :

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم ـ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٧ .

« إن الإعـلام بمعنـاه السليم هـو تـزويـد النـاس بـالأخبـار الصحيحـة ، والمعلومات الصحيحة ، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعـة من الوقـائع ، أو مشكلـة من المشكلات ؛ فـإذا خلت هـذه العمليـة من الصـدق لم تصبح إعـلامـاً بـالمعنى الصحيـح ، بـل هي نـوع آخر ، كأن يكـون تضليلاً للجمهور أو مؤامرة سوداء ضد هذا الجمهور » [١] .

إلا أننـا نرى أن افتقـاد الإعـلام إلى هـذه الأسس أو بعضهـا لايخرجـه من دائرة الإعلام ، كما لايخرج المـاء من اسمـه تنجُّسُـه وتلوثُـه ، فليس الخلاف على اسم الإعلام بل على مضمونه وأهدافه ومراميه ، فإما أن يكون بنّـاءً ، وإمـا أن يكون هداماً ، وما أكثر ما تستخـدم بعض ملامح الإعلام البنّـاء لستر وتغليف الإعلام الهـدّام ، إمعـانـاً في التضليل واتكاءً إلى مقـالـة حق يُراد بهـا بـاطـل . كذلك فلم يخرج العلم الذي لاينفع من مسمى « العلم » على الرغم من أنه لاينفع بـل قـد يضر وفي ذلـك يقـول رسـول الله ﷺ : « تعـوذوا بـالله من علم لاينفع » [٢] .

وعلى ذلـك فـإن الإعـلام المنحرف هـو إعـلام أيضـاً ولكنـه ضـال مضـلٌ لافتقاده العناصر الأخلاقية التي تجعله مقبولاً ومحترماً وبنـاءً ، وهـذا مـا يـدعو بدوره إلى الإشارة إليه بأصـابع الاتهـام لـه والتحـذير منـه ، والوقوف في وجـه أضاليله ، والإفلات من أحابيله ، واتهامه في أهدافـه لأنـه كثيراً مـا يمزج السُمَّ بالدسم ، والحلو بالعلقم ، والغث بالسمين .

ومن المـؤسف حقـاً أن أكثر القـائمين على شـؤون الإعـلام في معظم بـلاد الإسلام هم ممن لارأي لهم ولا عقـائـد ، ممـا يجعل وسـائل الإعلام التي يقومـون

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام في صدر الإسلام ص ١٠٥ .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد .

على شؤونها تابعة تبعية عشوائية للنظم السياسية فإذا دعا النظام السياسي للاشتراكية كانت وسائل الإعلام أول من يصفق للاشتراكية ويدعو إليها ، وإذا اتجه إلى الرأسمالية أو الشيوعية راحت وسائل الإعلام تختلق المبررات لذلك ، وتقنع القراء بأن الإسلام لا يناقض الشيوعية بل إن المسلمين كلهم يسار ، ومما يزيد الأمر خطورة أن بعضاً من أعلام المشايخ ومغموريهم يقعون فريسة لمثل هذه التيارات بقصد أو بغير قصد [١] .

رجل الإعلام الإسلامي :

إذا كان هذا شأن هؤلاء ، فمن هو رجل الإعلام الإسلامي الذي يؤتمن في عمله على عقيدة الأمة وسلوك أبنائها ؟

إن رجل الإعلام الإسلامي ينبغي أن يكون مسلماً عقيدة ومسلكاً ، ليكون معطاءً للخير ، وليس له من هدف أساسي سوى رضى الله ثم صلاح الرعية ، فلا يُرِي عينه مالم تره ، ولا يسمع أذنه مالم تسمع ، أي لايختلق الحدث ، ولا يتزيد في الخبر ، بل لابد له من أن يكون الصدق لديه نامياً حياً ، وأن يكون دارساً لتاريخ الشرائع السماوية والأرضية ، مطلعاً على أساليب الإعلام وفنونه القديمة والحديثة ، ليختار منها ما يناسب عقيدته وهدفه وموضوعه ، وليكشف ما يدبر لأمته وما يراد بها ، فما أكثر ما تلتبس الأمور على من لا دراية له ، ولا علم عنده مما يجعله أقرب إلى زمرة المغفلين الذين يريدون « تكحيل العين » فيصيبونها بـ « بالعمى » ولا يحسنون الدفاع عن عقيدتهم لقلة بضاعتهم ، وسوء تقديرهم ، وسذاجة تصورهم .

وذلك يستدعي أن تتوفر في رجل الإعلام صفات معينة على رأسها

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ص ٢٣ ، دار اللواء الرياض الطبعة الثانية .

الاستعداد لهذه المهمة إضافة إلى الموهبة الخلاقة ، والخبرة المهنية ، مع الإلمام ببعض فروع العلم وأصوله كعلم النفس الاجتماعي وعلم الاتصال بالجماهير ، وإتقان اللغة القومية إلى جانب معرفة لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الحية ، وكذلك الدراسات الإحصائية وغير ذلك من العلوم والفنون التي تساعد على نجاح العمل الإعلامي ونضوج رجل الإعلام .

إن لرجل الإعلام الإسلامي صفات لابد من اتّسامه بها ، ليتمكن من أداء مهمته الأداء الحسن ، فيساعد الذين يتلقون رسالته الإعلامية على تصحيح مسار العقيدة والفكر ، مبصراً إياهم الأخطار المغلّفة بدعاوي الحق والعدل ، والغيرة الوطنية ، والكفاح ومحاربة الأعداء ، والسعي إلي حياة أفضل في المأكل والملبس والمسكن ، كيلا يقعوا فريسة لهذه الأوهام البراقة التي لا تعدو أن تكون خداعاً أنشأه لفح الإيقاع الكاذب لأحلام لا تعرف سبيلها إلى التحقيق **﴿ كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾** [1] .

وهذه الصفات التي على رجل الإعلام الإسلامي أن يتحلى بها هي :

١ ـ أن يكون ملتزماً بتطبيق المنهج الإسلامي : يطبقه في حياته العامة ، وفي حياته الخاصة ولا يتحول عن ذلك .

٢ ـ الصدق : في نشر الخبر ، وفي كتابة المقال ، وفي الحديث الذي يذاع ، فالكذب لايباح إلاّ في مواطن محدودة كالحرب مثلاً حتى لا تنكشف خطط المسلمين ، وكالحديث بين المتخاصمين ليتم الوفاق .

٣ ـ تحري الحقيقة : فرجل الإعلام الإسلامي هو الذي يقف موقف الدارس للخبر ، العارف لأبعاده .

---

(١) النور ٣٩ .

٤ ـ قوة الحجة : لابد لرجل الإعلام الإسلامي من أن يتمرس بأساليب القرآن الكريم ،والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب الفصحاء .

٥ ـ الحكمة في نشر الخبر : فرجل الإعلام الحكيم هو الذي يدرس في أناة أثر نشر الخبر بعد أن يتأكد من صدقه .

٦ ـ فنية الأسلوب : وذلك بتخير الأسلوب الذي يخاطب به المستمعين .

٧ ـ ألاّ يتهاون في اتخاذ الفصحى وسيلة الأداء التي يعبر بها عن أفكاره ،وآرائه وعن مبادئ الإسلام التي يدعو لها [١] .

مما تقدم نرى أن رجل الإعلام الإسلامي ضرورة في وجود الإعلام الإسلامي ولازمة من لوازمه ، فلا وجود لهذا الإعلام بغير أولئك الرجال ، ففاقد الشيء لايعطيه ، ولذلك عرف الإعلام الإسلامي بأنه تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وتقييم مختلف نواحي الحياة على ضوء من هدي الإسلام ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة متعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته وفهمه للحياة [٢] .

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم نصر ـ الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ص ٣٧ .

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم ـ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٤٧ .

لمحة من تاريخ الإعلام

لم يكن الإعلام وليد عصر من العصور ، أو حضارة من الحضارات ، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات - مهما تفاوتت درجة تقدمه أو تخلفه - كما لا يوجد زمن من الأزمنة قديماً أو حديثاً أو وسيطاً لم يحتل الإعلام مكانة فيه ؛ لأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاكتفاء بأخباره الشخصية فقط ، أو أخبار المجتمع المحدود الذي يحيا داخله كمجتمع القرية أو القبيلة أو الأسرة ، ذلك أنه من الصعب أن تسير الحياة دون أن يتصل الناس بعضهم ببعض .

وهكذا عرفت المجتمعات البدائية الإعلام بأساليبه البسيطة الأولى ، وكان الإنسان يمارس الإعلام بطرق فطرية أملتها عليه طبيعة الحياة التي كان يحياها ، والمستوى الفكري والعقلي الذي وصل إليه ، فلم تحتج هذه الطرق إلى مجهود كبير ، كالحفر على الأشجار والحجارة ، والمناداة في الطرق ، أو من أعلى الجبال والتلال ، وعلى ظهر الدواب أو من أعلى المآذن والمنائر . فقد وجد علماء الآثار في العراق نشرات ترجع إلى سنة ١٨٠٠ ق.م ، ترشد الزراع إلى كيفية بذر محاصيلهم ، وريها ، وعلاجها من الآفات ، وتشبه هذه النشرات إلى حد كبير النشرات التي توجهها وزارات الزراعة إلى المزارعين في الدول المتقدمة [١] .

وهذا يعني أنه إذا كان ثمة مجتمع ، فلا بد له من وسائل تساعده على التطور والتقدم ، ولا يلبث هذا التطور أن يشمل وسائل الإعلام ذاتها ، فقد كان الشكل البدائي للإعلام هو الشائعات ، وبانتقالها من أفواه الناس تتعرض دائماً للتغيير والتزيد ، والتحول والتبدل ، وبهذه الطريقة تتحول الشائعات أحياناً إلى أسطورة ، وتختلط هذه الأسطورة بالتاريخ كما حدث ذلك عند

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم - الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٢ .

المؤرخين القدماء من أمثال هوميروس .

أما الفراعنة في مصر فقد سلكوا طريقاً آخر في الإعلام ـ عدا الشائعات ـ فكانوا يحفرون أوامرهم في المعابد والأحجار المنصوبة في الميادين ، وتجاوز هذا الدور مرحلة الأوامر الملكية إلى مرحلة الأخبار العسكرية والرياضية ونحو ذلك .

وفي روما حاول قيصر أن يصرف أنظار المواطنين عن المشكلات الحكومية إلى الأخبار الخاصة بالرياضة البدنية [١] فكان الجمهور الاغريقي يحتشد في الميدان العام ، وإذا بالسابق الأول يظهر بينهم وهو يلهث من الإعياء بعد أن يقطع مسافة السباق التي بلغت ستة وثلاثين كيلو متراً ، وكثيراً ما كان يلفظ النفس الأخير وهو يعلن هذه النتيجة [٢] وقد كان الاسكندر الأكبر يؤمن بأهمية الإعلام والنشر وطرق التأثير في الجماهير ، فكان يجعل في ركابه طائفة من الشعراء والخطباء والكتاب والمفكرين لإدراكه أهمية التأثير في الناس وخاصة عن طريق الخطابة والمناقشات [٣] .

صور من الإعلام المنحرف :

ما انفك دعاة الانحراف قديماً وحديثاً يعملون جاهدين على نشر انحرافهم ، واستغلال شتى الأساليب والوسائل ليكون لهم جنود وأعوان وضحايا ، فتكاد ألا تخلو العصور ، ولا البقاع من نزعة انحرافية ، لها من يقوم على شؤونها ، ويدير معركتها ، ويوجه سهامها . ولم تسلم ديانات السماء من محاولة الانحراف بها ، وطمس معالمها ، واستغلال اسمها ، وهكذا لم تصلنا اليهودية ولا

---

(١) سبحان الله .. ما أشبه الليلة بالبارحة .. إنه تراث القهر يأخذه طاغوت عن طاغوت .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ١١ .

(٣) الدكتور محي الدين عبد الحليم ـ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٣ .

المسيحيـة إلا محرفـة بعيـدة عمـا أنـزلـه الله على مـوسى وعيسى عليهما السـلام ، لكثرة من ادعى واستغل وانحرف .

ولم يسلم الإسلام من مثل هذه المحاولات الدنيئـة الخبيثـة ، ولولا فضل الله ورحمته بعباده ثم ما كان من جهاد المسلمين وحرصهم على دينهم ، لنالنا ما نال تلك الديانات التي سبقتنـا ، ولاعترى الإسلام مـا اعترى اليهوديـة والنصرانيـة على أيدي المنحرفين والمستغلين أعداء الله . ولم تكن بدعة اليهودي عبـد الله بن سبـأ الـذي تقمص الإسلام وادعى التشيع لعلي بن أبي طـالـب رضي الله عنـه ، فبذر بذلك بذرة الكفر والنفاق والشقاق في طوائف من المنتسبـة للإسلام ومـا يزال المسلمون يعـانون من نتـائجهـا حتى اليـوم ممن يحـاولـون افتراس الإسـلام وهدم بنيانه ، وتقويض أركانه ، وإذهاب ريح المسلمين ، لم تكن هذه البدعـة المدّهنة إلاّ إحـدى هـذه المحـاولات المستمرة للإغـارة على الإسلام في عقر داره ، ومن خلال بنيه وأجياله ، ولكن أمر الله غالب وحكمه نافـذ : ﴿ **يريـدون أن يطفئوا نور الله بـأفواههم ، ويـأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسولـه بـالهـدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولو كره المشركون** ﴾ [١] .

أ ـ الإعلام الفرعوني :

كانت وسائل الإعلام قديماً مناسبة لما عليه البشرية من بطء إيقـاع الحيـاة فأدت دورها ، فاستغلها الطغاة واستخدمها المصلحون . فهامِ المخـادعون أعوان الطغاة وأسيادهم يستغلون وسيلة من وسائل الإعلام في محاربة الحق في أهلـه ، حين ضاقوا ذرعاً بـدعوة الحق التي حملهـا موسى عليـه السلام لقومـه : ﴿ **قـال**

---

(١) التوبة ٣٢ ـ ٣٣ .

الملأ [1] من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون * قالوا أَرْجِهْ [2] وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ [3] .

كان فرعون وملؤه يومئذ يستشعرون العظمة الظالمة ، والكبرياء الغاشمة التي لم تدع فرعون حتى قال : ﴿ **يا أيُّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ [4] وكم كان فرعون غبياً حين حسب أن الحق الذي جاء به موسى من جنس الباطل الذي يرتكز هو إليه . قال فرعون وملؤه : ﴿ **أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى * فلنأتِينَّك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلفه نحن ولا أنت مكاناً سُوىً [5] * قال موعدكم يوم الزينة [6] وأن يُحشر الناس ضحىً* فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى** ﴾ [7] . لقد كانت دعوة الناس إلى مشاهدة ما سيجري إحدى وسائل الإعلام التي لها تأثيرها البالغ بعد أن تناقل الناس أمر موسى عليه السلام ، فهم في شوق إلى التعرف إلى دعوته أو التلذذ بهزيمته وانكساره .

لقد كانت تجربة مُرَّةً لفرعون ، أذهلته واهتز لها عرشه الكاذب ، حين أتاح لموسى عليه السلام هذه الوسيلة الإعلامية على مشهد ومسمع من الناس على قدم المساواة مع سحرته ، ولكن السحرة يدركون بما خبروه في دهاليز خدعة السحر ، أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس سحراً البتة ، فخروا

---

(١) الملأ : أهل المشورة والرؤساء .

(٢) أرجه وأخاه : أخر أمر عقوبتهما ولا تعجل .

(٣) الأعراف ١٠٩ ـ ١١٢ .

(٤) القصص ٣٨ .

(٥) مكاناً سوى : وسطاً أو مستوياً من الأرض .

(٦) يوم الزينة : يوم عيدكم .

(٧) طه : ٥٧ ـ ٦٠ .

سجداً لله وقالوا : ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾[1] .

لم يطوِ فرعون ذيله ، بل تشبث بالباطل الذي صنعه ويُصنعُ له ، فألهب الأرض من حوله ظلماً وجوراً ،وراح يتعقب موسى عليه السلام ومن آمن معه ، لعله يعيد إلى الأبصار صورته التي اهتزت وعرشه التي تزلزل .

ولعل فراعنة العصور التالية قد وعوا الدرس فلم يتيحوا لأصحاب دعوة الحق أن يعرضوا دعوتهم خوفاً من أن تدرك الجماهير الحقيقة فتؤمن بها وتتخلى عن الخضوع لهم ، أو تصديقهم ، فحاكموهم في غيابة السجون ، وظلام المعتقلات ، وأخاديد الوأد .

ب ـ الإعلام الفاطمي[2] :

نهج الفاطميون ـ وهم إحدى فرق الشيعة ـ نهجاً مغايراً للإسلام كما بلّغه رسول الله ﷺ وابتدعوا طائفة من العقائد الدينية الغريبة التي جعلت المذهب الفاطمي شديد الغموض والإبهام وذلك بالقياس إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي يتصف بالوضوح والعلانية .

ولم يكن هدف الفاطميين غير تشويه الدين وتطعيمه بالأباطيل والخرافات والانحراف بهذا الدين عن طريقه المستقيم ومنهاجه القويم فمن عقائدهم أن لكل زمان إماماً ، وأن هذا الإمام يستأثر بالعلم الذي يسمى عندهم (علم الباطن) وأن الإمام ورث هذا العلم أبا عن جدٍ ، وذلك ابتداءً من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وما علي بن أبي طالب إلا وصي محمد ﷺ ، كما كان هارون وصياً لموسى . وعلي بن أبي طالب في اعتقادهم هو رمز

---

(١) طه : ٧٠ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، ص ٥٧ وما بعدها . وانظر كتاب (تاريخ الدعوة الإسماعيلية) للدكتور مصطفى غالب ص (٢٥) وما بعدها ، ط ٣ دار الأندلس .

(العلم الإلهي) وهو العلم الذي يرثه الأئمة من بعده .

ولكن ما هو علم الباطن في زعمهم ؟

إن معناه عندهم هو أن لكل شيء في وجود ظاهراً وباطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ، وعلى هذا فالقرآن نفسه له ظاهر وله باطن ، أما الظاهر فهو ما يفهمه أهل السنة ، وأما الباطن فهو ما اختص بفهمه أئمة الفاطميين ومن اعتنق مذهبهم .

وقد شعر الفاطميون بغرابة أفكارهم هذه على أذهان أهل السنة ، لأن هذه الأفكار غير صادرة عن عقيدة إسلامية صحيحة ، أو تصور واضح ، فوضعوا لأنفسهم نظاماً محكماً من أنظمة الدعاية المذهبية . وخلاصة هذا النظام أنهم قسموا العالم الإسلامي في نظرهم إلى اثني عشر جزءاً ، وسموا كل جزء من هذه الأجزاء اسم (الجزيرة) وجعلوا على كل جزيرة منها رئيساً مسؤولاً ، وأطلقوا على هذا المسؤول اسم (الحجة) ثم جعلوا على جميع الحجج أو رؤساء الجزائر رئيساً كبيراً ، وأطلقوا على هذا الأخير الخطير اسم (داعي الدعاة) ومرتبته تلي مرتبة الإمام مباشرة .

وتيسيراً لفهم هذا النظام الذي أبدعه الفاطميون أخذوا يقرنونه بنظام السنة الهجرية والميلادية فكما أن السنة تنقسم إلى اثني عشر شهراً ، والشهر ينقسم إلى ثلاثين يوماً ، واليوم إلى أربع وعشرين ساعة نصفها لليل ونصفها للنهار ، فكذلك ينقسم الدعاة على نفس هذا النسق أو النظام .

درجة الدعاة :

داعي الدعاة يمثل عندهم السنة .

ورؤساء الجزائر يمثلون شهور السنة .

والدعاة أنفسهم يمثلون أيام الشهر .

وأما الساعات وعددها أربع وعشرون ساعة ـ فتمثل عندهم الدعاة المأذونين ـ أو الدعاة المكاسرين لأن عمل كل واحد من هؤلاء هو كسر العقائد القديمة في عقول الناس لتحل محلها العقائد الجديدة التي يبشر بها الدعاة .

وظائف الدعاة :

أما (الإمام) فهو قطب الرحى من هذه الحركات وغاية الغايات من هذه الدعايات وهو الذي يختار داعي الدعاة أو (باب الأبواب) وهو أعلى مراتب الدعوة الفاطمية لأنه يمثل السَّنَة .

وأما (داعي الدعاة) فله الإشراف على الدعوة في جميع الجزائر أو الأقطار التابعة لها ، ويشترط فيه من الصفات والمؤهلات مالا يشترط في غيره ، ولا غرابة في ذلك فنسبته إلى الإمام كنسبة الإمام إلى الوحي نفسه ، وهو هنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

وأما (الحجة) أو رئيس الجزيرة فله الإشراف على الدعوة في كل جزيرة من تلك الجزر ، وهو الذي يرأس (مجالس الحكمة) في تلك الأماكن وهو الذي يتلو على المجلس ما يريد من تعاليم الدعوة ، وعلى ذلك فمنزلة الحجة من الجزيرة كمنزلة الوالي أو القاضي في الإقليم أو الولاية .

وأما (دعاة الجزيرة) وعددهم ثلاثون ـ فعملهم الرئيسي هو هداية الناس ونشر الدعوة بينهم بكل الطرق المكنه . ومن عملهم كذلك أن يأخذوا على الناس العهد والميثاق في أن يخلصوا للدعوة الفاطمية ، وأن يلقنوهم كذلك قدراً من العلم الفاطمي الذي يتناسب وهذه المرحلة الأولى من مراحل الدعوة .

وأما (الدعاة المأذونون أو المكاسرون) فعملهم الأول هو تشكيك أهل السنة والجماعة من المسلمين في عقائدهم ثم إيهامهم بأنهم في حاجة إلى تصحيح

هذه العقائد ، وما يزال الداعي المكاسر بهذا المسلم السني حتى يـأتي يوم يطلب فيـه هـذا المسلم السني نفسـه إلى الـداعي أن يهـديـه إلى الصـواب في أمر دينـه ومعتقده .

وعلى هـذا فـالخطـوة الأولى في جـذب النـاس إلى المـذهب الفـاطمي هـو تشكيكهم على النحو المتقـدم ، فـإذا تمت هـذه الخطوة بنجـاح ، وهي زعزعـة العقيدة عند المسلم السني بعث بـه الـداعي المكاسر إلى داعي الجزيرة ، فيتلقـاه هذا الأخير بترحاب شديد ، ويلقي عليه دروساً منتظمة في العلوم الفاطمية ، وهي العلـوم التي أطلقـوا عليهـا اسم (علـوم أهـل البيت) والنـاجحـون من المستجيبين لدعاة الجزيرة ينتقلون بعد ذلك إلى القاهرة حيث يسعـدون بلقـاء (داعي الدعاة) ، يستمعون إلى دروسه العالية في العلم الفاطمي .

التشكيك :

ولكن كيف يكـون التشكيـك في العقيـدة وهـو أول مراحـل الـدعـوة كما رأينا ؟ إن طريق الـدعـاة إلى هـذا التشكيـك هو إلقـاء الأسئلـة الكثيرة على الطالب أو المستجيب ، وهي أسئله محيرة بطبعها ، ومـا أكثر الأسئلـة التي من هذا النوع في كل دين وفي كل مذهب . وبهذه الحيرة يتزعزع إيمان الطـالب أو المستجيب الذي يراد وضعه تحت تأثير الدعاية ، فإذا انكسرت عقيدته القديمـة انتهز الداعي المكاسر هذه اللحظة ، وأخـذ عليـه العهـد والميثـاق أن يُقبل على الدعوة الفاطمية بكل قوة وأن يتهيأ لسماع العلم الفـاطمي بصـدق وإخلاص ، وهنا وجب على الدعاة ـ على اختلاف درجـاتهم ومراتبهم ـ أن يكونوا على علم تـام بجميـع المـذاهب أو الفرق الإسـلاميـة الأخرى ، كما وجب أن تتـوافر فيهم صفات كثيرة تنص عليها كتب الدعوة الفـاطميـة ، ومـا دام كل ذلـك شرطـاً أساسياً في الدعاة على اختلاف درجـاتهم فلا مفر للـدولـة من الإشراف الـدقيق على تعليمهم وتأهيلهم لهذه الوظيفة الخطيرة .

معاهد التأهيل المذهبي للدعوة الفاطمية :

وفيها يتم التأهيل للوظائف الكبيرة وكانت تتمثل في :

- القصر الفاطمي .
- المساجد ومن أكبرها الجامع الأزهر .
- دار العلم أو دار الحكمة .

فأما (القصر الفاطمي) و (دار العلم أو الحكمة) فكانت تعقد فيهما (مجالس الحكمة التأويلية) . وهذه المجالس على درجات ، لكل طبقة من المستجيبين مجلس خاص ، ولا يصح لأفراد طبقة منها أن تحضر مجالس الطبقة الأخرى ، ولا بد أن تنتهي هذه المجالس بالمجلس الأعلى ، وهو المجلس الذي تلقى فيه أسرار الدعوة ، بحيث لا يتلقى هذه الأسرار في النهاية إلا صفوة الصفوة ، وداعي الدعاة - أو باب الأبواب - هو وحده صاحب الحق في هذا المجلس الأخير ، ولايصح لداعي الدعاة أن يلقي درساً من دروسه في هذا المجلس إلا بإذن من الإمام وبتوقيعه وبالصورة التي يفهم بها المستمعون أنها صادرة عن الإمام نفسه .

وصف مجلس من مجالس الحكمة في القصر الفاطمي :

نقل الدكتور عبد اللطيف حمزة وصفاً لمجلس من هذه المجالس عن كتاب (أدب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ، وهي أن الداعي يبدأ عادة بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى الأئمة من نسل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم يردف الداعي بشيء من الوعظ والإرشاد ، ثم يأخذ في تأويل آية من آيات القرآن الكريم أو حديث من أحاديث النبي ﷺ ، أو أحاديث عليّ ونحو ذلك ثم يختم مجلسه بالدعاء والصلاة والحمد كما بدأه .

وينعقد هذا المجلس مرتين وذلك في يوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع ، ومن هذه الدروس على سبيل المثال مما كان يدور في مجالس الحكمة من دروس التأويل الصورة التالية :

يبدأ الدرس بإلقاء الآية التالية في قوله تعالى : ﴿ **ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم** ﴾[١] ، ثم يبدأ التأويل المنحرف بالقول : النعيم الذي يسأل عنه الناس حقاً هو (علم الحقيقة) وهو العلم الذي يؤثر في النفوس اللطيفة ، بل هو الاعتقاد في ولاية علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم وهو العلم الذي يعتمد فيه المؤمنون على هذا الوصي العظيم ، وعلى محمد ﷺ .

ثم يمضي الداعي في شرح الآية الكريم بهذه الطريقة الغريبة إلى أن يقول :

(إن الأشكال الجسمية الثقيلة موضوعة على القوى النفسية اللطيفة كما توضع السموات والأرض على قوة إلهية خفية يعبر عنها قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾[٢] وكما يعبر عنها قوله تعالى : ﴿ **رفع السموات بغير عمدٍ ترونها** ﴾[٣])[٤].

ويعقب الدكتور عبد اللطيف حمزة على ما أورده من صور الإعلام والدعاية الفاطمية بقوله : (بهذه الطريقة المتقدمة فتح الفاطميون مصر مذهبياً كما فتحوها حربياً ، بل إن الجهد الذي بذلوه في الفتح المذهبي لا يصح أن يقاس به الجهد الذي بذلوه في الفتح العسكري ، وحين جاءت الدولة

---

(١) التكاثر ٨ .

(٢) الروم ٢٥ .

(٣) الرعد ٢ .

(٤) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٦١ وما بعدها .

الأيوبية وأزالت الدولة الفاطمية كان عليها أن تبذل أضعاف هذا الجهد في رد المصريين إلى مذهبهم القديم قبل مجيء الفاطميين وهو مذهب أهل السنة والجماعة[١].

تلك صورة من صور الإعلام المنحرف آثرنا الإفاضة في الحديث عنها لأنها كما قلنا تغلفت بالإسلام ولبست المسوح الصالحة مستغلة حب المسلمين عامة والمصريين خاصة لآل البيت ، وراحت بعد ذلك تنهش الإسلام ممزقة عقائده ، عابثة بشعائره ، مبتدعةً للناس عقائد وطقوساً مانزلت في كتاب الله ، ولا جاءت في سنة رسول الله ﷺ ، ولم يفعلها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ولا التابعون .. إنها صورة يكاد المرء يلمسها في كثير من أجهزة الإعلام التي تتوجه إلى المسلمين اليوم في كل مكان ولم تدعهم حتى غزتهم في عقر مساكنهم وبيوتهم ....

ج ـ الإعلام النازي :

لا يكتفي الطغاة دائماً وأبداً بأن يحكموا شعوبهم بالحديد والنار ، والسجون والمعتقلات فهذه أمور قد يعتريها الوهن أحياناً لاعتياد المحكومين عليها وتحركهم في إطارها ونمو الحركات المناهضة من خلال القوة التي أنشئت أصلاً لحماية الطاغية وخدمة مصالحه وأهدافه ، ولذلك فلابد له من وسائل أخرى أكثر فاعليه وأعمق أثراً في إشاعة الإحباط ، وتثبيط الهمم التي قد تتحرك لنسف عرشه ، وإخماد جبروته ، وانتزاع شوكته .

وقد وجد هؤلاء الطغاة المتسلطون في الإعلام وسيلة فعّالة تخدم أهدافهم وتحمي وجودهم وتساعدهم على تحقيق برامجهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، وتجسيد مبادئهم ، فاتجهوا إلى روح الإعلام وأساسه وهي الدعاية التي تستطيع استخدام

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤ .

كل الوسائل ومختلف الأساليب للنهوض بالمهمة المطلوبة منها .

ويشرح غوبلز وزير الدعاية في عهد هتلر ، دعائم الدعاية النازية بقوله :

(ينبغي أن نبحث عن الأقليات الموتورة ، وعن الزعماء الطموحين الفاسدين وذوي العصبيات الحادة ، والميول الإجرامية فنتبناهم ونحتضن أهدافهم ، ونهوّل مطالبهم ، ونهيج أحاسيسهم بمزيج من الدعاية والشائعات مثيرين الغني على الفقير ، والرأسمالي على البروليتاري ، ودافع الضرائب على فارضها ، والجيل الجديد على القديم ، وبذلك نحقق درجة من الفوضى يمكن معها التلاعب بمقدرات العدو وفق ما نشاء ....) [١] .

وقد اعتمد الإعلام النازي على بث روح الاستعلاء في الشعب الألماني ، واستغلال المشاعر الوطنية والدينية ، فالإعلان أن الشعب الألماني يحارب من أجل الدفاع عن الحضارة المسيحية لايعني لغوبلز أية حقيقة ملموسة غير شعار يهدف إلى تعبئة جماهير جديدة ، وهذا يفسر التأثير المخدر الذي مارسته الدعاية النازية على شعوب لم تكن ألمانية ، ومن ثم النجاح الذي حققته تلك الدعاية في تعبئة الشعب الألماني وشعوب أوربية أخرى [٢] .

وكان لتأثير الدعاية الهتلرية النازية أن كثيراً من العرب هواة البطولة والفروسية يومئذ ممن توافقت لديهم سيرة عنترة بن شداد الأسطورية ، في غياب البطولة العربية ، مع الصورة الأسطورية للطاغية هتلر فأطلقوا عليه اسم (الحاج محمد هتلر) لمعاداته اليهود والحلفاء وهم لايعلمون أن هتلر وفلاسفته وضعوا العرب في المرتبة الإنسانية قبل الأخيرة التي كانت من نصيب

---

(١) الدكتور رفيق سكري ـ مدخل في الرأي العام والإعلام والدعاية ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

اليهود ، وقد تم معظم هذا التأثير في العرب بواسطة الإذاعة الألمانية الموجهة إلى العرب باللغة العربية .

د ـ الإعلام اليهودي :

لعل الخصيصة التي يمتاز بها الإعلام اليهودي هو الكذب والفجور ، وذلك منذ أن ابتدأ انحرافهم عن شريعة موسى عليه السلام ... وهذا ما رأيناه على مر العصور والايام ، فقد رموا مريم العذراء بالإفك والفجور وهم أهله وهي التي أبلغتها الملائكة أمر ربها قائله لها : ﴿ **يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ [1] لم يتورعوا عن رمي أنثى ، طهرها الله ، بالزنا ، وكيف يتورعون وهم كَذَبة الدنيا ومنافقو العصور . صحيح أن كل إعلام منحرف يتخذ من الكذب سبيلاً ينفث من خلاله سمومه وأفكاره ، ولكن اليهود يعنون على الإصرار على الكذب والتشبث به ليصبح لديهم كالحقائق الثابتة التي لا تقبل جدلاً ولا نقاشاً أو مراجعة .

وقد حمل اليهود في العصر الحديث معهم ، عن أجدادهم انحرافهم وكذبهم ونقاشهم واستطاعوا استغلال معطيات المدنية الحديثة لتدعيم باطلهم ، ورأوا في الإعلام الوسيلة المثلى لإشاعة باطلهم وتضليل الشعوب ، وأدركوا أهمية وسائل الإعلام على مختلف درجاتها وأنواعها فراحوا يسارعون إلى امتلاكها والتصرف بها ، ومما يروى في هذا الشأن أنه قد أعلن في وقت واحد في فرنسا عن بيع ملهى ليلي وجريدة مشهورة فكان أن استطاع العرب الفوز بملكية الملهى بينما رست الجريدة على اليهود !!! إدراكاً منهم لدور الصحافة ، وهي وسيلة إعلامية هامة ، في توجيه الرأي العام وقيادة الفكر ، والتأثير في عقلية الشعوب .

---

(١) آل عمران ٤٢ ـ ٤٣ .

وتتخذ وسائل الإعلام اليهودية اتجاهاً مليئاً بالأكاذيب والتحاليل ولكن بذكاء وفن .. فهي تحدث الاشتراكي بلغته الاشتراكية ، وتقدم له من نظمها ما يعبر عن النظم الجماعية وبصفة خاصة في استغلالها الزراعي ، كما تغازل الديمقراطي بأسلوب نظامها السياسي الحزبي ،ثم هي تذكر المؤمن بالنازية والنظم الدكتاتورية بأن عقيدتها السياسية هي عقيدة في جوهرها هيجلية وأن نظامها الحربي ليس إلا صورة حديثة للنظم التي قدمتها أسبرطة في الحضارة اليونانية (١) .

ومن أهم عوامل النجاح الإعلامي لإسرائيل تلك الغفلة التي تتميز بها العقلية العربية حالياً ، وتلك السذاجة في إدارة الصراع مع العدو . وقد أدرك اليهود هذه الناحية فعملوا على استمرارها ونمائها في السر والعلن ، ومنها تعمد أجهزة إعلامهم مثلاً التظاهر بالخوف من زعماء ليس بمستطاعهم أن يفعلوا شيئاً حتى ولو كان نفض الغبار عن حدود فلسطين المحتلة وغيرها من أرض الإسلام التي احتلت بعد سنة ١٩٤٨ م .

وتقدم الدعاية السياسية والحرب النفسية التي تشنها إسرائيل ضد العرب والمسلمين على أسس علمية تهدف إلى جعل المواطن يشك في واقعه وقدراته لا بل حتى في نفسه وذاته ، وفي هذا يقول مناحيم بيغن في أحد مؤلفاته : (يجب أن نعمل ، ولنعمل بسرعة فائقة قبل أن يستفيق العرب من سباتهم ، فيطلعوا على وسائلنا الدعائية فإذا استفاقوا ووقعت بأيديهم تلك الوسائل وعرفوا دعاماتها وأسسها فعندئذ سوف لن تفيدنا مساعدات أمريكا) (٢) .

تلك بعض صور الإعلام المنحرف عن الحق ، والمعادي للفطرة ، ولو

---

(١) فتحي الأبياري ـ الرأي العام والمخطط الصهيوني ص ١٥١ .

(٢) الدكتور رفيق سكري ـ مدخل في الراي العام والإعلام والدعاية ص ٥١ .

استقصينا الصور لطال بنا البحث ، أو اتجه وجهة أخرى .. ولكن لما كان البحث يدور حول أثر الفيديو والتلفزيون ـ وهما أقوى وسيلتين للإعلام حالياً ـ على الأسرة المسلمة ، آثرنا الاكتفاء بالإشارة إلى تلك النماذج الأربعة وإن كنا على يقين بأن دوائر الانحراف يتداخل بعضها في بعض فتتشابك وتلتقي ، وما أكثر المنحرفين وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **وإن تُطِع أكثر مَنْ في الأرض يُضلّوك عن سبيل الله** ﴾ (١) .

---

(١) الأنعام ١١٦ .

الإعلام في صدر الإسلام

الإسلام والمسؤولية :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ليكون جديراً بالخلافة ، قادراً على حمل الأمانة ، فجعل له ما يليق به ليحقق محض العبودية لله سبحانه : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (١) ولذلك جاء تكوين الإنسان موازياً للمهمة المنوط بها : ﴿ **ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين** ﴾ (٢) فتعددت أعضاؤه ، وتنوعت أشلاؤه ، وصار لكل منها مهمة في هذه الحياة وجَّهها إليها منشئها وخالقها ، فهي مسؤولة أمامه سبحانه : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ (٣) ، (إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب : أمانة يسأل عنها صاحبها ،وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب معاً) (٤) .

وما دام الله سبحانه وتعالى قد أناط بكل عضو مهمة ، وجعل له نظاماً يستقيم به ، ليكون أكثر عطاءاً وأطيب ثماراً ، فقد كان لزاماً على صاحب العضو أن يوجهه الوجهة الصحيحة ،ويستخدمه الاستخدام الأمثل ، ليحيا في سعادة غامرة من بحبوحة الطاعة لربه ، والانصياع لحكمه ، والاطمئنان لرحمته ، ولذلك كانت المسألة جدية ، حين يقف الإنسان ذلك الموقف الرهيب الرعيب ، لايتحرك ولا يتزحزح كأنما تسمرت قدماه ليُسأل عن أربع : هي قدرات أعطيها في حياته الدنيا ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ :

---

(١) الذاريات ٥٦ .

(٢) البلد ٨ ـ ١٠ .

(٣) الإسراء ٣٦ .

(٤) في ظلال القرآن ص ٢٢٢٧ مجلد ٤ دار الشروق .

« لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما افناه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » [١] .

إن الأمانة أكيدة ، والموقف حق ، وهذا ما يدعو عقلاء المؤمنين المكلفين أن يراعوا الله في أنفسهم وأهليهم ، وإخوانهم والبشرية جمعاء التي تنتظر منهم اليد الحانية التي أحسّت بها يوماً حين كان أبو القاسم محمد ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون المهديون من بعده ، يرقأون جراحها ، ويأسون مواجعها ، ويغرسون في بواديها وسهولها وجبالها أطيب الأزهار ، وأشهى الثمار .. لتعود إليهم العزة المنتزعة ، ويبرأ فيهم المجد المكلوم ، فيصبحوا من جديد أسوداً تنتصر بالرعب مسيرة شهر ، فقد كفى هذه الجموع ألاَ تُرى إلا فئراناً في مصائد الأعداء والمتجبرين ، أو دمىً تتحرك في تيه حضارة منهارة ، يئس منها ومن جدواها أصحابها الغربيون فهي مترنحة هناك مملولة ، وهي هنا تخطو بثقة وثبات ، فقد أعادت إليها الثقة في نفسها نظراتنا الشرود ، وأثلجت صدرها أكفنا المصفقة ، وهزائمنا المتلاحقة ، فراحت تصب الزيت على النار ، وتدثرنا بالعار ، وتبعث فينا حمية الجاهلية ، وتلهينا بكل شيء ، وتزينه لنا ، مستخدمة في ذلك أرقى ما أنتجته من التكنولوجية وأخس ما صنعته من المجون والفجور .

وهكذا ، نجد أن الإنسان سوف يسأل عن كل صغيرة مهما دقت وعن كل كبيرة مهما تعاظمت ، ولن يفلت من المساءلة أحد ؛ فهيهات هيهات أن يكون ذلك ، وهيهات هيهات أن يكون للكذب أو الإنكار يومئذ من

---

(١) أخرجه الدارمي ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ ناصر الألباني : إسناده صحيح كتاب الإيمان ص ١٥٩ .

سبيل ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون**[١] * **حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء وهوخلقهم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أنَّ الله لايعلم كثيراً مما تعملون * وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**[٢] **فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبروا فالنار مثوى لهم ، وإن يستعتبوا**[٣] **فما هم من المُعتَبين**[٤] ﴾[٥] . وقال سبحانه في موضع آخر من كتابه الكريم : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾[٦] .

الإعلام في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين :

في سيرة رسول الله ﷺ كثير من المواقف الإعلامية الرائدة ، التي كانت ـ وما زالت ـ إحدى ركائز الدعوة إلى الله ، فما إن كُلِف الرسول الكريم ﷺ بالدعوة إلى الله إيماناً ومسلكاً حتى تحرك بها بكل همة ونشاط ، فكانت ليله ونهاره ، يقظته ومنامه ، وحركته وسكونه ، وبكلمة موجزة فقد كانت الدعوة شأنه كله ، منذ أن تلقى الوحي بـ ﴿ **اقرأ** ﴾[٧] إلى أن كانت كلماته الأخيرة

---

(١) يوزعون : يحبس سوابقهم ليلحقهم تواليهم (كلمات القرآن تفسير وبيان) حسنين مخلوف .

(٢) أرداكم : أهلككم .

(٣) يستعتبون : يطلبون رضاء ربهم يومئذ .

(٤) من المعتبين : من المجابين إلى ما طلبوا .

(٥) فصلت ١٩ ـ ٢٤ .

(٦) الصافات ٢٤ .

(٧) العلق ١ .

وهو مسجىً على فراش الموت وبين سكراته ، حين قال : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »[١] .

كانت وسيلة الإعلام الأولى لرسول الله ﷺ الاتصال الفردي والدعوة الشخصية ، فكان من نتاجها ، أولاً ، زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي وصديقه أبو بكر رضي الله عنهما . هذا في الفترة السرية للدعوة ، أما وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالجهر والإعلان بقوله : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾[٢] وقوله : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[٣] . فإذا بالرسول ﷺ في بداية المرحلة الجديدة هذه ، يرتقي الصفا ويدعو عشيرته وهو الصادق الأمين ، فلما اجتمعوا إليه قال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقيَّ ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقاطعه (عمه) أبو لهب ساخراً : تباً لك !! ما جمعتنا إلاَّ لهذا ، ثم انصرف بنو عبد المطلب في أعقابه »[٤] .

فالدعوة من مرتفع كانت الوسيلة الأولى للدعوة العلنية على مرأى ومسمع من أربعين نفراً من أهله وعشيرته ﷺ . ومع ذلك فقد استمرت الدعوة إلى الله سرية في كثير من جوانبها لأن الأخطار المحيطة بالدعوة والدعاة والمؤمنين ما زالت قائمة ، فظل أصحاب الرسول ﷺ في دعوة أصحابهم وأهليهم إلى دين الله ومنهاجه سراً وعلانية . ولم تفتهم مواسم الحج ، عندما كان العرب يفدون

---

(١) « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حديث صحيح روته أم سلمة مرفوعاً وأخرجه أحمد في المسند (٦ / ٢٩٠ و ٣١١ و ٣٢١) وابن ماجه (١٦٢٥) في الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ والطحاوي في مشكل الآثار (٤ / ٢٣٥ ، ٢٣٦) وفي الباب عن علي عند أحمد رقم (٦٩٣) وأبي داود (٥١٥٦) وعن أنس عند أحمد ٣ / ١١٧ والطحاوي وصححه ابن حبان (١٢٢٠) وعن ابن عمر عند الطبراني . راجع تعليق الارناؤوط على شرح السنة للبغوي رقم ٢٤١٥ (٩ / ٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٦٧ .

(٢) الحجر ٩٤ . (٣) الشعراء ٢١٤ . (٤) ابن الأثير : الكامل ٢ / ٦٠ ـ ٦٣ .

إلي بيت الله ؛ فراح الصحابة رضوان الله عليهم يتصلون بالقادمين يشرحون لهم الدعوه الجديدة ويدعونهم سراً إلى اعتناقها ،وعلى رأس هؤلاء الدعاة كان النبي محمد ﷺ ؛ فكان لهذه الدعوة ثمارها ، فآمن أناس شرح الله صدورهم للإيمان ، وراح آخرون من عشيرته يتصدون لأصحابه قائلين للحجيج : « لا تصدقوه فإنه كذاب » مع يقينهم بأنه لايكذب وما جربوا عليه كذباً .

هنا تلاقت الدعوتان : الدعوة إلى الله والدعوة لغيره في وسيلة واحدة هي الاتصال الشخصي ، وانتصر المؤمنون ، بنصر الله ، لصدق إيمانهم وثبات عزائمهم فكانوا صورة مثلى للصبر على الأذى والمكاره في سبيل الله مما لفت إليهم الأنظار ، وسدد إليهم الأبصار ، فكانوا مثار أفكار المشركين الذين أخذوا يعيدون النظر فيما هم عليه من عبادة حجارة ، ورهبة أصنام لا تضر ولا تنفع ، بل لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ، ولا حياة ولا نشوراً .

كانت مشاهد التعذيب الحية المتتالية في بطاح مكة ، للمؤمنين ، مبعث تفكير لدى كثير من المشركين الذين أخذوا يفكرون في الدعوة التي يُعذب لأجلها المسلمون ، فقد أذهلهم صبر هؤلاء على دينهم ، وما عهدوا وما سمعوا منذ أن أضرمت النيران لإبراهيم عن أناس في جزيرة العرب ، غير أصحاب الأخدود ، صبروا صبرهم ، وتلقوا أذاهم ، ولولا حمية الجاهلية وأوضارها لما ترددت نفس عن إعلان إيمانها بهذه الدعوة التي يقودها رجل منهم ، كان بينهم الأعظم صدقاً وأمانة وطهراً : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾[1] .

---

(١) النمل ١٤ .

وسائل الإعلام في صدر الإسلام :

لابد لكل دعوة من وسائل تصل من خلالها إلى النفوس والقلوب والعقول ، ولكل عصر وسائله وأساليبه . فلما جاء الإسلام بدعوة تستغرق الحياة والآخرة نهض الإعلام الذي بني على أسس من هذه الدعوة ومفاهيمها بمهمة نشرها وتوضيح أبعادها .

ويذكر لنا الدكتور عبد اللطيف حمزة تسع وسائل للاتصال بالجماهير في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الحديث الشريف والخطبة النبوية .

٣ ـ القدوة الحسنة من جانب الرسول ﷺ والصحابة أجمعين .

٤ ـ الاتصال الشخصي والجمعي ، وهومن أقوى وسائل الإعلام قديماً وحديثاً .

٥ ـ القصص .

٦ ـ مواسم الحج .

٧ ـ الغزوات .

٨ ـ العلاقات الإنسانية المثلة في العلاقات الداخلية بالمسلمين ، والعلاقات العامة بغير المسلمين داخل المدينة وخارجها .

٩ ـ القصيدة الشعرية [١] .

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ الإعلام في صدر الإسلام ص ٤٠

وظيفة الإعلام وخطورته

يكاد الإعلام يغطي المساحة الكلية للأنشطة الحياتية ، بل إنه يلعب الدور الأول في توجيه أكثرها ورعايته ، حتى ليحس المرء أنه غارق في بحر متلاطم الأمواج تقوم على صفحته صراعات الأمم والأفكار والعقائد ، وأنه أسير لايستطيع الفكاك مما هو فيه ، فهناك جهات عالمية تعمل على إدارة هذا الزخم الهائل من الجرعات الإعلامية التي تصب في كيان الإنسان شاء أم أبى ، وخاصة أولئك الذين يجمعهم طبل وتفرقهم عصا ، إلا من رحم ربك ممن تحسس الشر حوله فتنبه ونبه ، فالفتنة مستشرية ، والركام ثقيل ولا ينجي من ذلك إلا أن يعتصم المرء بحبل الله فيتدبر ولا ييأس ، بل يأخذ بزمام الأمر ويديره على بصيرة وهدى ، ويتصدى لهذا العدوان الجائر الذي يستهدف عقيدته وشريعته وحضارته ، أي يستهدف وجوده كله ، بل لابد له من أخذ المبادرة لمطاردة هذا الشر في نفسه أولاً ليكون له في ذلك تجربة يستطيع من خلالها خوض المعركة وإدارتها في وجه كل الشانئين والمنحرفين والمعتدين .

فقد أصبح الإعلام ، في حد ذاته ، يؤدي وظيفة من أخطر الوظائف في العصر الحديث ، وهو لايقل في خطورته عن الطب ، أو التعليم ، أو غيرهما من المرافق ، بل ربما يتفوق في أهميته على كثير من المرافق الأخرى ، ذلك أنه قد ينتج عن الخطأ في أسلوب التعليم أن يتأخر عدد من الطلبة أو الطالبات في التخرج ، وقد ينتج عن الخطأ في الطب والعلاج أن يتعرض بعض المرضى للموت ، أما الخطأ في الإعلام فقد يتسبب في أضرار جسيمة يصعب تفادي عواقبها ، أو الإفلات من براثنها ، منها إفساد العلاقات بين الأفراد ومنها تعرض الهيئات والجماعات لطائفة من الخسائر قد لايمكن تعويضها فيما بعد ،

بل منها نشوب الحروب بين دول العالم ، وناهيك عما تسببه الحروب من كوارث [١] .

ولم يزل أعداء الإسلام يديرون حرباً لا هوادة فيها علينا محاولين دفعنا إلى التخلي عن أعـ ما نملك ألا وهو العقيدة الإسلامية التي تقف اليوم ، وحدها ، على ظهر هذه الأرض متصديه لهم ، على قلة ما بأيدي أبنائها من وسائل الدفاع والتصدي ، لكنهم استقرأوا التاريخ ، ودرسوا أحوال الدول ، فتراءت لهم من بعيد ومضات قادمة ، كلما أمعنوا في إطفائها توهجت وانتشرت ، وعلى الرغم مما تبين لهم من حتمية انتصار الإسلام وعودته إلى قيادة البشرية ، فإنهم يحاولون آملين أن تكون لهم ضربة قاضية تنفذ إلى الصميم ، وما تزال المعركة الموجهة ضد الإسلام قائمة ، ابتداءً من اصطناع المهادنة الكاذبة معه ، إلى أن تصل إلى الصدام المسلح الذي تطالعنا صورٌ منه بين الحين والآخر ، ابتداء بالغزو الفرنسي للجزائر في أوائل القرن الماضي ، وانتهاءً ، وهي ليست الأخيرة ، بالغزو الشيوعي لأفغانستان . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ [٢] . فها هي الحرب قائمة على أكثر من صعيد ، بدءاً من الشائعة وانتهاءًبالقنبلة ، ولن يخبو لهذه المعركة أوار ما دام فينا من يعبد الله ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ [٣] .لقد تمكنت الصليبية والشيوعية واليهودية من توظيف وسائل الإعلام العالمية على أكثر من صعيد هنا وهناك ، واستطاعت أن تنفذ للوسائل الإعلامية في أرض الإسلام ،

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم - الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٢١ .

(٢) البقرة ٢١٧ .

(٣) البقرة ١٢٠ .

بل إنها أقامت لها هياكل ومؤسسات إعلامية في هذه الأرض تمولها وتحركها كيف شاءت .

ولعل أخطر الوسائل التي استخدمتها قوى الوثنية المعاصرة لتدمير الوجدان الإسلامي هي وسيلة (الكلمة) . وخطورة (الكلمة) المنشورة والمسموعة والمرئية لا تقل بحال عن خطورة المدفع والصاروخ والقنبلة والجراثيم الكيماوية ، فإذا كانت هذه العناصر تقتل من الخارج ويستطيع الإنسان تفاديها بالخندقة أو الوسائل المضادة الأخرى ، فإن الكلمة لايمكن تفاديها بسهولة ، إنها تصل إلى المرء في مخدعه ومكتبه وشارعه ومقهاه ومنتداه ، وفي كل مكان يحل فيه .. ومالم يكن المرء محصناً بعقيدة وثقافة عميقة ، فإنه غالباً ما يقع في الخطر ، ويصبح واحداً من الضحايا الذين يصرعهم (غزو الكلمة) ويسيطر عليهم من (داخلهم) ويدمر وجدانهم وتصوراتهم [١] .

---

(١) حلمي محمد القاعود ـ الصحافة المهاجرة ص ٩١ .

وسائل الإعلام

تطورت وسائل الإعلام وأساليبه في العصر الجديث تطوراً هائلاً يواكب ما توصلت إليه البشرية في نواحي التقدم المختلفة ، فجمعت بين القديم والمستحدث . بل تكاد هذه الوسائل تكون في مقدمة المخترعات والمبتكرات فما إن تشهد العين ولادة واحدة منها ، حتى يعلن عن حمل جديد يخرج إلى الحياة سريعاً ومبشراً بالقادم خلفه وهو أكثر فتنة منه ، وأشد بريقاً ، حتى أدركنا عصر الكمبيوتر ولا ندري ما الذي يأتي بعده غداً ؟!! وتتمثل أهم هذه الوسائل بما يأتي :

١ - الإذاعة .

٢ - التلفزيون .

٣ - الڤيديو .

٤ - المسجل .

٥ - القرص (الدسك أو الاسطوانة) .

٦ - الفانوس السحري (آلة عرض الشرائح والصور غير المتحركة) .

٧ - السينما .

٨ - المسرح .

٩ - الملاعب الرياضية .

١٠ - المطبوعات كالكتب والنشرات والمجلات والصحف .

١١ - الخطابة .

١٢ - الأناشيد والأغاني والقصائد .

١٣ ـ الندوات والمناظرات .

١٤ ـ الملصقات واللافتات والإعلانات .

١٥ ـ الأقمار الصناعية : وهي وسيلة إعلامية فائقة المقدرة ، إذ تمتلك خاصية السيطرة والهيمنة على مختلف الأجهزة وخاصة التلفزيون .

١٦ ـ الهاتف والبرق والتليكس واللاسلكي .

١٧ ـ المعارض المحلية والدولية .

تلك هي أهم وسائل الإعلام وأدواته ،ولكن الذي يعنينا في دراستنا هذه وسيلتان مسيطرتان يدور عليهما البحث وهما : التلفزيون والفيديو لما لهما من أثر بالغ في تربية الفرد والأسرة والمجتمع والأمة برمتها ، بل الإنسانية جمعاء ، ولا يعني تخصيص هذه الدراسة على الأسرة المسلمة أننا نغفل أثرهما على غيرنا بل العكس هو الصحيح لأننا نريد الخير للناس جميعاً ، ونكره لهم الضلال ، وندعو الله لهم بالهداية ، آملين أن يؤتي هذا البحث ثماره لكل قارئ منصف يبحث عن الحق ، ويتململ من الباطل ، فإننا ما علمنا الإسلام إلاّ رحمة للعالمين .

الإعلام التلفزيوني : مكانته وأهدافه

مكانة الإعلام التلفزيوني :

يحتل الإعلام التلفزيوني اليوم المكانة الأولى بين وسائل الإعلام بعد أن أخلت الإذاعة له عرشها صاغرةً ، متراجعة أمام عملاق أخذ بمجامع الجماهير ، واستلبها لنفسه ، وراح يرضعها من لبانه ويغذوها من ثماره ، ويسكرها من دنانه .. كان الساحر ينتقل بين المدن والقرى فلا تحظى منه بغير ساعة من نهار من سنة قدر الله لك فيها أن ترى رجلاً يبيض وآخر تخرج النار من فمه ، وثالثاً تطير الحمامة من كمه .. لقد انكفأ الساحر وبطل سحره ، ولم يعد له في المدائن والقرى كسرة خبز ، لأن ساحراً جديداً مبهراً أوقف بسحره السحر ، وأنسى الناس حليب أمهاتهم ، لا يطوف بالمدائن والقرى بل يقيم فيها ، ويعيش مع أهلها يؤاكلهم ويشاربهم ويشاركهم في الأموال والأولاد .. ألا وهو التلفزيون ..

ويعتبر التلفزيون أقدر وسيلة عرفها الإنسان في مجال الإعلام ، فهو يجمع بين الصورة والصوت وبذلك يستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان وأشدها اتصالاً بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر . وتدل الأبحاث على أن التلفزيون في حالة وجوده يفوق تأثير كل وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى [١] .

ومن أطرف عناوين الكتب ذلك الكتاب المسمى (الناس على دين إذاعاتهم) للإذاعي المصري المعروف الأستاذ إيهاب الأزهري ، وفيه يقول :

(كما في العنوان كان الناس قديماً على دين ملوكهم .

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم ـ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٤٣ .

كانوا يلتقون بهم في الأسواق ... وفي الأعياد ، وفي المساجد .. كانوا يحتكون بهم .. ويتطلعون إليهم كقدوة .. فيتأثرون بهم .

كان الناس ـ دائماً ـ على دين آبائهم وأجدادهم .

ولكن في العصر الحديث ... تنازع السيطرة على الناس زعماء الأحزاب وقادة الرأي من الكتاب والساسة والجرائد اليومية .

ثم جاءت الإذاعة .. تسللت إلى الناس كوسوسة الشيطان .. استحوذت على الآذان والتفوا حولها ، وما لبث أن جاء التلفزيون فاستولى على أفراد الأسرة .. فضعف تأثير الأب بل صار التلفزيون هو الأم المؤثرة في الأسرة ، وأصبح الناس على دين هذه الأم)[1] .

أجل لقد تولى التلفزيون أمور التربية وشؤونها ، وانتزعها ليس من الأسرة فحسب بل من المدرسة والجماعة ، وجاء بعده ما يكمل رسالته ويساعده على أداء مهمته وذلكم الفيديو وهو الابن الشرعي البار للساحر العظيم (التلفزيون) .

ولعل الڤيديو اليوم أ شد خطراً ، وأدهى أثراً من التلفزيون وإن كانا معاً يشكلان وحدة إعلامية متفوقة الإمكانات ، شديدة الأثر . لقد تربعا بغير منازع على عرش الإعلام ،وامتلكا سُدَّته ؛ فانسحبت الوسائل الأخرى إلى مواقع متأخرة ، وما بقي منها في مكانه دهمته المسافة المتباعدة بينه وبينها ، فهما دائماً في تقدم وتطور وازدهار .

---

(١) إيهاب الأزهري ـ الناس على دين إذاعاتهم ، ص ٢٥ .

هدف الإعلام التلفزيوني :

لم يعد خافياً على أحد ، إلا الذين لايعلمون ، أن للعملية الإعلامية بصورة عامة والتلفزيونية بصورة خاصة أهدافاً ومرامي تلح على تحقيقها الهيئات المالكة لها أو المسيطرة عليها ، فما من لحظة تمر على الإرسال التلفزيوني بغير هدف أو قصد . وإن المتأمل الواعي لما يدور على الشاشة الصغيرة الآسرة ليدرك بلا ريب أن البرامج جميعها ، منذ الافتتاح وحتى الختام ، تعمل جاهدة متعاضدة على أهداف تبدو فرعية ، ولكنها ترى عند تحليلها ، ملتقية عند هدف رئيسي واحد ، وإن تناقضت مفاهيمها : كالذي نراه مثلاً في تلك المفارقة العجيبة بين برنامج ديني يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن السلوك ، وبين برنامج آخر ، في المحطة ذاتها ، يريك ما يسمونه فن الباليه ويحض عليه بل لا يتوانى مقدم هذا البرنامج الراقص عن شرح فوائد هذا الرقص وآثاره في النفس والجسم ، مما يفوق تلك الفوائد التي أشار إليها مقدم البرنامج الديني ! بل لايتورع هذا الحصيف الرهيف عن استحضار أطفال وطفلات لم يجر بعد عليهم القلم يبرهنون للمشاهدين أن مدربهم الحاذق الماهر ، جعل منهم رايات خفاقة لوطن ظل محروماً زمناً طويلاً من البطولة ، منذ أن أحرق طارق بن زياد سفائنه على مرأى من تراب الأندلس .

أثر التلفزيون في تغيير الرأي العام :

وإذا كان العمل الإعلامي ، بصورة عامة ، يمضي نحو غاية تقود إلى تعديل السلوك والتأثير على آراء المتلقين واتجاهاتهم ، فإن الإعلام التلفزيوني ، بصورة خاصة ، له هدف نهائي هو التأثير في المشاهدين وتوجيههم وجهة معينة ، عن طريق مخطط مرسوم مدروس ، تتعاون على تحقيق ذلك كافة برامجه على الرغم مما يبدو حيناً من تناقض هذه البرامج وتضاد موضوعاتها .

ومما يـدل على أثر التلفزيون في تغيير الرأي والتـأثير في المشـاهـدين تلـك التجربة التي أجراها كل من (هوفلاند) و (لومسـديـان) و (شيفليـد) عـام ١٩٤٩ قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان الهدف العملي في هذه الدراسة هو منع الجنود الأمريكان من توقع انتهاء الحرب مع اليابان بعد أن انتهت مع أوربا . وقد تبين أنه كان لهذا البرنـامج تـأثير كبير على آراء الجنود ، إذ زادت نسبـة الجنـود الـذين يرون أن الحرب سـوف تمتـد إلى سنـة ونصف السنـة مـع اليابان من ٣٧٪ من عدد الجنود قبل البرنامج إلى ٥٩٪ بعده [1] .

وتصل أقصى درجات تغيير اتجـاهـات النـاس ومفـاهيمهم عنـدمـا تستخـدم برامج التلفزيون ، وأفـلام الفيـديـو ، في العمليـة التي يطلـق عليهـا (غسيـل المخ) والتي تستهـدف تنظيف العقل !! أو إعـادة تعليم الأفراد !! أو الإصلاح الفكري !! أو التربية العقائدية !! والتي كثيراً مـا تستخـدم لإحـداث تغييرات جذرية ومتطرفة في عقائد الناس ، وذلك بقصد اعتنـاقهم مبـادئ سيـاسيـة أو اجتماعيـة معينـة ، كما تستخـدم هـذه العمليــات مـع أسرى الحرب والجـواسيس والمتهمين ، بقصد انتزاع الاعترافات منهم ، وتمتاز هذه الوسيلـة بـأنهـا لا تعتمـد على العنف ، أو الإيـذاء البـدني ، وإنمـا على أسـاليب إقنــاع معينـة كقلب الحقـائق ، والإلحـاح عليهـا وتكرارهـا ، والتماس من يشهـد زوراً وبهتـانـاً على صدقها ، أو تزييف سند من التاريخ باستنطاقه مـالم يقلـه أويحـدث بـه ، كل هذه الأسـاليب وغيرهـا تستخـدم لتغيير اتجـاهـات الأفراد وقيمهم ،وعقـائـدهم ، وآرائهم وسلوكهم [2] .

وتكاد تلتقي وسائل الإعلام جميعـاً عنـد هـدف واحـد هو صيـاغـة الحيـاة

---

(١) الدكتور عبد الرحمن العيسوي ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

الروحيـة والعقليـة والاجتماعيـة لـدى النـاس ، غير أن التلفزيون يتفوق اليـوم عليهـا جميعـاً لأنـه وسيلـة الإعـلام الأولى التي تستطيـع أن تخـاطب عـواطف المشاهدين ، وتحرك مشاعرهم أكثر مما تحركها وسائل الإعلام الأخرى المطبوعـة والسمعيـة والبصريـة ، وذلـك بحكم الصبغـة التي تصطبـغ بهـا برامجـه التي تتسم بالبساطة حيناً والسطحيـة أحيـانـاً أخرى بخلاف الوسـائل الأخرى التي يغلب عليها العمق في التفكير والصبر على البحث وبالتـالي فهي تحتـاج إلى مسـاهمـة أكبر من جانب جمهورها بـدرجـة تفوق المسـاهمـة المطلوبـة لجمهور التلفزيون ، فالمستقبِل في حالة المطبوعات لايحس بأنه شخصياً جزء من عمليـة الاتصـال كما يحس مشـاهـد التلفزيون لأنـه مضطر إلى أن يسـاهم بشكل خلاق في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي [١] ، وهذا ما يلاحظ في حـالات الانـدمـاج الكلي في البرامج التي تلتقي مع المشاعر والأحاسيس الدنيا حتى ليحس المشاهد معهـا كأنـه جـزء من برامجهـا أو شخص من شخـوصهـا ويتمنى لـو طـالت الرحلـة التلفزيونية وامتدت بغير نهاية ولا توقف .

(١) نعمان ماهر الكنفاني ـ مدخل في الإعلام ـ نقلاً عن كتاب الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي للدكتور محي الدين عبد الحليم ص ٦٠

التأثير الإعلامي في الجمهور

مازال الغرب بحضارته التي تتـآكل يومـاً بعـد يوم ، مهوى أفئـدة كثير من المسحورين بما يقدمه من المخترعات التي تغزو العالم أجمع ، ويـاليت الأمر بقي في حيز الإعجاب بما ينفع الناس ، ولكنـه تعـدى ذلـك عنـد كثير منـا إلى أن تصبح القضية لديهم تقليداً ، أو اتباعاً ، أو تبعية حتى أضحى كل ما يقذف به الغرب نحونا من أفكار أو عقائـد أو ينشره بيننـا ، غير خـاضع للـدراسـة ، أو الريبـة ، أو الرفض بـل إنـه مـوضـع الرضى والتمسـك والاعتزاز . والمسلمـون لايقـولـون برفض كل مـا تنتجـه الحضـارة الغربيـة من آلات وأدوات أو أفكار تساهم في سعادة الإنسان وتخفيف آلامه ومساعدته على عبـادة ربـه ، فلم نرفض استخـدام السيـارة أو الطـائرة مثـلاً أو غير ذلـك من تكنـولـوجيـا الغرب ومستحـدثـاتـه ، ولكننـا نرفض الغـايـة والهـدف من استخـدام هـذه الآلات والمعدات إذا كانت لا تلتقي مع عقائدنا وسلوكنا ، إننا نرحب باستخدام هـذه الآلات في طاعة ، ونرفض استخدامها في معصية ، إننا مع الطـائرة تنقلنـا إلى مكة لأداء فريضة الحج أو العمرة أو أية طاعة أو أداء عمل مشروع أو سيـاحـة في الأرض اطـلاعـاً أو ترويحـاً عن النفس ونرفض أن تنقلنـا إلى (مـونت كارلـو) للمقـامرة أو المراقصـة أو أيـة معصيـة ، إننـا مـع الطـائرة تنقلنـا إلى واشنطن أو موسكو لدراسة الأساليب المتقدمة في الزراعة أو الصناعـة أو الطب التي تفيـد أمتنـا ، ولسنـا مع الطـائرة إذا نقلتنـا لنتعلم هنـاك دروس انتهـاك الحرمات ، وأساليب التعذيب والاضطهاد .. هذا موقفنـا من أيـه آلـة قبل أن تولد الآلة ، وهذا رأينا في الحدث قبل أن يقع الحدث .

والغرب ليس كلـه شراً ولا كل الغربيين أشرار ، ففيـه مفكرون يلمسـون تفكك حضارتهم وتحللهـا ، ويتـألمون لمـا تتوجـه إليـه الأمور في ديـارهم ، بل يرفضـون الـواقـع الـذي يعيشـونـه دون أن يتمكن كثير منهم من الاهتـداء إلى

الطريق المستقيم ، والاتجاه الصحيح الذي ينبغي على المرء التحرك بمقتضاه .

وفي الغربيين جمهرة ممن يتقن وصف الحالة ، ولكنه يتعثر تماماً إذا ما طلبت إليه تحديد الدواء ، لقد تمكنوا من استزراع الجراثيم واكتشفوا ما يحطمها من الأدوية ، ولكنهم عجزوا عن استزراع مشاكل الإنسان الروحية والعقلية ، ولم يفلحوا في الوصول إلى ما يناسبها من الحلول .

ولذا فإنك تجد غالبيتهم كالهائمين على وجوههم يتبعون كل ناعق معتقدين أنه الهادي المخلص حتى أضحى الغرب مزرعة أباطيل فكرية ومنتدى خزعبلات خرافية . فكم من ساحر هندي ، حمل معه شعوذات الهندوسية وأباطيلها حطت به عصا الترحال في الغرب ، فجمع من حوله عشرات الآلاف من المريدين والأتباع الذين لها بعقولهم جاهل أفّاك ، فأضحوا بين يديه كالسوائم التي لاتعلم ما يراد بها ، ولو دعا اليوم في الغرب داعٍ إلى عبادة النمل لوجد اتباعاً ومريدين وسدَنَة .

نعم إن في الغرب مفكرين يطلقون الصرخات ، بين الحين والآخر ، منذرين قومهم ، منبهين أو مشيرين إلى مكمن الداء ، وإن لم يوفقوا بعدُ في الوصول إلى حلول تناسب فطرة الإنسان ومتطلباته . ومن هؤلاء (جيري ماندر) المفكر الأمريكي الذي أفزعه ما تحقق لديه من آثار التلفزيون المدمرة للإنسان ، فألف كتاباً دعا فيه إلى التخلص من التلفزيون سماه (أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون) استطاع من خلاله الإشارة إلى مكامن الخطر في هذا الجهاز العجيب ، وكانت آراؤه وليدة تجربة حقيقية لطبيعة عمله في مجال الإعلام ، كمدير دعاية وعلاقات عامة ، أتاحت له أن يلاحظ عن كثب ما لأجهزة الإعلام من تأثير انحرافي في هذا العالم يتعذر اجتنابه أو تفاديه .

يقول في مقدمة كتابه : (لو أن لهذا الكتاب أي عنصر أساسي من الاعتماد ، فهو نتيجة خمس عشر عاماً عشتها مدير دعاية وعلاقات عامة ، في

أثنـاء ذلـك تعلمت أنـه من الممكن خلال الوسـط الإعلامي أن أخـاطب عقول الناس مباشره ـ وبالتالي كساحر من عالم آخر ـ أن أترك انطباعات من شأنها أن تقود هؤلاء إلى القيام بأعمال لم يكونوا ليفكروا في القيـام بهـا .. وبعـد أن لاحظت ماهذه الوسائل من تأثير انحرافي في هذا العالم ، تأثير يتعذر اجتنابه ، تحول هذا الشعور عندي إلى رعب حقيقي) [١] .

الإمكانات الهائلة للتلفزيون في السيطرة على العقول :

إذا كان موقع الإنسـان بـالنسبـة للمخلوقـات يـأتي في القمـة ، فـإن العقل يتسنم الـذروة في بنـاء الإنسـان الفسيولوجي والروحي ، وقـد أدرك أصحـاب العقائد والأهواء الفاسدة ما للعقل من دور في السيطرة على تصرفات الإنسـان وتوجهاته فعملوا على السيطرة عليـه بـأسـاليب شتى تتظـاهر بـالتضـامن معـه ومساعدته على النماء والرقي .

ولما حل بيننا التلفزيون ، في غمرة هذه الثورة الإلكترونية الطامية ، تولى ـ وهو في أيدي المسيطرين من أصحاب الأهواء والمطامع ـ مهمة السيطرة على العقول لما يمتلكه من الإمكانات التي تكاد تفوق كل مـا يتوقع من هـذا الجهـاز المتميز الرهيب . ويذكر لنا جيري مـانـدر اقتراحـاً مخيفـاً تقـدم بـه البنتـاجون للرئيس الأمريكي نيكسون بوجوب توضيب كل أجهزة التلفزيون لـلاستخـدام القسري من قبـل السلطـة الحـاكمـة ، إدراكاً منهم لإمكان استغـلال القـدرات العجيبة للتلفزيون في التـأثير على الرأي العـام والتلاعب المسرحي في أعصـاب الناس : (وازدادت مخاوفي في أحد أيام عام ١٩٧١ بينما كنت جالسـاً في مكتبي أقرأ صحيفـة (نيويورك تـايمز) الصبـاحيـة عنـدمـا لفت انتبـاهي خبر صغير يتعلق بـاقتراح من البنتـاجون للرئيس نيكسون بوجوب وضـع أداة إلكترونيـة

---

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ترجمة الأستاذ سهيل منينة ص ٣ .

صغيرة في كل أجهزة التلفزيون يتم تشغيلها بواسطة الرئيس فقط مما يؤدي إلى تشغيل كل أجهزة التلفزيون في البلد في وقت واحد . وبالطبع كان المقصود استعمالها في حالات الطوارئ القصوى ...

(من الممكن أن نُخَاطَبَ جميعاً من محطة أنباء مركزية واحدة ، في نفس الوقت ، ليلاً أو نهاراً ، وهذا ما يحصل بالفعل ، فكل يوم يتكلم جماعة من الناس ويصغي الآخرون ، إن الوسائل القاسية والوحشية لتحديد الانتباه والتجربة والسلوك صارت بالواقع شيئاً من الماضي . لقد أخذ التلفزيون وبطرق عديدة يجعل من الانقلابات العسكرية والاعتقالات الجماعية في مخيلتي أمراً لايستحق الاهتمام !! فباستطاعتنا الآن إدراك عدم موضوعية هذه الأعمال مع وجود انقلاب أكثر دهاءً في طريقه إلينا . هذا الانقلاب يأخذ طريقه مباشرة إلى عقول الناس إلى تصوراتهم وسبل معيشتهم ؛ فالتقنية تجعل هذه الأشياء ممكنة الحصول وأحياناً مجتمعة ، ولكن على حساب مقدار تنبهنا لذلك)[1] .

لقد أدرك الانقلابيون في العصر الحديث الأثر العظيم للإعلام عامة والتلفزيوني منه على وجه الخصوص ، فجعلوا أول خطوة تنفيذية لهم السيطرة على مبنى التلفزيون والإذاعة لأن السيطرة عليها تعني نجاح الانقلاب مما يجعل المقاومة المضادة تنهار تحت الضربات الإعلامية الضروس ، وكم من انقلاب عسكري أحكم أصحابه خطة السيطرة على مقاليد السلطة ، ولكنهم أخفقوا في ذلك لعدم تمكنهم من السيطرة على محطتي الإذاعة والتلفزيون .

إن الناس الذين تشكلت عقولهم بقنوات سلبية بواسطة هذه الوسائل القائمة على رأسها التلفزيون ، مستعدون بوفرة في كل الأوقات لعملية زرع

---

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ترجمة سهيل منيمنة ص ١٨ ـ ١٩ .

السمات المحددة تماماً ، وبهذه الطريقة يمكن التأكد من اندماجهم مع الفكر الإعلاني والتلفزيوني وتقبله ، وأيضاً تقبل بعض التدخلات التافهة دون أية معارضة تذكر .

التلفزيون وغسيل المخ :

إن الصور التلفزيونية تتحرك بطريقة أسرع من أن يتداركها المشاهد بصورة كلية ، ولذلك فهو يلحق بها داخل عقله ، ولايترك له مجال لمناقشة المعلومات المارة على الشاشة ، إن هذا يعطل العقل الانتقادي ويجعل المشاهد كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، ولذا فإن التلفزيون يبدو في الحالة هذه ، منوماً مغناطيسياً بارعاً ، مستخدماً أسلوب (الارتباك) الذي طوره الدكتور (ملتون أريكسون) وهو أحد الرواد في التنويم المغناطيسي . وأسلوب الارتباك يقوم على أن تعطي الشخص الذي تريد التأثير فيه أشياء كثيرة يتعامل معها لدرجة أنك لاتعطيه فرصه لعمل أي شيء ، والانتقال السريع إلى شيء آخر ، وصرف انتباهه من مؤثر إلى مؤثر آخر ، وربما يطلب المنوِّم من الشخص المراد تنويمه الاهتمام بموضوع معين ، أي موضوع ، فليس لذلك أية أهمية عنده . وهنا نصل إلى حالة من العمل المفرط حيث يبدي المريض عوارض انهيار ويقوم المنوم بعد ذلك بتقديم بعض ما يطمئن المنوَّم بإعطائه أمراً واضحاً فيذهب المريض مباشرة في حالة (الغشية) .

إن ما يقوم به التلفزيون والفيديو يشبه إلى حد كبير أسلوب الارتباك في التنويم المغناطيسي الذي ينتهي بانتزاع أفكار أخرى قد تكون مغايرة تماماً لسابقتها وهذا ما تعمد إليه الجهات التي تتقن صناعة غسيل المخ [١] .

---

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ترجمة سهيل منينة ص ١٦٤ .

ويصف لنا جيري ماندر ما يحس به أمام شاشة التلفزيون حتى ليتصور المرء أن الجانب الإيجابي للعقل قد تراجع وانطوى على نفسه : (عندما أدير مفتاح الجهاز أحس بعد برهة بأن الصور تصب داخل رأسي وليس هناك أي شيء يمكنني عمله تجاه ذلك .. وإن التأثير الأول الناتج عن هذا هو تكوين سلوك فكري سلبي ، والمشاهد يترك الأمور تجري دون تدخل منه لأنه لا يمتلك شيئاً لايقاف الصور ، والأكثر من هذا هو أنه يجب أن يمهد كل سبل التقبل للتركيز على هذه الصور بوضوح ، حتى أن مجرد التفكير يؤدي إلى عملية تشويش كبيرة)[1] أليس هذا طريقاً إلى غسيل المخ إن لم يكن هو الغسل نفسه ، وما الوسيلة التي يستطيع المرء أن يدافع بها عن عقله وتراثه مادام غير قادر على توجيه سؤال أو استفسار أو دفاع مادام المرسل بعيداً عنه داخل أسوار قلعته التلفزيونية ؟ إنها مشكلة لايحس بها المرسل وإن كانت هي أحد الأهداف التي حملت لسانه إلى الميكرفون .

ونتيجه لذلك فإن الناس الذين تشكّلت عقولهم بقنوات سلبية ، بواسطة وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون والفيديو ، مستعدون بكثرة وسخاء في كل الأوقات لعملية زرع السمات المحددة تماماً وبهذه الطريقة يمكن ضمان اندماجهم مع الفكر الإعلاني والتلفزيوني وتقبله مع تقبل بعض التدخلات الحشوية التافهة دون أي معارضة تذكر[2] إن الجلوس بهدوء ودون وعي للتأثيرات الحسية الخارجية سوى الشاشة ، يمكن أن يصرف الناس عن الواقعية المألوفة ويسمح بتقبل أي واقع جديد يمكن أن يقدمه التلفزيون . إن الخيال يصبح مرتبطاً بما نشاهد بشكل كبير حتى أن خيارات الإنسان تلغى وقتياً أو يصيبها التشوه مستقبلاً . إن التابع يخضع تماماً لعملية تصميم عقله خلال برامج

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٧ .

(٢) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ترجمة سهيل منيمنة ص ٨٣ .

تتسم بالسهولة والسطحية ولكنها غنية بـالحيل الضوئيـة والحركيـة والصوتيـة ، ومـا يميزهـا أنهـا لا تنتمي إلى عـالم الـواقعيـة ولا تسـاعـد على البنـاء الإنسـاني الصحيـح ، ولكنهـا مـع الأسف ، تحث المشـاهـدين على التقـاط المعلـومـات الاعتباطية التي تبدو كما يصفها جيري ماندر : (كأنها مزروعة أصلاً في واقعيـة صلبة) [1] .

التلفزيون زعيم مسيطر :

إن قمة السقوط المأساوي والتردي المخيف في الحيـاة الإنسـانيـة أن يستنجـد المعذبون في الأرض بجلاديهم وقاتليهم متطلعين إلى الخلاص على أيديهم الملطخة بـدم الأحرار ، فعنـدمـا يُغرقُ الطوفـان كل شيء ، وتخمـد الأصوات ، وتيبس الحلوق ويصبح الموت هـو الخيـار الأمثـل ، يظهر الطـاغيـة على هيئـة المخلص الحاني الشفوق ، والأب العطوف الرقيق وبيده خشبة الخلاص الكاذبـة ، تجلله الأضواء الساطعة على إيقاع نشيد الأحلام الهائمة ، والآمـال المكبوتـه : الحريـة والكرامة ، الطعام الوفير والماء النمير ، محـاسبـة الـذين سـاهموا في إذلال الأمـة ومصادرة إرادتها وتطلعاتها وفي هذا الأمر يتحدث جيري مـانـدر قـائلاً : (إن أحـد التفسيرات التي سمعتهـا لظـاهرة هتلر ، تفيـد بـأن الأحـوال الاجتماعيـة والاقتصادية الفوضوية التي سادت ألمانيـا في الفترة التي تلت فـايمر ، قـام هتلر بمخاطبة الشعب بصوت رتيب ضخّمته المكروفونات وأجهزة الراديو ، وأحيـانـاً نشاطات وسباقات كانت تجري تحت أضواء ساطعة من أبراج عالية ، لقد صار ذلك نوعـاً من الخلاص من الفوضى على مستوى الأمـة وظهر طـريق بّين من الوضوح من خلال الفـوضى ، وإعـادة التجميـع من وسـط التشتت) ويلتفت الرجل إلى بلـده أمريكا ، ليبين أن مـا يسـود الإعـلام الامريكي لايختلف عمـا

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣ .

كان عليه الإعلام الهتلري : (والحالة لا تختلف عما يحصل في الولايات المتحدة اليوم ، ففي مجتمع تائه يفتقد فيه الانتماء ، وتغرق فيه التوقعات ، يبقى التلفزيون وحده الزعيم المسيطر المنوّم الذي يقدم بأسلوب واضح ، السبيل إلى الواقعية البديله ، إنه ثابت دائماً ، فمهما تغيرت الصور على الشاشة يبقى ذلك الضوء المتردد الواصل إلى عيوننا وشبكياتها . ومهما تغيرت الكلمات تبقى نبرة الصوت واحدة . ومهما قال المذيع فإنه يبقى هادئاً واثقاً ، ومهما كانت الأدوار تبقى البنية متكاملة والبرامج متلاحقة حين تتحد الصور وتتوالى تباعاً ، وعند ذلك يصبح العالم الواسع خيالاً بعيداً ، وهنا لايمكن عمل أي شيء سوى متابعة الصور والخيالات وسماع الأصوات ومشاهدة دورات من الواقعية تبنى وتُزال ، برنامجاً تلو الآخر)[١] .

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ترجمة سهيل منينة ص ١٦٦ .

الأسر التلفزيوني

التلفزيون جهاز الكتروني آسر ، لايدع المشاهد يستطيع الإفلات من جاذبيته ، لأنه يبعث فيه رغبة جامحة في متابعة الصور ، وملاحقة الحركات ، بل ويخلّف في المشاهد حسرة بسبب سرعة انتقال الصور وتغيرها قبل أن تملاها العين وتشبع منها النفس ، تماماً كما يقدم للظمآن في لهيب الصيف زجاجة من الكازور صغير الحجم لاتروي غلته ، فما إن يأتي على آخر نقطة منها حتى تثور في نفسه رغبة جامحة لثانية وثالثة ، إنها لقيمات دسمة ولكنها صغيرة الحجم لاتحرك الحنك بل تثير اللعاب وتحرك المعدة . إن هذا الذي يحدث هو الأسر التلفزيونى الذي لايضارعه سوى الأسر العسكري ، غير أن الأسر العسكري إذا قدر لصاحبه الخلاص منه خرج مرفوع الجبين ، أما من يقع في الأسر التلفزيوني فإنه يوم يتمكن من الفرار والإفلات من الشاشة فإنه يمضي مهدود القوى ، مكدوداً نادماً ولات ساعة مندم .

وقد فاقت جاذبية التلفزيون كل حد ، حتى أضحت إدماناً استسلمت له طوائف كثيرة من الناس ودخل التلفزيون إلى المصنع والمتجر وأكشاك السجائر والمرطبات ، ورافق المسافرين في مركباتهم ، والمتنزهين في نزهاتهم ، حتى أصبح الرفيق الدائم الذي لايمل ، والسمير المستعلي الذي لاينفك عن اللهو وترهات القول ، وطاب لكثير من الخلق أن يتناولوا طعامهم أمام شاشة التلفزيون ليساعدهم على ازدراد الطعام والتهام أكبر كمية منه حتى أطلقوا في أمريكا على طريقة الأكل هذه (غذاء التلفزيون) [1] التي تشير إلى أن الناس غدوا يتناولون وجبات طعامهم أثناء مشاهدة التلفزيون إذ يستسلم شعورهم وإحساساتهم للبرامج فلا يدرون كم أكلوا وشربوا ، كالذي يحدث للأبقار

---

(١) مني حداد يكن : أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام ص ١٩ مؤسسة الرسالة .

الحلوب عندما يعمد المربون إلى إسماعها نوعاً من الموسيقى تجذبها ، وتمتلك سمعها ، فلا تمسك لبناً في ضروعها : لأن من عادة الحيونات الحلوب إمساك جزء من حليبها لإرضاع صغارها .

ويتحدث جيري ماندر عما يشبه الأسر الذي يمارسه التلفزيون على المشاهدين فيقول : (لقد وضع صديقي (جاك إيدلسون) المشكلة كما يلي : ياله من أمر غريب !! فعندما أشاهد التلفزيون أصاب بالضجر ، ولكنني أبقى مسمراً أمامه ، إنني أكره ما أشاهد ، وأشعر بعدم الاهتمام الكلي ، ولكنني أستمر في المشاهدة) ويعقب جيري ماندر على هذا بقوله : (هذه الملاحظة قابلتها بالعديد من الملاحظات المشابهة خلال رسائل وصلتني ، وحتى الأطفال وصفوا تجربتهم التلفزيونية بنفس العبارات . إن نوعية الوسط التنويمية ـ الإدمانية تذهب إلى أبعد مدى لإبقاء المشاهد المصاب بالملل مستمراً قبالة الشاشة ، فالتلفزيون هو الإثارة الوحيدة في حياة أكثر الناس اليوم . والمنتجون والمخرجون التلفزيونيون الذين يدركون قدرات الوسط المحدودة ، قاموا بتطوير تقنية واسعة من الحيل يمكنها النجاح في إبقاء تعامل المشاهد بالرغم من عدم وجود أي رغبة منه في الاستمرار في المشاهدة .

ومعظم هذه الأساليب صممت أصلاً من قبل رجال الإعلان الذين يملكون عادة مبالغ ضخمة جاهزة لمثل هذه التجارب . وأصول معظم هذه التقنية تكمن في استغلال وقلب نزعة إنسانية عاطفية واحدة هي : الاهتمام باللحظات الهامة)[١] وهكذا يقوم المنتجون التلفزيونيون باختلاق الوهم لدي المتفرج كإشعاره بأن شيئاً غير اعتيادي يجري يسترعي الانتباه ويثير الفضول ، ويتم هذا بطريقتين الأولى : باللعب بالصور بطريقة كبيرة . والثانية : باختيار

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٤٧ .

مواضيع غريبة ومثيرة وغير مألوفة .

التجربة الشخصية في اكتشاف أساليب الأسر :

إن الأسلوب الذي تقدم به البرامج التلفزيونية هو الذي يشد المشاهد إلى المتابعة ويوقعه في الأسر التلفزيوني ، فكم من برنامج فقير المحتوى أخذ بمجامع المشاهدين ، فتسمروا أمامه ، وذلك بسبب ما حشد له من الأساليب الماكرة الخادعة التي تصرف الذهن إليها مبهوراً مأسوراً .

ويقترح (جيري ماندر) تجربة يقوم بها المشاهد ليكتشف بنفسه مدى اعتماد المؤسسة التلفزيونية على الحيل التقنية ، والخدع التصويرية لشد انتباهه واستمراره في عملية المشاهدة في أسر لافكاك منه إلا بسماع إشارة الختام ،ورؤية العلم الوطني يرفرف مختالاً مزهواً ، بل إن الأسر ليستمر حتى بعد توقف الإرسال على هيئة إحساس مرير بفراغ ثقيل يجعل صاحبه يتمنى لو استمر البث بغير انقطاع . ولنصغ الآن إلى جيري ماندر يحدثنا قائلاً :

(لتأخذ فكرة عن مقدار اعتماد التلفزيون على الحيل التقنية لانتزاع اهتمامك اقترح عليك أن تقوم بالتجربة التالية التي أسميتها تجربة (الأحداث التقنية) :

اصرف الانتباه عن الصورة ، وحاول أن تحصي عدد المرات التي ظهر فيها انتقال للصورة أو زوم « Zoom »[١] أو تطابق أو صوت مصاحب ، أو ظهور كلمات على الشاشة حادثة تقنية من أي نوع ، ستجد أن الطريقة تبدو كما يلي :

---

(١) Zoom زوم : اقتراب الكاميرا التلفزيونية بسرعة من الشيء ، أو ابتعادها عنه بحيث تبدو الصورة كأنما تزداد قرباً من المشاهد ، أو بعداً عنه .

إنك تنظر إلى وجه يتكلم ، وعند مجرد تعودك عليه يتم الانتقال إلى وجه آخر (حادثة تقنية) وربما أعيد المشهد إلى الوجه الأول بعد ذلك (حادثة تقنية) ثم تروح الكاميرا بالتراجع لإعطاء صورة أوسع للمشهد (مقطع تقني) وفجاة ينتقل المشهد إلى الشارع (مقطع تقني) وربما يقطع هذه المشاهد مناظر أخرى مصاحبة للقصة ، ربما تكون مسلسلة من الصور لسائق يسرع بسيارته لملاقاة أناس على الشارع (مقطع تقني) وترتفع الموسيقى (حادثة تقنية) وهكذا دواليك ....

إن كل حادثة تقنية وضعت قصداً لاستبقاء انتباهك . والتأثير يكون في كل مرة تحاول فيها إراحة انتباهك فتشدك حادثة تقنية أخرى ، وهذا التأثير يستمر لوقت طويل ولا يتوقف إذ لو توقف ذلك لأدركت فراغ المحتوى الذي يمكن تمريره من خلال الحدود الضمنية للوسط ، وهنا تنتبه لوجود الملل : إنك لم تكن لتجلس أمام التلفزيون لمدة طويلة لو لم تتحرك الكاميرا ولو لم تتقطع المشاهد ...) [١] .

ومما يزيد الأمر خطورة ، ويُحكِم أسر المشاهدين ، أن الاعتماد ، في جذب الانتباه ، على الأحداث التقنية ينشئ في المشاهدين الرغبة ، التي تصل إلى حد الإدمان في رؤية المزيد من تغير الأحداث التقنية ، وتنقل الكاميرا بين الوجوه والنواحي ، ومختلف الصور والأحوال ، إنها الحالة التي عمل لها المسيطرون على أجهزة الإرسال التلفزيوني والعاملون في مجاله ، ليدفعوا المشاهد إلى التعلق بحادثه تقنية جديدة قبل أن يلتقط أنفاسه من أثر الحادثة السابقة .

---

(١) جيري ماندر ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٥٠ .

الأسر التلفزيوني واختيار اللحظات المبهرة :

إن أساليب الإثارة التلفزيونية لاتعبر عن الواقع الكلي ، بل عن مقطعات وفواصل لا تمثل الحقيقة الكلية ، وهذا جزء من خطة معتمدة مدروسة تعمل على زيادة الأسر التلفزيوني . وقد قال أحد المحررين التلفزيونيين [١] : إن عملنا يكمن في قطع المشاهد الميتة واللحظات المملة التي لا تحقق غرضنا ، والطريقة في ذلك تتضمن الإزالة الروتينية للفواصل التي لا تحتوي الكثير من الإثارة الصورية ، ثم نقوم بضغط القطع المتبقية في مونتاج واحد من الإثارة الصورية المستمرة .

وقد أخبرني أحد الذين لهم صلة برجال الإعلام التلفزيوني أنه قد أعيد تصوير إحدى المقابلات مع شاب بريء عشرات المرات لانتزاع الكلمات من فمه اعترافاً لما لم تقترفه يداه ، ثم اختيرت اللقطات التي تساعد على تلفيق التهمة بقصد إثارة الرأي العام ضده وقبول الحكم الجائر تجاهه .

وإن المرء ليشعر بالأسى المرير لتلك الفجوة الواسعة بين الواقع الذي يحياه المشاهد ،وبين هذه الخيالات الدعائية البراقة التي تُسيل اللعاب لما يعرضه التلفزيون أمام أبصارنا : إن ما يعرض على شاشة التلفزيون ، مما يدعى بالتحقيق التلفزيوني ، أو الصحفي ، أو المقابلة ـ لايتعدى كونه لحظات تمثيلية يقوم بها الطبيب عندما نريد تقديم الوجه المشرف للمؤسسات العلاجية ، أو المهندس عندما نتوجه إلى المواطن بحرصنا على سلامته إذ نشق له الشوارع والأنفاق ونبني له القصور الشاهقات على أصلب الأسس وأرقى التصميات ، أو البائع ، أو غيره ، لأن كل واحد من هؤلاء يكون أمام الكاميرا بكامل وعيه وإدراكه ، ولا يريد أن تنقل صورته إلى الشاشة إلا في أحب ما

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

يتمنى أن يراه الناس عليها ؛ أما اللحظات الأخرى التي يهمل فيها ذلك الطبيب أو غيره واجبه ، فيبش ويهش لأغنياء المرضى وقادريهم أو ذوي السلطة والصولجان ، بينما يكشر لفقراء المرضى الذين لايملكون مالاً ولا جاهاً دنيوياً ولا سلطاناً ، ويدعهم يتضورون ألماً دون أن يخفف عنهم ما يؤذيهم ويؤلمهم ، إن لحظات الخزي والعار هذه لامكان لها على الشاشة لأنها تفسد على ذوي السلطان سلطانهم . وهكذا الأمر في أكثر المواقع التي تدور فيها المحركات ، أو تظهر فيها المنتجات أو تفتح فيها المشاريع ، أو توضع لها حجارة الأساس ، بينما الحياة راكدة تعسة متعفنة ، يلفها الحرمان ، ويقهرها الطغيان ، وتربض على صدرها أثقال لاقبل للبشرية بحملها ، من الذل والهوان .

أليس هذا شبيهاً بحالة (فصام الشخصية) التي يراد لها أن تكون العلامة الفارقة المميزة لأمة أضناها البحث عن طائر العنقاء الذي تبحث عنه فيما بين يديها فيما يقال لها إنها تملكه : الحرية والكرامة الإنسانية وتكافؤ الفرص ، والحكم بشريعة الله !! لقد أريد للتلفزيون أن يكون كامة تمنع من الحديث عن الآلام والأحلام ، ومنظاراً يريك أنك في أرغد عيش مع أنك في الحقيقة تقاسي أشد ويلات الحياة وأضنك مراتب الحرمان !!

مستقبل الإعلام التلفزيوني الموجه

دخل الإعلام التلفزيوني منعطفاً خطيراً له أبعاده المستقبلية على حضارة الإنسان وتوجهاته ، وذلك بعد التوصل إلى طريقة البث بواسطة الأقمار الصناعية ، ولو بقيت هذه الطريقة كما ابتدأت لهان الخطب وذلك عندما كان القمر الصناعي يستقبل البرامج من محطة أرضية ، ويبثها من جديد إلى محطات أخرى أرضية في بلاد نائية ، ثم تتولى هذه المحطات المستقبلة ، بدورها توجيه البث إلى تلفزيونات بلدها ، أو البلدان التي تقع في مدى دائرتها التلفزيونية . ولكن الذهن البشري تفتق عن ابتكارات جديدة إذ أضحى الأمر على غاية من التحدي الحقيقي لإرادة الشعوب وطموحاتها ، وذلك بالاستغناء تماماً عن المحطات الأرضية المستقبلة إذ أصبح البث مباشراً من المحطة الأرضية الموجهة مروراً بالأقمار الصناعية ومنها مباشرة إلى تلفزيونات بقعة من العالم أو العالم كله في لحظة واحدة ، دون المرور على المحطات الوطنية التي فقدت سيطرتها بطرفة عين في مراقبة أو انتقاء البرامج ، وأضحى الأمر كله في يد المرسل .

ومن يدري فلعل المستقبل القريب يكشف عن إمكانية البث المباشر من المحطات الأرضية دون الاستعانة بالأقمار الصناعية ، فتعبر الذبذبات (الكهرومغناطيسية) المحيطات والقفار متسللة لبيوتنا من حيث لا نحتسب ، فما زال الإنسان جاداً في تطوير ما توصل إليه ، ويبدو أن مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي لن تتوقف عند حد ، انطلاقاً من منظورنا البشري ، ما دام الإنسان ما يزال يؤدي دور الخلافة في الأرض ، وعند حدوث ذلك التطور الرهيب يخرج الأمر تماماً من يد أي سلطة ما دامت الأمور الأساسية في بناء الإنسان تجري وفق مبدأ من استهموا على سفينة كما يصورهم الحديث

النبوي الشريف [١] . إن المنحنى الذي تسير بموجبه حركة التطور العلمي تشي باحتمالات كثيرة ، وتوقعات معقولة لاحدود لها ، يسوقها الخيال العلمي الذي منحه الله للإنسان . وإن الثورة المستمرة في عالم الاتصالات تدعو ذوي البصائر النيرة ، والدعوات الصادقة الأمينة ، إلى التشبث بالحق ، والاحتكام لله في شريعته ومنهاجه ، لأن في ذلك درءاً للمفاسد ، وحفظاً للأجيال الحالية والقادمة من الوقوع في براثن الباطل الذي يعمل بعناد على استذلال الإنسان ، وكبت ما فيه من خير ليكون طوع بنان الأشرار الذين يقيمون أمجادهم وسلطانهم على أطلال الحق وجماجم المؤمنين .

وإن هذا التطور المخيف يتيح لسعاة الفساد وأهله استغلال الإمكانات الهائلة ، واستخدامها في الغزو الثقافي والروحي والعقدي الذي يعمل على إعلاء كلمة الباطل ، وإطفاء جذوة الحق ، وذلك عن طريق البث الموجه من مكان ما من العالم لا تحدد هويته ، ويعتبر شكلاً من أشكال الإذاعات السرية أو أسلوباً من أساليب القرصنة الإذاعية بحيث تبث على قناة دولة مستهدفة ، أو منطقة معينة [٢] لا سيما وأن تطوراً مذهلاً يجري الآن على أجهزة التلفزيون نفسها لتتمكن من استيعاب / ٢٠٠ / مائتي قناة تلفزيونية ، ولا ندري وليس من المستبعد أن تزيد هذه القنوات في المستقبل زيادة ليست في الحسبان مما

---

(١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخاري في كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة ؟ والاستهام فيه ، وروى نحوه في كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات (٢ / ١١١ ، ١٦٤) والترمذي (٢ / ٦٢) والبيهقي (١٠ / ٢٨٨) وأحمد (٤ / ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٧٣) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حديث رقم ٦٩ .

(٢) الدكتورة ماجي حسين الحلواني : مدخل إلى الإذاعات الموجهة .

يجعل الهواة يتوجهون برسائلهم الإعلامية عبر قنوات تمكنهم من اللهو والعبث بأوقات الناس وأعصابهم وعقولهم .

العالم كله أمام شاشة واحدة :

تحت هذا العنوان ، كتبت جريدة الأهرام القاهرية في نهاية عام ١٩٨٤ ، وهي تستشرف عام ١٩٨٥ الميلادي فقالت : (لم يعد حلماً أن ننتقل بين دول العالم المختلفه في ثوان معدودة ، ونشهد ما تشهده شعوب هذه الدول على شاشات تلفزيوناتهم ، وذلك بإدارة مفاتيح التلفزيون التي تمتلكها ، فقبل مالا يزيد عن عشرة أيام كنا ننتظر أن يحدث ذلك من خلال البث المباشر عن طريق أقمار الاتصالات : إلاّ أننا الآن وبعد الطريقة الجديدة التي أعلن التوصل إليها علماء سوفييت ـ ننتظر أن نستقبل الإشارات التلفزيونية بكل ما تنقله من برامج سواء من الشرق أو الغرب ، كما نستقبل تماماً منذ فترة طويلة إشارات الراديو التي تتزاحم موجاتها وتتعارك في الغلاف الجوي .

(وإذا كان علماء الاجتماع والسلوكيات يتخوفون ويحذرون من تأثيرات الاستقبال المنزلي المباشر عن طريق أقمار الاتصالات على الكيانات الثقافية السلوكية والنفسية للمجتمعات النامية حيث لايمكن فرض ضوابط ، أو رقابة على استقبال البرامج التلفزيونية ـ فماذا يكون موقفهم من الابتكار السوفيتي الجديد الذي يحقق بشكل قاطع وواضح فكرة القرية العالمية التي افترضها عالم الاتصال واللغويات الكندي الراحل (مارشال ماكوهان) وماذا يكون موقف العلماء السوفييت أنفسهم من انتشار هذه الطريقة وتأثير البرامج التلفزيونية الغربية على المواطن السوفييتي (الشيوعي) خاصة في مجال الأفكار السياسية .. ثم ماذا يكون تأثير الابتكار الجديد على صناعة الفضاء الغربية والتي تعتمد بشكل كبير على تصنيع وإطلاق أقمار الاتصالات لأغراض تجارية)[1] .

---

(١) الأهرام ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٤ .

وطالعتنا الصحيفة ذاتها ، بعد عام تقريباً من خبرها السابق ، في الزاوية اليومية (علوم) التي يحررها صلاح جلال بخبر جديد عن أكبر شبكة اتصال في العالم تستخدم سبعة أقمار صناعية فقالت : (إن التطور المذهل في عالم الاتصالات بلغ حد استكمال أكبر شبكة للاتصالات لنقل البرامج التلفزيونية بين دول العالم ، أقامتها مؤسسة (بريتش تليكوم الدولية) تربط (٩٣) مركزاً في (٥٢) دولة بواسطة (٧) أقمار صناعية ، وسيمكن عن طريق هذه الشبكة تبادل البرامج ، والأحداث الهامة على الهواء مباشرة ، بين أي مكان في العالم وهوائيات الاستقبال العامة والخاصة على السواء)[١] .

وهكذا ، نرى أنه سيتمكن ، قريباً جداً مشاهدو التلفزيون ـ ومنهم المسلمين ـ من التقاط البرامج من الأقمار الصناعية مباشرة دون اللجوء إلى محطة تقوية أرضية وطنية ، عن طريق استخدام هوائي خاص (إيريال) لهذا الغرض وبذلك تفقد المحطات الأرضية سيطرتها على توجيه الرأي العام الذي سيصبح نهباً للانحراف الفكري والخلقي لما يتلقاه من محطات عدوة موجَّهة قد تستخدم أقماراً صناعية .

ومما يزيد الأمر خطورة بالنسبة للبلاد العربية أو الإسلامية القريبة من فلسطين توقع استخدام اليهود لمحطات أرضية موجهة أو أن تستعين بالأقمار الصناعية ، لتبعث ببرامجها المعدة لهذا الغرض فتتسلل ، دون عائق ، مع الأثير لتدخل البيوت ، وتدمر العقول ، وتزعزع العقائد .

ومن قبل أنشئ التلفزيون الإسرائيلي قبل موعده لمقارعة التلفزيون العربي ، وفي ذلك يقول (حايم ياحيل) رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون الإسرائيلي : (لقد تم إدخال التلفزيون إلى إسرائيل في موعد سابق على الموعد

---

(١) الأهرام ٢٣ / ١٢ / ١٩٨٥ .

المحدد له أصلاً ، من أجل مواجهة تدفق البرامج التي ترسلها المحطات العربية المجاورة ، واتجهت النية بادئ ذي بدء إلى الإرسال ثلاث ساعات باللغة العبرية ، مقابل ساعة ونصف باللغة العربية بعد أن كانت ساعة واحدة في بداية الإرسال بقصد التأثير إعلامياً على الجماهير العربية في الدول العربية المجاورة لإسرائيل ، وحتى يشد أزر شقيقته الإذاعة الإسرائيلية (البرنامج العربي) في تغطية وتوجيه الحرب النفسية الضارية) [١] .

إننا نواجه عدواً شرساً لا يضيع فرصة للإيقاع بنا عن طريق أية وسيلة ، ولا تقل الحرب الإعلامية التي تخوضها اليهودية ضد أمتنا عن تلك الحرب التي تشعلها كلما آنست في المسلمين روح الجهاد تعود من جديد لتحفز الأمة على غسل هذا العار الشنيع الذي انتصب في أرضنا منذ الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨ ، ولذلك فإن إسرائيل تستعد للتشويش على القمر الصناعي العربي (عرب سات) الذي أطلقته الجامعة العربية في منتصف عام ١٩٨٥ بقصد تحسين الخدمات الإعلامية على امتداد البلاد العربية .

وكتب الإذاعي المصري الأستاذ إيهاب الأزهري عن خطر القمر الصناعي العربي وغيره فقال : (شغلني دائماً مصير الإنسان المصري والعربي تحت تأثير سيطرة أجهزة الإعلام على عقله ، الذي أجمع كل من يعلمون أنه تأثير ضار .. لم يقل بغير هذا إلا الذين لايعلمون ! ويشغلني اليوم قرب وصول أخ جديد لأجهزة الإعلام سيكون ذا تأثير أكثر خطراً على الإنسان وعقله وثقافته .. وهو القمر الصناعي العربي وغير العربي الذي سيجعل قنوات التلفزيون في العالم عند أطراف أصابع الإنسان المصري) [٢] .

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ٩١ .

(٢) الأهرام : ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٤ .

إن خطراً حقيقياً تنعقد ألويته فوق رؤوسنا يبغي إخراجنا عن ملتنا ، وتعبيدنا لغير الله أو استذلالنا وجعلنا أرقاء وعبيداً ، يدفعنا أي باغ ويشدنا أحط أفاك لتمضي بنا القافلة إلى الهاوية ، بغير شفيع .

التلفزيون والكذب على الأحياء

من اسهل على الكذاب المحترف أن يكذب على الأموات فيروي عنهم مالم يقولوه أو يفعلوه ، ولكنه يجد صعوبة في الكذب على الأحياء ، وإن كان لايتورع عن ذلك إن وجد سبيلاً لا تعرضه للمساءلة ، ولكن الإعلام بكافة وسائله والتلفزيون على وجه الخصوص استطاع الكذب على الأحياء عن طريق التلاعب بالمعلومات أو التزيد فيها ، أو اختلاقها .

ولعل كثيرا من الأخبار والروايات التي أخرجت إخراجاً فنياً ماهراً ، قد أخذت لها مكان الصدارة والصدق عند المشاهدين ولم تكن غير افتراءٍ محض وكذب قُصِدَ به التأثير في الجماهير قلباً للحقائق ، وتزويراً على التاريخ ، انطلاقاً من مبادئ النفاق التي تقول : اكذب ثم اكذب فلابد أن يصدقك الناس أو بعض الناس . ولا شك في أن المشاهدين في أكثر من بلد إسلامي قد لمسوا هذا المنحى الأثيم في كثير من البرامج التي تقلب الحقائق ، وتزور الوقائع ، وتكذب على الذقون إدراكاً منها أنها سوف تجد من يصدقها ، ويهلل لها .

وليست ديارنا هي الوحيدة في ذلك ، فهناك ، في أمريكا التي يغلف فيها الإعلام كل شيء ويداخله تجد المنحى نفسه يسيطر على أجهزة الإعلام ، فهذا (جيري ماندر) يحدثنا على التلفزيون الأمريكي وكيف يبني برامجه على الأوهام والخيالات المريضة التي ما هي إلا بعض أركان الكذب والنفاق يقول : (هل تتذكر عملية إطلاق النار في فندق (هوارد جونسون) بمدينة (نيو أورليانز) منذ عدة سنوات ؟

لقد شاهدت الحادثة التي عُرِضت على شاشة التلفزيون إذ قوطع البرنامج العادي لينقل إلى (نيو أورليانز) حيث احتلت عصابة من الثوار السود

طوابق الفندق العليا وقاموا باغتيال النزلاء البيض . لقد كانت قصة رهيبة .
وتجلت صور حرب عنصرية في ذهني حين قال المذيع بأن قوة بوليسية كبيرة
في طريقها إلى مكان الحادثه ، ثم رأيت طوافات وأفراد الشرطة شاهرين
مسدساتهم ووجوهاً كثيرة قلقة ، لم أر أي ثائر أسود مع أنني تخيلتهم جميعاً ،
وكان الشرطي أمام المذياع يقوم بإعطاء أوصافهم ، أما حصيلة الموتى البيض
فلم تكن تحددت بعد . وأما عدد القتلى من رجال الشرطة فقد تجاوز اثني عشر
حسب قوله .

وعودة إلى البرنامج المقرر .

وفي الصباح كان الحصار قد انفك واستطاع البوليس العثور على جثه أحد
الثوار ، وكان يبدو أنه قتل منذ فترة ، وتبقى قتيل واحد من النزلاء وثمانية
من رجال الشرطة ، ويبدو أن البوليس كان مندهشاً لتمكن باقي أفراد العصابة
من الفرار ، وبعد الحادثة بأسبوع نشر بوليس (نيو أورليانز) تقريراً أوضح
فيه أن نزيلاً واحداً أبيض قتل ، وأن رجلاً واحداً أسود قد قام بالعملية ، ولم
يكن من الثوار ، بل كان شخصاً معتوهاً ، وقتل الرجل قبل ثماني ساعات من
انتهاء عمليات الوهم أما قتلى البوليس فقد أصيبوا برصاص بعضهم بعضاً أثناء
إطلاق النار عشوائياً) [١] .

أين الحقيقة فيما نشاهد على الشاشة :

إذا عدنا إلى هذا المقطع التلفزيوني الحي والذي يعتبره المشاهدون
- متوهمين - من أدسم البرامج وأصدقها لأنه ينقل الخبر مباشرة من مسرح
الأحداث دون تدخل من مؤلف أو مخرج ، ولنر ما فعلت فيه روح الإعلام
النكد :

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٤٢ .

قوطع البرنامج العادي ، وتوقف ليعلن المذيع الانتقال إلى (نيو أورليانز) وهذا وحده كافٍ لإثارة انتباه المشاهدين وتحفز إحساساتهم وهذا ما نلحظه أحياناً في إذاعاتنا وتلفزيوناتنا عندما تقطع البرامج لإذاعة نبأ على طريقة : جاءنا مايلي !! أو الانتقال غير المتوقع لإذاعة خارجية منقولة من ......

ثم أعلن الشرطي المكلف بمخاطبة الجمهور أن عصابة من الثوار السود احتلت طوابق فندق (هوارد جونسون) العليا وقاموا باغتيال النزلاء البيض ، وقد تبين بعد ذلك أنه لم تكن هناك عصابة ولا ثوار ولا اغتيال لنزلاء ، بل كان الفاعل واحداً أسود معتوهاً وليس ثورياً ولم يكن بين القتلى إلا نزيل أبيض واحد ، ومن المدهش حقاً أن الشرطي المذيع أعطى المشاهدين أوصاف هؤلاء الثوار وسماتهم !! وقرر أن عدد قتلى رجال الشرطة اثنا عشر رجلاً، وقد تبين بعد ذلك أن عدد هؤلاء ثمانية فقط فمن أين أتى بالأربعة القتلى أم أنه نفخ الروح بعد ذلك في أربعة من أحبهم إليه ، وكم كان رجال البوليس مندهشين لتمكن الثوار ، أفراد العصابة من الفرار ؟ لقد استمرت عمليات الوهم ثمانية ساعات أخرى بعد قتل المعتوه المسكين ، وتولى فيها رجال الشرطة قتل بعضهم بعضاً ، ولم يجدوا غير نزيل أبيض واحد مقتول !!

لقد شاهد البرنامج كثيرون تلقوا في ذروة انفعالهم أخباراً موهومة ملفقة ، وذهب أكثرهم بعد ذلك إلى أعمالهم أو غطوا في نوم عميق ، ولما نشر بوليس (أورليانز) تقريره عن الحادثه تلك ، فعلى الأغلب أنه لم يقرأ هذا التقرير ولم يطلع عليه معظم أولئك الذين شدتهم صور المعركة ووصف المذيع ، وهكذا سيمكثون مدة طويلة أسرى هذه المشاهد وما خلفته من استنتاجات ، أما أولئك الذين قدر لهم متابعة الخبر وقراءة تقرير الشرطة فسوف يصابون بالارتياح والذهول معاً ، فلا شك بأن قلة الخسائر في الأرواح مدعاة

للارتياح ، وأما الحقيقة التي ازدانت بالكذب وتوّجت بالاختلاق فإنها مأساة أخرى تبعث على الذهول والأسف . وهل تعني هذه النتائج القائمين على البرامج والمخططين لها أو تثير فيهم شيئاً ؟ إن الذي يرضيهم أن ما حدث يشد انتباه المشاهد ويسمره أمام الشاشة المرتعشة ، وإذا كانت الحقيقة قد ضاعت في برنامج حي يفترض أنه يصور الحقيقه ، فما بالنا بتلك البرامج التي تعد سلفاً وبسابق تصور وإصرار ؟

شبكة عالمية من الأفاكين والمضللين :

وليت الأمر بقي عند الوقوع في مثل هذه المصادفات لاتخاذها مادة لربط الناس بالتلفزيون ، ولكن ما يجري في الحقيقة قد تعدى ذلك إلى حدّ أن هناك مؤسسات تقوم على تلفيق الأخبار والحوادث لزيادة تفاقم أزمة الإنسان ، وقد بُثَّ مندوبوها هنا وهناك ، بما يشكل شبكة عالمية من أفاكين ومضللين لايرعون الله فيما يقولون ، ولا يدور بخلدهم إلا الضلال والإضلال وقبض أجور خياناتهم للإنسانية .

ففي نيسان (إبريل) ١٩٧٦ جاء في صحيفة (دايلي نيوز) التي تصدر في شيكاغو أن رجال وكالة الاستخبارات المركزية المتواجدين في مناطق ليس لها فيها مراسلون صحفيون كأفريقيا الوسطى وأدغال أمريكا الجنوبية وغيرها ، كانوا يؤلفون روايات خيالية لمائتي صحيفة ، وثلاثين مركزاً إخبارياً ، وعشرين من شبكات الراديو والتلفزيون ، وخمسةً وعشرين ناشراً ، كلها أجنبية ، وكانت الروايات المختلقة التي اختصت أحياناً بالحركات الفدائية تنشر على أساس أنها حقيقة في تلك البلدان ثم يلتقطها جهاز الإعلام الأمريكي . وكان الهدف من مثل تلك الروايات هو التلاعب بالمعلومات ، بحيث تظن الحكومات ، ومنها الحكومة الأمريكية ، بجدية وقوع بعض الأحداث التي لا أساس لها من الصحة مما يترتب على ذلك صدور قرارات سياسية تعتمد على

تلك المعلومات التي تؤثر بالتالي على الجمهور والسياسات العالمية [١] .

حتى الحقائق فليس بمقدور التلفزيون تقديمها كاملة ، إن أراد الصدق ، فالمعلومات التي يوردها تكون محدودة ضمنياً بالوقت المخصص لها ، على عكس المعلومات نفسها التي نقرأها في الكتب ، وبذلك فمن المستحيل عرض كل ما يتعلق بالمادة أو حتى أساسياتها وأهدافها ولذا فإنه يُعمد إلى تكثيف المادة أو بعضها ، وهذا ما يقود إلى أن تكون النتيجه عادة : تحريفاً وتشويهاً .

الاستغراق في الخيال والبعد عن الحقيقه :

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، ولكن التلفزيون يأبى إلاّ أن يعبث بهذا الخلق لينسجه على هواه ، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان قائلاً : ﴿ **ولا تمشِ في الأرض مرحاً ، إنك لن تخرِقَ الأرضَ ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ [٢] فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل ، لايبلغ شيئاً من الأجسام الضخمة التي خلقها الله إنما هو قوي بقوة الله ، عزيز بعزة الله ، كريم بروحه الذي نفخه الله فيه ليتصل به ويراقبه ولا ينساه [٣] .

إن التلفزيون يجعل الإنسان يطير في الهواء ويمشي فوق الماء وتحت الماء ، ويخترق الجبال ، فإذا اقترب من حصن اقتحمه ، وإن صادف جبلاً اخترقه ونفذ من جانبه الآخر ، سيره أسرع من السحاب ،وبصره يخترق كل حجاب ، يبني قلعة في لحظة ،ويجعلها قاعاً صفصفاً في طرفة عين ، لاتقف في وجهه السدود ، ولا تحد من حركاته الحدود ، حتى الحيوانات الأليفة الضعيفة يهبها التلفزيون العملقة ، ويمنحها خوارق العادات ويذل لها الأسود ويخضع لجبروتها الفرسان .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٤٣ .

(٢) الإسراء : ٣٧ .

(٣) في ظلال القرآن ، ص ٢٢٢٨ .

وإلى مثل هذا أشار الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد بقوله : (في هذا الإطار يمكن أن أستعرض بعضاً من المواقف غير المطابقة للواقع ـ وما أكثرها ـ في حلقات (عدنان ولينا) الذي يعرض للأطفال على الشاشات الصغيرة في دول الخليج ، فعدنان شخصية ذات قدرات وإمكانات خرافية يلقي بنفسه من أعلا المرتفعات إلى قاع البحر ، وبحربة صغيرة يقتل الحوت الكبير ، وعلى كتفيه الهزيلين يحمل الحوت ويستخدمه في مناوراته ، إنه يعرف كيف ينتصر على عشرات الأعداء الأقوياء ، ويعرف كيف يخلص نفسه من القيود الحديدية ، وعلى ظهره الهزيل يحمل حائطاً ضخماً ليلقي به على الأعداء فيموتون بسرعة)[1] . وهكذا تستغل إمكانات التلفزيون للاختلاق ، والتضخيم ، والبعد عن الحقيقة ، ودفع الناس للاستغراق في الخيال وقبول الأوهام .

لقد جعل التلفزيون من الاستثناء قاعدة أساسية ، مع أن الاستثناء هو من الأمور التي لايعتد بها في بناء الحياة ومجريات القضايا . فقد يسقط طفل من الطابق الثاني أو الثالث ولا يصاب بأذى لسبب مّا قدّره الله وهذا استثناء قدري من المشهود الذي نراه من أن السقوط من مثل هذه الأعالي إلى الأرض يفضي إلى إصابات خطيرة أو الموت ، وإذا حدث ذلك بغير أذى فليس من الإيمان ولا المعقول أن نقنع أنفسنا وأولادنا بأن ذلك ممكن دائماً وليس عليهم إذا أرادوا الطيران في الهواء إلا أن يقولوا : (أمي قذفتني والملائكة تلقتني) كما كنا نتوهم أيام كنا صغاراً نمتطي الجدران ، ونلقي بأنفسنا على كومة من رمال ، ولا يدع التلفزيون هذا الأمر الاستثنائي يمر حتى يجعل منه قاعدة تنظم كل ما يصوره من برامج الأطفال وأفلام الكرتون الموجهة إليهم . وهذا

---

(١) الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ، ج ٢ ص ٢١٥ إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

اعتداء على خلق الإنسان السوي روحاً وجسداً ، وتزييف للواقع وترغيب في الاستغراق الخيالي الباطل .

الرجل الألكترون :

يتحدث جيري ماندر عن بعض ما يدور على شاشة التلفزيون من اختلاق موجودات صماء جمادية لا تحس ، ولا ترى ، ولا تسمع ، بل لا تتحرك بنفسها ، ولكن ما إن تظهر على الشاشة حتى نراها تؤدي حركات خارقة للعادات ، فهي تقوم بأعمال يعجز العتاة الجبارون عن القيام بها أو بعشر معشار منها ، وهذا ما يصيب الأطفال خاصة ، بالذهول والانبهار والإحباط لعدم تمكنهم من القيام بمثلها ، أو تنمي فيهم خيالاً كاذباً واهماً يخالط عقولهم وأمزجتهم ويكون جزءاً من شخصياتهم . يقول جيري ماندر :

(إن ابني (كاي) لايزال يسألني إن كان الرجل الألكترون حقيقياً ، وهل هذه الشخصية الخرافية في قصة حقيقية أم لا ؟ فأخبرته أن جوابي له في الأسبوع الماضي كان النفي ، وبأن الرجل ممثلٌ ، والقصة مصطنعة (مفبركة) :

فقال : ولكن أليس هو شخص موجود على الشاشة ؟

نعم ، ولكنه يقوم بقفزات جبارة ، ويرمي السيارات ، وغير هذا ، والإنسان لايستطيع القيام بذلك .

هل كوتر حقيقي ؟ هل هو مدرسة حقيقية ؟

كلا فكوتر ممثل ، والأولاد ممثلون .

أتعني أن أولئك الأولاد لايذهبون إلى المدرسة ؟

ليس هناك مدرسة ، إنه استوديو في مبنى التلفزيون .

وما هو الاستوديو ؟

إنه مكان يتم فيه تصوير مشاهد تبدو كأنها حقيقية ، ولكنها ليست كذلك ، وكل الأشخاص يلعبون أدواراً معينة .

ويعلق جيري ماندر على مادار من حوار بينه وبين ابنه فيقول : نحن يمكننا أن ندرك أن الأشياء التي نراها على الشاشة الصغيرة غير صحيحة وغير حقيقية ، إنها تسير بعكس الطبيعة المخلوقة ، ولكن كيف يمكن لطفل أن يفهم ذلك ؟ إنه لايملك المقدرة على التميز بين الحقيقي وغير الحقيقي)(١) .

تُرى ، وهل يكون أبناء المسلمين أقل حيرة وضياعاً من (كاي) ؟ إن الطفولة واحدة في كل أطفال العالم لافرق في ذلك بين أبناء المسلمين وغيرهم ، إنهم جميعاً ضحايا هذا السيل الجارف الذي يحفر في أدمغتهم أخاديد ، ويخط رسوماً ، ويقود إلى العثرات .

وإذا كان الأطفال ، في هذا الجيل التلفزيوني المنكوب ، ضحايا تآمر آثم ، فليس الكبار بمنأى عن التأثر بنتائج اصطناع الحوادث وتشويه الحقائق ، فقد غدت الحياة الحقيقية عند المتفرجين عبارة عن الجلوس في غرفة معتمة ، والتمعن في ضوء متلألئ ، واستقبال صورة مبرمجة مقطعة وموضبة وملفوفة ، مسرعة ومبطأة ، وهذا ما يؤكده جيري ماندر حين يقول : (كان واضحاً لدي من خلال عملي وجود خطأ مّا في قدرة الناس على فهم الأمور ، فقد برز نوع جديد من التشويش للعقول ، وراح تبصرهم وتمييزهم للأمور في الانحدار ، ولم يكن في مقدورهم على ما يبدو التميز بين الخبر المبدل الصادر عن آلة صماء ، وذلك الذي يصلهم عن طريق التجربة الشخصية ، يبدو أننا أخذنا نصدق كل ما نراه لدرجة الهيمنة على عقلنا الواعي »(٢) .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ١٥

التلفزيون وحجب الحقيقة :

لم يكتف المبرمجون والمخرجون باختلاق الحوادث ، واصطناع الشخصيات الخرافية ، فالتفتوا إلى الحقيقة يجردونها من واقعيتها ،و راحوا ينتقون ما يحلو لهم من أجزائها ، أو يحقق أغراضهم ، ويجردونها من ملابساتها .

فحين تعرض عليك الشاشة باريس ، مثلاً ، أو لندن فإنها تغزوك ، عن قصد ، بما انتقته من الصور لأجمل المواقع وأكثرها نظاماً وتألقاً وجاذبية ، فتثبت في مخيلتك أحسن التصور وأجمله عنها ، وتثير فيك الوهم بأن مالم تره منها قد يكون أجمل مما شهدت لأن المثل يقول : فما راءٍ كمن سمع ، حتى أنك تتخيلها وكأنها جنة ، وأن السعادة لا توجد بكاملها إلاّ هناك ، فتغفو على أحلام ، وتستيقظ على أشواق ، وكم تفاجأ حينما تذهب إليها فتجد المتناقضات العجيبة فمن مخمور ملقى على حافة الطريق ، إلى عصابات تتدارس الوجوه الغريبة عن البلد لتقتنص منها ما تمتلك بالحيلة أو بالإكراه ، إلى الهيبيين الذين يؤذونك برائحتهم التي لا تماثلها حتى الروائح التي تنبعث من حظائر البهائم ، إلى الشذوذ السلوكي والجنسي ، إلى سؤر الكلاب الذي يملأ الأرصفة والذي حمل من يعرف الطهارة على السير على قارعة الطريق .. كل هذه الأمور لم يخبرك التلفزيون عنها ، بل تجنب حتى الحديث حولها والإشارة إليها ، أو الاعتذار عنها وكأنها ليست شيئاً ، فقد كان همه أن يطبع في مخيلتك أجمل الصور .. إنه زيَّن لك البلد ، وحببه إليك وأخفى عنك مالا يريد إظهاره .

من المسيطر على الإعلام ؟

يكاد العالم يكوّن الآن ، شبكة إعلامية تلف كرتنا الأرضية ، وتطوف سماءها . تصطرع ذبذباتها ، وتتنافر موجاتها ، فيتناثر هنا وهناك رماد شياطينها الحمقاء ، أو تسقط نيازكها في الأزقة والحواري ، أو على الرؤوس والهامات ، ومن الطبيعي أن يكون التلفزيون سيد المعركة وموجهها لما يمتلكه من تقنية فذه ولكثرة جنوده ، وتنوع أسلحته ولتربعه على عرش الإعلام حيث يحف به الخدم والحشم ، والأشياع والأتباع ، والتجار والمستهلكون .. كلٌّ يخطب ودّه ، ويطأطئ له هامته .

ولكن من المسيطر حقيقة على هذا الجهاز ؟

إنهم الأقوياء .. فالتلفزيون اختار سيده من خلال العوامل التقنية المتصلة التي تحدد استعماله [١] . فكما أن حرية الصحافة محددة بأولئك الذين يمتلكون صحيفة ، فإن التلفزيون أيضاً ، وهو شكل من أشكال الصحافة ، محدد بأولئك الذين يسيطرون عليه كالأغنياء وأصحاب الثروات من ذوي النزعات الاستغلالية الضالة في العالم الرأسمالي ، أو السلطات الحاكمة في المعسكر الشيوعي ، وبلدان العالم الثالث .

في المعسكر الرأسمالي :

لندع جيري ماندر يحدثنا عن ملوك الإعلام التلفزيوني في أمريكا زعيمة العالم الرأسمالي ،وعن مدى تحكم قلة من الأثرياء في اتجاهات التلفزيون الأمريكي : (في عام ١٩٦٠ ، وفي اللحظة التي كان فيها الازدهار الاقتصادي في قمته ، وكانت الأمة كلها قد اتجهت إلى التلفزيون ، علقت نشرة (عالم

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٢٣ .

الإعلان) بقولها : (إن الشبكة التلفزيونية بشكل خاص ، تعتبر مولود الشركات المائة الكبرى في هذا البلد . في تلك السنة كان ٨٣٪ من مجموع الإعلام التلفزيوني العام من نصيب المعلنين الكبار المائة ، وكان للخمسة والعشرين الأوائل منهم ٦٥٪ من مجموع الـ ٨٣٪ ، وهذه الأرقام لم تتغير إلاّ نادراً منذ ذلك الحين . ولأن كل تلك الأوساط تعتمد على الإعلان للبقاء فقد كان واضحاً أن هذه المؤسسات الكبرى التي يهيمن عليها حفنة من الأفراد الأثرياء يمكنها تحديد بقاء الصحف والمجلات ومحطات الراديو والتلفزيون التي تريدها ، ويبقى التلفزيون أداة طيعة في يد هذه الشركات ، مع أن الجميع يصورونه كوسيلة جماعية تصل إلى الجميع ، لأن الجميع يمكنهم اختبارها)[١] ولا يلبث ماندر بعد ذلك أن يقول : (إن حضارتنا بكاملها والشكل المادي لبيئتنا الذي لايختلف كثيراً عن أفكارنا وأحاسيسنا قد تم برمجتها كالعقول الإلكترونية ، وتشكيلها بالضواحي والطرق ، ثم صرّها وعرضها للبيع) مشيراً بذلك إلى نزعة البيع التي توجِّه الأثرياء من المسيطرين على المؤسسات التلفزيونية في العالم الرأسمالي والتي تعمل على (قولبة) العقول وتهيئتها لتقبل المادة الإعلامية المطروحة والتفاعل معها والتحرك بمقتضاها .

في المعسكر الشيوعي :

أما في المعسكر الشيوعي فإن السلطة الحاكمة هي المالكة الوحيدة للمؤسسات التلفزيونية والمهيمنة عليها ، فمن خلالها تنشر عقائدها ، وتعيد صياغة شخصية الإنسان بما يتلاءم وتوجهاتها ، وتسير بشعوبها إلى أن تصدق أن اللبن أسود ، والخشب معدن ، والتراب اشتراكي والأديان أفيون الشعوب ، وأن استعباد الشعوب إنقاذ لها من براثن الاستعمار والأمبريالية .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٢٨ .

في العالم الثالث :

وأما في العالم الثالث ، ومعظمه من الشعوب الإسلامية ، فإن التلفزيون ملك للسلطة الحكومية تتوجه به الوجهة التي ترى فيها تحقيقُ مصالحها ، وتنفيذ برامجها ، والدفاع عن سياساتها .

ونظراً لإمكانات التلفزيون الرهيبة التي لم تعد خافية على أحد فقد نشبت حرب للسيطرة عليه واستغلاله حرب شنتها الزمر المتنافسة في الغرب التي كان لديها تصور واحد وهو أنه في حالة إيجاد مدخل واحد إلى التلفزيون فإن باستطاعتهم إيصال رسائل لديهم على أساس تصورهم لتقنية التلفزيون كآلة محايدة تخدم أغراض من يسيطر عليها [١] .

تحديد الوعي الداخلي وتوجيهه :

لقد استطاع التلفزيون ـ ووليده العبقري الڤيديو ـ تفكيك الأطر التي كانت قد تحددت من خلالها مكونات الشخصية الإنسانية ، وأقام على أطلالها أسساً جديدة يستطيع بها الاستحواذ التام على المشاهدين وتربيتهم على عينه ، فهو المحدد لاتجاهاتهم ووعيهم ، بل الذي يختار ثقافتهم ومعلوماتهم فيرفدهم بما يراه مناسباً لغرضه ، ويحجب عنهم مالا يحقق ذلك ، فهو القيم عليهم والوصي على عقولهم وأفكارهم .

ولندع جيري ماندر يحدثنا عن ذلك ، إذ يقول : (إننا مع التلفزيون نصبح مثل ذلك الراهب في كهفه والذي لايعرف إلا ما يقدمه التلفزيون ، إننا نختبر ما نشاهده على الشاشة ، ولانعرف سوى ذلك ، وبذلك يصبح الأشخاص الذين يديرون التلفزيون ، هم المحددين الوحيدين لوعينا

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٢ .

الداخلي ،ونحن بدورنا نسمح لهم بانتقاء المعلومات لنعيش داخل إطارات تصوراتهم ، إننا نسافر إلى أماكن على الأرض اختاروها ، وإلى أحوال قرروا بأننا يجب أن نراها ، فالذي يمكننا معرفته انحصر فيما يعرفونه هم ، وانحصرت همومنا فيما يختارونه ويقررونه ، مما يجب علينا رؤيته ، ولا هدف لنا بعد ذلك إلاّ من خلال آلتهم التلفزيونية هذه .

إن نوعية الأشخاص الذين يتحكمون في التلفزيون هي مشكلة بحد ذاتها ، ولكنها البداية فقط ، فبينما يتقيد حقل معرفتنا بغطرستهم وفسادهم ، يتقيدون هم أنفسهم بالجهاز .

والتلفزيون ليس تلك النافذة المفتوحة التي يمكن لأي منا تصور ما يمكن أن يمر خلالها ، والعكس هو الصحيح ، فهناك العديد من العوامل التقنية التي تتآمر لتحديد ما يمكن للوسط من إيصاله وبثه ، فبعض المعلومات يمكن أن تمر ولكن بعد أن يعاد تشكيلها ، وصياغتها ، وتوضيبها .. وما يهم في هذه القضية أن ما يمكن توفيره من خلال التلفزيون هو طريقة التفكير ، وأنواع المعلومات التي تلائم الناس الذين يملكون زمام الأمور ، وهو سبب تعليقهم الآمال عليه واهتمامهم به لتلك الدرجة)[1] . مما تقدم يمكننا تسمية التلفزيون بـ (الموجِّه) حيث أن توجيهاته مضمونة القبول والتلقي لدي الموجَّهين . على أن الأيدي القائمة على هذا الموجِه ليست أمينة على الوجه المطلوب وبالتالي فهي لا تبالي بالعواقب الناتجة عن هذا الموجِّه بقدر ما يهمها الثمرة العائدة عليها بسببه .

ولا أدل على مدى أهمية التلفزيون من سعي الأيدي الأكثر قوة للاستحواذ عليه فما من فئة تخطط لإحداث انقلاب عسكري إلا وتضع في أولى مهماتها

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٢٢ .

السيطرة على مبنى التلفزيون والإذاعة وذلك قبل أن تحاول السيطرة على الثكنات العسكرية أو المباني الحكومية ، لأن التلفزيون والإذاعة يشكلان أمضى أسلحة بعد ساعة الصفر لما تحدثه من الهلع في قلوب المدافعين عن وضع متهاوٍ ، ولما تبثه في قلوب الانقلابيين من أمل واندفاع وتضحية .

لقد أضحت الثقافة التي تحدد الوعي الداخلي لدى الأجيال الجديدة ، محصورة فيما يقدمه التلفزيون لهم من المعلومات المبتسرة حيناً ، أو المنتقاة طبقاً لأهواء مريضة . ولم تنج المعلومة التاريخية ولا الدينية من التفسير المغاير أو المناقض تماماً لحقيقتها ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ما عرف في التاريخ الإسلامي بـ (حركة الزنج) تلك الحركة التي قامت على أساس من الكيد للإسلام وحملة رايته الأوائل (العرب) وقد بثت هذه الفئة الباغية الرعب والخوف ، ونشرت الخراب والفساد في الأرض ، فقتلت ونهبت وانتهكت الحرمات ، وقتلت الأطفال والنساء ، ومع ذلك فإن الإعلام المنحرف اليوم يقدمها إلى الناس على أنها النموذج الأمثل للثورة الاشتراكية المبكرة التي كانت تقتل وتنهب وتنتهك الحرمات لإقامة المجتمع المثالي . و لعلَّ أبرز جرائم هذه الفئة المنحرفة الباغية ذلك الهجوم الوحشي الذي قامت به على (البصرة) ولنستمع الآن إلى أبيات من قصيدة الشاعر العربي (ابن الرومي) الذي عاصر المأساة الرهيبة ، التي سجل فيها رثاءه للبصرة على صورة لوحة كأن شخوصها تتحرك أمامك الآن . اقرأها لتدرك مدى تشويه الحقائق الذي تتبناه بعض وسائل الإعلام اليوم :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجامِ
أي نوم من بعد ما حلّ بالبصـ ... ـرة ما حلّ من هنات عظامِ
أي نوم من بعد ما انتهك ... الزنج جهاراً محارم الإسلامِ
إن هذا من الأمور لأمرٌ ... كاد أن لايقوم في الأوهامِ

بينما أهلها بأحسن حالٍ ... إذ رماهم عبيدهم باصطلامِ
دخلوها كأنهم قطع الليـ ... ـل إذا راح مدلهم الظلامِ
كم أغصُّوا من شارب بشربٍ ... كم أغصوا من طاعم بطعامِ
كم ضنين بنفسه رام منجىً ... فتلقوا جبينه بالحسامِ
كم أخ قد رأى أخاً صريعاً ... ترب الخد بين صرعى كرامِ
كم أب قد رأى عزيز بنيه ... وهو يُعلىٰ بصارم صمصامِ
كم مفدّى في أهله أسلموه ... حين لم يحمه هنالك حامِ
كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطامِ
كم فتاة بخاتم الله بكر ... فضحوها جهراً بغير اكتتامِ
كم فتاة مصونة قد سبوها ... بارزاً وجهها بغير لثامِ
صبحوهم فكابد القوم منهم ... طول يوم كأنه ألف عامِ
من رآهن في المساق سبايا ... داميات الوجوه للأقدامِ
من رآهن في المساق وسط ... الزنج يقسّمن بينهم بالسهامِ
من رآهن يُتَّخذنَ إماءً ... بعد ملك الإماء والخدامِ

* * *

ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أضرم القلب أيّما إضرامِ
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أوجعتني مرارة الإرغامِ
ربَّ بيتٍ هناك قد أخربوه ... كان مأوى الضعاف والأيتامِ

* * *

عرّجاً صاحبي بالبصرة الزهراء ... تعريج مدنفٍ ذي سقامِ
فاسألاها ، ولا جواب لديها ... لسؤال ، ومن لها بالكلامِ
أين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... أين أسواقها ذوات الزحامِ
أين فلك فيها ، وفلك إليها ... منشآت في البحر كالأعلامِ

أين تلـك القصور والـدور فيهـا | أين ذاك البنيـان ذو الإحكام ؟

* * *

بُـــدّلت تلكِ القصـور تــلالاً | من رمـــــاد ومن تراب ركامِ
سُلِّـط البثـق [1]والحريـق عليها | فتـــداعت أركانهـا بــانهــدامِ
وخلت من حلـولهــا فهي قفرٌ | لا ترى العين بين تلـك الإكامِ :
غير أيـــدٍ وأرجـلٍ بـــائنــاتٍ | بـــذرت بينهن أفـلاق هـــامِ
ووجــوه قـــد رملتهــا دمـــاءً | بــأبي تلكِ الـوجـوه الـدوامي

وتستمر القصيـدة هكـذا حتى تبلـغ ثـلاثـة وثمـانين بيتـاً من عيـون الشعر العربي ، مصورة بشـاعـة الجريمـة النكراء التي يعتز بهـا اليوم أقـوام حملـوا بين جوانحهم الشرَّ صاغراً عن صاغر ، فحملوها إلى أبواق دعاياتهم المريضة على أنهـا ثورة شعبية بنّاءة إذ تمثل لديهم أهم ثورة اشتراكية في تاريخ الإسلام والعالم .

التلفزيون والحكم الفردي المطلق :

لم يعـد هنـاك شـك في أن التلفزيـون أضحى أخطر مـدارس التـاريـخ ، وأشدها تأثيراً على الإنسان . ولقد عانى المسلمون من آثار المدارس التبشيريـة في بلادهم أشد المعاناة حينما قذفت بحممها بين ظهرانينا فكان من خريجيها أولئـك القـادة والسيـاسيون والمربـون الـذين أعلنـوا بـدايـة الانحراف الجـاد المـدروس للانفصال عن هذه الأمة وقيمهـا التي جعلت منهـا يومـاً منـارة الأمم ، وعنوان التقدم ، ومهوى أفئدة طلاب الحق .

لقد كان وقود كل ثورة قامت على الاستعمار في أرضنـا قطـاعـات عريضـة من المؤمنين بربهم ممن كانوا يؤمنون بـأن الشهـادة في سبيـل الله ، بـل الغـدوة

---

(١) البثق : التخريب والتهديم والشق .

والروحة في مهب نسائم الجهاد خير من الدنيا وما فيها ، وما إن حان قطاف ثمار ذلك الجهاد الصادق حتى انقض تلامذة التبشير إلى مراكز القيادة والتوجيه ، فأمسكوا بزمام الأمور ليسير الركب نحو محاولة الانسلاخ من الإسلام والمروق من الدين .

واليوم ، وقد دخل التلفزيون حياة الناس ، فإنه يقوم بما هو أخطر من ذلك ، إذ أتاح للعبقرية البشرية أن تجعل من التقنية وسيلة لإنتاج تجربة ذهنية واحدة لشعب بكامله ، وأرشد الناس إلى الطريقة التي يستطيعون بها أن يتمايلوا جميعاً ، وبنفس الوقت ، على إيقاع طبل ألكتروني واحد كما يشير إلى ذلك جيري ماندر[1] إذ يقول : ياله من وضع عجيب :

فجأة ، أصبح بالإمكان مخاطبة مائتي مليون إنسان كلاً على حدة . خاطب التلفزيون الفرد أو العائلة كلاً على حدة ، وفي نفس الوقت . كانت تسري في جسدي قشعريرة عندما أدرك أن شروط مشاهدة التلفزيون ونتائجه من الضياع ، والتوحيد ، والعزلة ، خاصة تلك النتائج المقرونة بالسلبية كانت في الحقيقة تمهيداً لحكم الأوتوقراطية[2] الثقيل . كانت تصوراتي لطبيعة الأوتوقراطية آنذاك تنحصر مثل معظم الأمريكيين في شخصيات قيادية كهتلر ، وستالين ، وتشيانج ، وفرانكو ، وماوتسي تونج ، كان أي اختلاف في تلك التصورات تصب في النهاية في الشخصية الفذة للقائد القادر على فرض مشيئته ، ليتمكن من الحكم المطلق . وكان التلفزيون يبدو الآلة المثلى لتقريب مثل هذا النوع من الحكم) وهكذا نرى أن التلفزيون يدرب الناس ويهذبهم لقبول حكم الفرد المطلق بما يمليه عليهم من الأفكار والآراء التي

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٦ .

(٢) أوتوقراطية : حكم الفرد المطلق .

تتلاقى مع الأهواء التي كان ينبغي تهذيبها ، وتحويلها إلى الخير بدلاً من استثارتها وتعظيم شأنها .

لقد أضحى التلفزيون ، ووليده العبقري الفيديو ، كقارئ الكف البارع في انتقاء العبارات الكلامية المتلاقية مع آلام المشاهدين وأحلامهم ، أو كقارئة الفنجان التي تصوغ من الخطوط والانحناءات صوراً وأقاصيص تثير الرعب أو الأمل في أفئدة أولئك الذين أخذ منهم الحذر مأخذه فراحوا ضحية الذين ادعوا مشاركة الله علم الغيب الذي لايعلمه إلاّ هو .

وفي اللحظات الحرجة التي تصل فيها عقول المشاهدين إلى حد الارتباك وتقبُّل أي شيء بصورة مناسبة يأتي دور المرسل في النفاذ إلى داخل هذه العقول دون أي تدخل خارجي ، فيلقي فيها ما يشاء إذ تكون مهيئة لتقبل ما تسمع تماماً [١] بعد أن تجردت من كل وسائل الدفاع التي تهاوت الواحدة تلو الأخرى على مدى البرنامج الذي كان يتسلل خطوة خطوة ؛ فالمواجهة الكلية قد تكون مدعاة إلى ردات فعل تنبه إلى المقاصد والأهداف المتوارية وراء الصور والكلمات والنتائج ....

ورقة عمل للطغاة والمستبدين :

بناءً على ما تفعله تقنية التلفزيون ، ووسائل الإعلام الأخرى ، بيد الطغاة والمستبدين ، من غسيل للمخ ، وهز للقيم ، واغتيال للواقعية والتجربة الشخصية والاعتزاز بالنفس ، فإن جيري ماندر يذكر الأساليب الماكرة المخادعة للسيطرة على عقول الجماهير وامتلاك تطلعاتها ، على صورة ورقة عمل يقدمها للطغاة والمستبدين ، فيقول : (تصور أنك دكتاتور في قصة خرافية علمية ،

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٨٠ .

تنوي حكم العالم كله حكماً مطلقاً ، فمن المؤكد أنك ستكون قد ركزت على مكتبك قائمة تأخذ الشكل التالي :

١ ـ أزل كل المعرفة الشخصية : حاول جاهداً أن تمنع الناس من فهم أي شيء عن أنفسهم وكيفية تصرفهم ، وامنعهم من أن يفهموا ما هو الإنسان ، أو كيف يمكن أن يوافق النظام الطبيعي الأوسع ، إنها الطريقة المثلى التي تجعل من المستحيل عليهم تمييز الطبيعي من الاصطناعي ، والحقيقة من الوهم ، وعليك توفير الأجوبة لكل الأسئلة .

٢ ـ أزل نقاط المقارنة : هذه المقارنات يمكن وجودها في المجتمعات المبكرة ، وأشكال اللغات القديمة ونتاج الحضارات الإنسانية بما فيها الطباعة . أزل أو اقتل كل التراث المتوطن ، وأشكال القفار ، والحياة غير الإنسانية ، أعد تشكيل التجربة الإنسانية الداخلية : الغرائز ، الأفكار ، الأحاسيس الفورية المتنوعة ، بحيث لايمكنها استدعاء الماضي بأي شكل .

٣ ـ إفصل الناس بعضهم عن بعض : حاول تقليل العلاقات الشخصية من خلال أنماط للمعيشة تؤكد الانفصالية . وعندما يجتمع الناس تأكد أن ذلك تجربة سبق الإعداد لها ، وأنه بإمكانها احتواء انتباه الجميع . إن الألعاب الرياضية البدنية التي تجذب أعداداً كبيرة من النظارة ، تعتبر مثالية تماماً كالسيرك والانتخابات أو أي مشهد يتميز بحصر الاهتمام خارجياً ، واعتبار التبادل الشخصي أمراً ثانوياً بالنسبة للتجربة الجماعية .

٤ ـ وحد التجربة : وخصوصاً شجع التجربة الفكرية على حساب التجربة الحسية . افصل عقول الناس عن أجسادهم ، كما هو الحال في تجريد الحواس لتمهيد القناة الفكرية لعملية الزرع أعط العقل شكلاً مثالياً ، وبما أنه لايمكن إلغاء التحربة الحسية كلياً فيجب أن تحصر في مناطق ضيقة .

٥ - احتو العقل عندما يعزل الناس داخل عقولهم ، واملأ المخ بتجارب وأفكار مهيئة سابقاً ، وليس المحتوى بذي أهمية بالنسبة إلى الواقع الهام وهو إملاء العقل . يجب إحباط التفكير الحر بكل الوسائل لأنه يصعب السيطرة عليه .

٦ - شجع تعاطي المخدرات فإن عملية الإخضاع الكلي شبه مستحيلة ، فيجب أن تعرف هذا وتعرف أنه يجب تحجيم مظاهر العصيان على المستوى الفردي ، إن المخدرات تملأ تجاويف التذمر ، وتجعل الناس غير متجاوبين مع التعابير المنظمة للمقاومة .

٧ - ركز المعرفة والمعلومات : بعد أن تكون قد عزلت الناس بعضهم عن بعض ، وعزلت العقول عن الأجساد وأزلت نقاط التميز والمقارنة ، وأخمدت التجربة الحسية ، و بعد أن تكون قد استطعت اختراع تقنيات يمكنها توحيد وتوجيه التجربة . تكلم عند هذه النقطة يدخل إلى العقول مباشرة كل ما يأتي من الخارج مع قوة وتصديق أكبر .

٨ - قم بإعداد صيغ جديدة للسعادة ومعنى للحياة على أساس فلسفة جديدة لا جذور لها : إن هذا الشرط سهل لو استطعت إتمام الشروط السبعة السابقة ، فأي شيء لابد أن يكون له معنى إذا وجد في فراغ ، وكل القنوات مفتوحة ومستعدة للاستقبال دون أي استفسار . إن تشكيل وتصميم العقل أمر ليس بالعسير ، الأهم في الأمر هو تجنب الفلسفات الطبيعية لأنها تؤدي إلى تنبيه تصعب السيطرة عليه ، وأقل أشكال الفلسفة مقاومة هي تلك التي تبدو أكثر اعتباطية ولا يمكن وعيها إلا حسب شروطها)[١] .

إن من يقرأ هذه الورقة يرى الكاتب كأنما يصف الواقع على صورة

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٨٢ - ٨٣ .

مقترحة ، فكل الـذي تحـدث عنـه واقع ملموس لم يكن لجيري مـانـدر منـه إلا إعادة ترتيبه على الشكل الأمثل الذي يبين واقعاً مريراً تحيـاه كثير من شعوب الأرض المبتلاة بالطواغيت .

التربية والتعليم
أمام توجيهات الفيديو والتلفزيون

إن جيلاً تلفزيونياً مسحوراً قد بدأ يطفو على سطح الحياة في مختلف بقاع الأرض ، ومنها ، بلا شك ، بلاد الشعوب الإسلامية ، هذا الجيل بهرته الأضواء المرتعشة فتهاوى فيها كما يتهاوى الفراش في نار موقدة في ليل بهيم . وهاهي ذي الملامح التلفزيونية تبدو جلية في قطاعات عريضة من أبناء المسلمين ، في التربية ، والتعليم ، والسلوك ، والأهداف ، ولكأن الجميع قد انتسبوا إلى هذه المدرسة التي استهوت النفوس ، وخلبت العقول ، وراحت تلهو بهم يمنة ويسرة .

١ ـ التربية التلفزيونية :

مالذي يقدمه التلفزيون بواقعه العملي للتربية ؟

إن ما نصفه ، أحياناً ، بقولنا : برامج تافهة ـ اعتباطية ـ ساذجة ـ قد لايكون هذا الوصف دقيقاً إذا أمعنا النظر والفكر ، ورحنا نقارن ونوازن ، ونقدر النتائج ، ونعمل على معرفة هوية القائمين والموجهين لهذه البرامج .. إن ذلك سوف يوضح لنا أن التفاهة ، والاعتباط ، والسذاجة مظاهر مقصودة ولا تقل خطراً في أهدافها ونتائجها عن تلك البرامج ذات الأسلوب المباشر في الإفساد ، فمن أفلت من هذه ، وقع في تلك .

وهكذا ، تتضافر البرامج جميعها على الوصول إلى الأهداف والمرامي ، من خلال صياغة محكمة ، بحيث تتلاقى على تحقيق المراد الأعظم منها ، وإن كانت تبدو ، أحياناً ، متناقضة بل إن مظاهر التناقض والتضاد هذه ليست إلا جزءاً من النسيج العام وخيطاً من خيوطه .

والتربية عملية متواصلة السير بدءاً من الطفولة وحتى اللحظات السابقة

للموت [١] ، فما دام الإنسان متمتعاً بالوعي فإنه يظل قادراً على التفاعل مع الوسط المحيط به مما يشاهد أو يسمع أو يقرأ أو يحس ، ولذلك كان من مفاخر التربية الإسلامية أن تنطوي على الأمر بطلب العلم من المهد إلى اللحد . ليس الأطفال هم وحدهم محتاجين للرعاية التربوية ، فالكبار ، بدورهم ، ينبغي الاهتمام بطرائق التربية المناسبة لهم ، لتسير حياتهم على هدي وبصيرة ، وهل هناك أهم من أن يختم الإنسان حياته وقد اكتملت لديه التربية الصحيحة التي جعلت منه عبداً لله ، فلم ينغص بالخضوع لأهواء النفس ، ولا وسوسات الشياطين . وسيظل الكبار بصورة عامة القدوة لمن يصغرهم سناً ، وهذا ما يدعو إلى الاهتمام بتربية الكبار أيضاً التي لا تقل ، من هذا الباب ، خطراً عن التربية للأطفال والشباب . وإن كان الاهتمام بتربية الأطفال والمراهقين والشباب يأتي في الدرجة الأولى من سلّم التربية من المهد إلى اللحد ،وعلى ذلك فلا بد من التحذير مما دعاه علماء التربية بالتأثير التراكمي الناشئ عن وسائل التربية وفي مقدمتها اليوم التلفزيون والفيديو .

الأثر التراكمي للڤيديو والتلفزيون :

يقول الدكتور ابراهيم إمام ،وهو من أوائل أساتذة الإعلام في العالم العربي : (إن أخطر ما في التلفزيون هو ذلك التأثير التراكمي المترسب ، وهي تأثيرات ـ على خطورتها ـ صعبة القياس بطريقة إحصائية) [٢] ولذلك يجادل الذين لايعلمون دفاعاً عن التلفزيون لأنهم لايكادون يشعرون بهذه الأثار التي لاتأتي دفعة واحدة ، ولو أنصف هؤلاء لأصاخوا السمع للعلماء وأهل الدراية الذين ما فتئوا منذ أناخ التلفزيون بكلكله على بقاع شتى من الكرة الأرضية ،

---

(١) تشارلز. ر. رايت : المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ، ترجمة محمد فتحي .

(٢) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٢٧ .

يدرسون ويتدارسون الآثار السيئة فردية وجماعية ، نفسية واجتماعية وصحيـة ، وإن كان نصيب علمائنـا من ذلـك قليـل ، وقـد يعـود ذلـك لتـأخر دخـول التلفزيون بلادنا عن استخدامه في أمريكا وأوربا ، على أن ما وصلنا إليه الآن من الاهتمام بالتلفزيون والفيديو يوازي ، إن لم يفق ، مـا لهما من اهتمام حيث كانت ولادتها . ومع ذلك فإن دراساتٍ في هـذا البـاب قـد ظهرت وهي تبشر بأن درجة من التنبه لهذا الخطر ، قـد ابتـدأت تتبلور معـالمها تشير إلى مـافي برامج التلفزيون وأفلام الفيديو من الأخطار الجسيمـة على أمتنـا التي مـا زالت على رأس قائمة الطامحين والطامعين والحاقدين .

فلا يليق بنا بعد اليوم أن ننظر إلى التلفزيون والفيديو على أنها جهـازان كهربائيان ، بعد أن أثبتت البحوث والدراسات المستفيضة أن الفيديو ، مثلاً ، ليس مجرد لعبة اليكترونيـة بل هو جهـاز تربوي وتعليمي بـالغ الخطورة ، وأن تـأثيراتـه قويـة وتراكميـة في آن واحـد ، وفي المستقبل سيتوغل (الفيـديو) في حياة المجتمع ويحتل مكانة تضارع مكانة الأسرة والمدرسة وغيرهمـا من مؤسسـات المجتمع من حيث تأثيراته ودوره في عملية التربية والتطبيع الاجتماعي [١] .

إن هناك تأثيراً كامناً للتلفزيون والفيـديو يستمر مـدة في نفس المشـاهـد ، نتيجة للتأثير التراكمي للبرامج . ولا شك في أن تكرار البرامج . وهو ما أصبح ميسـوراً بصـورة محققـه في الفيـديـو الـذي يمكن إعـادة المشهـد وتكراره مرات ومرات أو تثبيتـه ، أو تسريعـه وتبطيئـه ـ هـذا التكرار وغيره ممـا تعرضـه محطات التلفزيون التي تقدم الفكرة نفسها ولكن بتنويع بسيـط يحـدث تـأثيراً كبيراً . والمهم أن التأثير التراكمي هو عبارة عن سلسلة من الترسيبـات النـاجمـة عن الأفلام والبرامج المتتالية ، مما يجعل التأثير عميقاً وقوياً ، فالتأثير العـاطفي

---

(١) الفيديو والمجتمع الإسلامي ص ٢٠ ، لمؤلفيه : سيد الشليبي والأمير أباظة .

الدرامي يثير استجابات عاطفية ، وإذا كانت القيم التي ترتبط باحتياجات الطفل مباشرة فإنها ترتبط أيضاً باهتماماته وخاصة إذا كان الطفل محروماً من مجموعة من القيم الراسخة التي يستمدها من مصادر أخرى كالعائلة والأصدقاء [١] .

وهكذا أخذ التلفزيون يزاحم المؤسسات التربوية التقليدية كالأسرةوالمدرسة في توجيه النشء وخلق اتجاهات معينة لديهم ، ففي البلدان العربية والإسلامية يعمل التلفزيون بإشراف وتوجيه من السلطات الرسمية التي استطاعت توجيه الرأي العام ، وخلق الاتجاهات التربوية ، وقد أثبت هذا الجهاز ، باستخدامه للوسيلتين السمعية والبصرية أثره الفعال في توجيه الأجيال وتربيتها بمواصفات معينة تخدم أغراض السياسيين والمشرفين والموجهين [٢] حتى أصبح بمثابة المدرسة الأولى والموجِّه الأوْلى بالثقة والطاعة ، فهو صاحب رسالة تعمل على ترسيب الصواعد والنوازل في نفوس مشاهديه ومحبيه وعشاقه ، فلقد رباهم ، ونشأهم ، وأخذ بأيديهم إلى خريف العمر ، فأورثهم حسرة وندامة ، ولات ساعة مندم .

وعلى ذلك فإننا ندرك بأن التلفزيون في واقعه الحالي لايقدم للتربية الصالحة شيئاً يعتد به يؤصلها به ويرعاها ، بل على العكس من ذلك فإنه يقوم بما من شأنه نسف الأسس الصحيحة للتربية السليمة ، بما يقدمه من برامج تدحض زعم المؤلفين والمخرجين ومَنْ وراءهم في أن التلفزيون أداة تربوية نافعة .

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٧ .

(٢) الدكتور محمد عودة ، أستاذ علم النفس في جامعة الكويت ـ مجلة العربي ص (١٨٣) العدد (٣١٧) إبريل (نيسان) ١٩٨٥ .

ماذا يريد التربويون من الإعلاميين :

تحت هذا العنوان ، أصدر مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م كتاباً فصلياً ضم مجموعة من الآراء المفيدة ، لأخصائيين حددوا فيها ما بين التربية والإعلام من وشائج متمنين على وسائل الإعلام أن تكون عوناً للمربين على إيصال رسالتهم التربوية لا أن تمثل دور الهادم لما تعارفت عليه هذه الأمة من الحق والخير .

فقد تحدث الأمير نايف بن عبد العزيز عن امتلاك وسائل الإعلام حرية الدخول في حياة الفرد فقال : (إن وسائل الإعلام المرئية ، والمسموعة ، والمكتوبة ، تملك حرية الدخول إلى حياة الفرد منذ نشأته ، وفي كافة زوايا حياته وبالتالي فإنها تؤثر تأثيرا ظاهراً على صياغة تفكيره وموقفه من الأمور) (١) .

وعن انتصاب قامة التلفزيون ، وارتفاع عقيرته ، عندما تصاغرت المدرسة أمام سطوته وسلطانه يتحدث الدكتور محمد الأحمد الرشيد مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج مشيراً الى القدرة الفائقة لوسائل الإعلام ، فيقول : (لست أغفل ، هنا أن أسجل اعترافي واعتراف كثير من التربويين بالقدرة الفائقة ، والقبول الذي لامثيل له عند الناس لوسائل الإعلام ، وذلك في الوقت الذي أصبحت المدرسة فيه جامدة ، لا تجديد فيها ، ولا عوامل جذب تحببها إلى الناشئة ، ولم يعد لما تقدمه من معارف وقيم ذلك الأثر الراسخ الذي كان لهما في الماضي) (٢) .

ولا شك في أن ما يحشد على الشاشة المرتجفة يترك آثاراً مد ـ في العقول

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٩ ج ١ .

(٢) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ١٤ ج ١ .

والنفوس التي لا تمتلك القدرة على النقد أو المقاومة ، وإلى هذا المعنى يشير الدكتور يعقوب يوسف الغنيم بعد أن يؤكد أن سلوك الإنسان ترجمة لقيمه ، فيقول : (خير ما يمكن أن تقدمه التربية أن تعيد الإنسان في هذه المنطقة إلى ذاته العربية الإسلامية في نقائها الأصيل ، وفي أهدافها العليا التي ترسمها الآية الكريمة : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ [١] ، أي أن رحلة الإنسان على هذا الكوكب هدفها أن يكون سلوك الإنسان ترجمة لقيمه ، وأن تكون قيمه وفقاً لما أمر به ربه ، وأن تكون المحصلة النهائية لوجوده هي العمل الطيب له وللناس من حوله .. وحين يتجاهل الإعلاميون مشاكلنا الحقيقية ، ويملأون ساعات الإرسال ، أو صفحات الصحف بما يستهين بعقلية السامع أو القارئ ، فإن الأمر يتجاوز مجرد تبديد الوقت ، أو المال ، أو الجهد ، بل إن ما يقدم بهذه الكيفية ، إنما يترك آثاراً مدمرة في العقول والنفوس التي لا تمتلك القدرة على النقد ، أو المقاومة نتيجة للقوة الكامنة في أجهزة الإعلام بمالها من تأثير وانتشار ... وما أريده هو شيء بسيط : أولاً ألاّ يهدم الإعلام ما تبنيه التربية ، ثانياً : أن تعين أجهزة الإعلام التربية) [٢] .

ويرى باحث آخر هو الدكتور محمد إسماعيل ظافر أن مقررات أقسام الإعلام بعيدة كل البعد عن التربية والتعليم فهي تسعى دائماً إلى تقديم الإعلام كفن ، والإعلام كأداء ،والإعلام كتاريخ [٣] . فإذا نشأ الإعلامي في معزل عن المناهج التربوية الصالحة ، وبعيداً عن الخلق القويم ، فلن يستطيع تقديم أية معونة للتربويين ففاقد الشيء لايعطيه ، وعلى هذا فينبغي أن تشتمل المناهج الدراسية في كليات الإعلام في عالمنا الإسلامي على الأسس الأخلاقية التي

---

(١) الملك : ٤ .

(٢) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ج ١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦ ج ١ .

تخرج لنا رجل الإعلام الإسلامي إضافة إلى دراسة المناهج التربوية الصالحة ، فالتربية كما يقول أحد المتحدثين في النقاش ـ هي أن تمر بإصبعك على النفس الإنسانية دون أن تتحرش بما يفوق طاقتها ، فإذا لم يكن الإعلامي مربياً ، فكيف يستطيع أن يوجه . وذكر المتحدث نفسه أن طبيباً من استراليا جاء إلى الخليج وألقى محاضرة بيّن فيها أن الطبيب لاينجح إذا لم يكن تربوياً ، فهو تربوي بالدرجة الأولى ، ولن ينجح إذا لم يتعامل مع المريض كتربوي ، وقد ألقى محاضرة بعد ذلك في البحرين بهذا المعنى في جولته التي يصفها هو بأنها : تربوية [1] .

ومما يؤسف له حقاً أنني رأيت بأم عيني ، لدى حضوري مناقشة رسالة دكتوراه في الإعلام من إحدى الجامعات العربية ، باحثاً حصل في نهاية المناقشة على درجة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى ، يسرع عقب تلاوة قرار اللجنة إلى معانقة الأستاذة المشرفة على الرسالة فضجت القاعة بالزعيق والصفير والصياح والهياج لهذه اللقطة الإعلامية الفذة ، ومن غريب ما قرأت في إحدى الصحف بعد شهور من ذلك ، أنه قد اسند إلى هذا الدكتور الجديد منصب رئاسة مكتب إقليمي عربي للاهتمام بالأطفال العرب فيالضيعة التربية ، بل يالضيعة الإسلام في أرضه وبين أهله !!!

ب ـ التعليم التلفزيوني :

على الرغم مما يعلقه كثير من الناس من الآمال على التلفزيون ، وعلى الرغم من الإمكانات التقنية الهائلة التي يتمتع بها ، فإنه يبدو بأنه لن يتمكن في نهاية الصراع الدائر بينه وبين الكتاب والمدرسة من الانتصار ، فقد ثبت لدى الباحثين الجادين عجز هذا الجهاز عن القيام بدور المعلم والكتاب . وهكذا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ ، ج ١ .

تتهاوى يوماً بعد يوم تلك الأحلام التي كانت ترى في التلفزيون بديلاً للمؤسسات التعليمية وأدواتها ، لأن المعلومات التي يوفرها التلفزيون تدخل خزائن الذاكرة مباشرة غير مصفاة ، ولكنها ليست متوفرة للتحليل الواعي والفهم والتعلم ، إنه كتعليم النيام ، كل هذا يفسر ظاهرة عدم تذكر الأطفال لما يرونه من مشاهد تلفزيونية بعد إطفاء الجهاز ، فهم لايتعلمون إلا أشياء لا تصل إلى مناطق الوعي الخاصة باستعادة المعلومات واستعمالها [١] وكذلك فإن الأسلوب الذي تصل فيه هذه المعلومات إلى المشاهدين تصب في عقولهم صباً دون مراعاة لاستعدادهم ومستوياتهم العقلية والعلمية والاجتماعية أو عمرهم الزمني بما ينجم عنه اضطراب في التقبل والتمثل والفهم ، ولو سألت هذه المستويات المتعددة عن فهمها الخاص للذي شاهدته ، لوجدت العجب العُجاب في إجاباتهم فهم لذلك كقارئات فنجان تعاقبن على قراءته وتفسير خطوطه وأشكاله فكان لكل منهن خريطة خاصة بها قد تناقض تماماً ما رأته الأخريات .

العلم بين الكلمة والصورة :

ستبقى الكلمة المكتوبة الوسيلة المثلى للتعلُّم ، فالكتابة مازالت تمتلك أعظم رصيد في مجال العملية التعليمية ، فللكتابة والكتاب خصائص فذة في تعميق جذور العلم وجعله علماً عن بيّنة ، و قد عرف المسلمون الاهتمام بالكتابة منذ فجر نهضتهم العامة التي أرسى قواعدها دينهم القويم ، وقد ثبت أن بعضاً من الصحابة كان يسجل بالكتابة أحاديث رسول الله ﷺ ، ولولا خشية اختلاط القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ بالحديث الشريف لفتح الرسول ﷺ الباب واسعاً على كتابة الحديث ، ولكن ، وبعد وفاة النبي ﷺ واكتمال القرآن وانقطاع الوحي زال الحرج من استعمال الكتابة على نطاق واسع ، ولذلك فإننا سمعنا دعوة للاستعانة بالكتابة في حفظ العلم وروايته ، فعن ثمامة

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٧٢ .

ابن عبد الله قال : كان أنس يقول لبنيه : (يـابنيَّ قيـدوا العلم بـالكتـاب) [١] فإثبات العلم في الكتب حفظ له من عبث العابثين وادعاء المدعين ، حتى لكأن الكتاب حصن يحتمي في جنباته العلم وتتلأ في شرفاته المعرفة بعيـدة عن تزوير المزوّرين ، وهواجس المنحرفين . فبالكتابة نقل إلينا القرآن الكريم الـذي كان يثبتـه كتبـة الوحي من الصحـابـة رضـوان الله عليهم ممن كان يرى النبي ﷺ فيهم الكفاءة للقيام بهذا العمل الجليل .

وبـالكتـابـة حملت إلينـا السنـة النبويـة الشريفـة ، سيرة وأحـاديث ، في صحاح الكتب وأدق المتون ، وبالكتابـة حملت إلينـا الشريعـة الغراء وتـاريخ أهلنا الميامين ، وسيرة أبطـالنـا المـاجـدين ، وبـالكتـابـة أدركنـا اليوم وأدرك منصفوا العالم معنا ، أننا كنا رعـاة نهضـة علميـة كانت أسـاسـاً لكثير من علوم المشرق والمغرب ، بل ما تزال المكتبة العربيـة تفتخر بمـا لـديهـا من الكتب في شتى العلوم والفنـون والآداب على الرغم من الحروب الهمجيـة التي كانت تحـاول إطفاء ما في هذه الأمة من جذوة الخير ، ولا أدل على ذلك مما فعله همج التتار يوم أن ألقوا في دجلة أنفس ما كان في بغـداد من كتب ، حتى روى التـاريخ أن مـاء دجلـه جرى أسـود أيـامـاً لكثرة مـا ألقي فيـه من أمهـات الحضـارة الإسلامية . ولكن اللافت للنظر أنه على الرغم مما حصل في بغداد وفي غيرهـا ، من الثغور الإسلامية من هذا القبيل ، فإن ما بقي لدى هذه الأمة من التراث العلمي ما زال يكوّن أرسى قواعد النهضة البشرية ، في شتى مجالاتها ، كل ذلك يؤكد قيـة الكتـاب ، ومـانراه اليوم من تسجيل العلوم على (الميكروفيلم) مـا هو إلاّ انتصار جديد للكلمة لأن ما ينقل إلى هذه (الأفلام الوثائقية) مـا هو إلا صورة للكتب نفسها ، ولم تتـدخل التكنولوجيـا العصريـة هـذه إلا لحمـايـة الكتاب من الضياع والتلف ، والحرص عليـه لمـا يتمتع بـه التعلم في الكتب من

---

(١) حديث رقم (١٢٠) كتاب الإيمان تحقيق الشيخ ناصر الألباني ، ص ١٣٧ دار الأرقم الكويت .

المميزات التي لا يمكن أن تدانيها أية وسائل أخرى .

فقراءة الكتب توفر نوعاً من التلقين الاسترجاعي ، لأنها وسيلة شبيهة بالمحادثة أو الكتابة ، إذ أن الكلمات التي تقرأها لا تصب داخلك ، بعكس الصور والخيالات ، وسرعة القراءة يتحكم فيها القارئ وليس الكتاب ، فكل الناس يقرأون بسرعات وإيقاعات مختلفة ، وعندما تقرأ فإنك تقدر على استرجاع ما قرأته والتوقف للتفكر وأخذ المهم ، وكل هذا يوسع الوعي والانتباه للمادة المقروءة وبذلك يصبح اختيار المعلومات التي تبغي إبقاءها في عقلك الواعي راجعاً لك وحدك .

ويصادف في كثير من الأحيان أن نقرأ فقرة من كتاب ، ثم ندرك أننا لم نستوعب شيئاً منها ، وهذا يتطلب الرجوع ثانية إلى قراءة هذه الفقرة مع تركيز أكبر . إن الكلمات لا تعني شيئاً للقارئ مالم يتم هذا بمجهود واع ومشاركة مباشرة وسرعة شخصية في القراءة . أما الصور فلا تتطلب شيئاً من هذا القبيل ولا تتطلب سوى إبقاء عينيك مفتوحتين وهي تدخل لتسجل في ذاكرتك سواء فكرت فيها أم لا ، إنها تصب في داخلك كما يصب سائل في وعاء ، والوعاء هو أنت والتلفزيون هو الذي يقوم بالصب .

وفي النهاية لايكون المشاهد سوى وعاء استقبال ، ولا يكون التلفزيون ذلك الوسط الثقافي والاجتماعي الذي كنا نوده بل آلة تزرع الصور في عالم اللاوعي من العقل ، ونحن نصبح مرتبطين بالصور المتغيرة التي لا نفعل شيئاً حيالها لأننا لا نستطيع ذلك البتة ، وما يحصل هو التورط الكلي من ناحية انغماس كلي في بحر الصور ، وعدم ارتباط اللاوعي من الناحية الأخرى ، فلا إدراك ، ولا تمييز ، ولا انتباه للتجربة التي يمر فيها أحدنا [١] . وهكذا نجد أن

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٧٠ .

الكتاب يلقي ببذوره في الأعماق المثلى المناسبة للإنبات ، بينما نجد التلفزيون يذر معلوماته على السطح فتذروها الرياح أو تأكلها الطير ، ولا يبقى من أثرها إلا نبتات هنا وهناك لا تثير آمالاً ولا تغذي أحلاماً ، ولا تسيل لعاباً ، ولا تغني عن جوع .

التلفزيون والتفاعل مع مصدر المعلومات :

لابد للعلم كي يؤتي ثماره ، من عملية التفاعل بين المتعلم والمعلم ، وبذلك تأخذ جذور العلم بالتعمق والتأصل عن طريق الاستفسار والمراجعة للمعلومات ، والحوار والتكرار ، وإلقاء الأسئلة على المتعلمين لمعرفة مدى استيعابهم وفهمهم ، إضافة لما يكون من دواعي الاتصال الروحي بالمعلم الذي يبث في طلابه حب العلم والمعرفة ، وضرورة أخذهما من مصادرهما الأصلية البناءة ، وهذا مالا يتسنى للتلفزيون القيام به لعجزه في الحقيقة ، عن ذلك ، ولافتقاره للعناصر الأساسية للتعليم الجيد وعدم مقدرته على الاستثارة المناسبة للتلقي الجيد للمادة العلمية التي يراد إيصالها للمشاهد ، وهذا ما دعا جيري ماندر إلى تسمية التعليم التلفزيوني بتعليم النيام ، ووصف التلفزيون بمعلم النيام [١] لانعدام التفاعل بين المتعلم ومصدر المعلومات .

والذي يحدث هو أن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون ينفعلون بشكل أكثر بطءاً فالتلفزيون يدربهم على عدم الاستجابة . فلو كنت حقاً تبغي تعلم أي شيء فلا بد أن تتفاعل مع مصدر المعلومات ، ولكن مع التلفزيون لايمكنك التفكير حقاً كما ينقل جيري عن بيبر ، ولذلك فإن أفضل أنواع التعليم هي التي تعتمد على المشاركة ، وبعض الناس يتعلمون أفضل عندما يقومون بتدوين المعلومات لأنها ستكون بالنسبة لهم كنظام الاسترجاع ،

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

ومشاهدة التلفزيون تعتمد على الأخذ فقط والاستغناء عن التفاعل ، ولا يمكنها عمل شيء سوى استرعاء انتباهك كما يقول بيبر ، والشيء الذي يدعو إلى القلق بالنسبة للتلفزيون هو أن المعلومات تستمر ولكننا لا نتفاعل معها بعد ذلك ، لا نعرف مع أي شيء نتفاعل ، وعندما تشاهد التلفزيون فإنك تدرب نفسك على عدم التفاعل وتنمي فيك السلبية .

كما أن التعليم التلفزيوني لا ينفذ إلى داخل المادة المدروسة ، وبذلك يظل سطحياً . ومن الحق أن نقول بأنه ليس مطلوباً من التلفزيون أن يقوم بدور الكتاب والمعلم لكونه غير مؤهل أصلاً لذلك ، ومن العبث أن نحاول تغيير طبيعته فتقنية التلفزيون لا تستوعب العلوم وعلى الأخص التجريبية منها ، وإن كنا نوقن بأنه يستطيع تقديم عناوين العلوم دون المقدرة على إيضاح حقائقها جملة ، ولا يتعدى دور التلفزيون التعليمي الوصف السطحي الساذج لها لطبيعته التقنية أولاً ، ولاختلاف مستويات المشاهدين العلمية والاستيعابية والاجتماعية ثانياً .

التلفزيون والمناهج المدرسية :

درجت محطات الإرسال التلفزيوني ، منذ نشأتها في بلادنا ، على تقديم برامج تعليمية لمختلف درجات التعليم قبل الجامعي ، تعتمد أساساً على المناهج التعليمية التي أقرتها السياسة القطرية هنا وهناك للتعليم ، وبذلك لا تخرج هذه الدروس عن كونها نسخة مكررة من حيث المادة العلمية لما يدور في سراديب مدارسنا . ولا أستطيع أن أفهم الغاية التي يرجى تحقيقها من وراء ذلك غير اجتذاب أكبر عدد من المشاهدين من جيل المراهقين والشباب ، وإتاحة الفرصة للمدرسين الأوائل !! للارتزاق من ميزانية التلفزيون التي لحظت في أحد جوانب الدورة الإذاعية لها الإفادة من خبرة هؤلاء المدرسين وطاقاتهم لانتشال من بقي على قيد الوعي من طلابنا الأعزاء الذين أخمل

عقولهم ما يدور في مدارسنا من أساليب تعليمية لا تتمشى مع واقع الحياة ولا المادة المدرسية .

وإذا نظرنا إلى هذه البرامج من وجهة نظر علمية فإننا نجد أنها لاتقدم جديداً ، ولا توضح مبهماً ، ولا تستخرج كنزاً ، فالمادة العلمية هذه مبذولة في الكتب المدرسية ومعروفة لدى الطلبة ، فما الفائدة من ذلك ، ما دمنا لم نضف جديداً ؟ إن الفائدة العلمية غير محققة لاشتمال الكتب المدرسية عليها ، كما أن مستويات الطلبة في فهم المادة المسموعة أو المرئية واستيعابها يختلف من طالب مشاهد إلى آخر ، فإذا لم يتيسر فهم المادة أو جزءٍ منها لبعضهم فهل بالإمكان مخاطبة الصورة التلفزيونية للمدرس وسؤالها ومراجعتها ؟ إن هذا غير متحقق عقلاً ولا واقعاً ، وكم من غموض تافه يحجب فهم الموضوع عن طالب أو أكثر في الفصل المدرسي يستطيع المدرس بما بينه وبين طلابه من تواصل ، أن يزيل هذا الغموض الذي يكفي فيه أحياناً شرح كلمة ، أو بيان جملة ، أو حتى إشارة بإصبع ، فهل يستطيع التعليم التلفزيوني القيام بمثل هذه المهمة إذا أشكل أمر على أحد المشاهدين وليس أمامه سوى خيال المدرس الضوئي ، وصدى صوته الكهربي ؟ وما هي الإضافة العلمية التي حاز بها التلفزيون قصب السبق على المعلم الحقيقي والكتاب المطبوع ؟ اللهم إلا اكتشافات موهوبة لمصادر الاسترزاق ، وإلحاح شائن لاصطياد أكبر عدد من طلائع الأمة ، وفلذات أكبادها لولوج باب اللعبة التلفزيونية ، والمشاركة في الرقص الجماعي على طبل الكتروني واحد كما أشرنا من قبل إلى هذا التعبير الذي أطلقه جيري ماندر .

أما إذا نظرنا إلى هذه البرامج التعليمية من وجهة نظر تربوية فإن ذلك يدفعنا إلى دقّ ناقوس الخطر لما يحيط بالعملية التعليمية التربوية في بلادنا من مؤامرة ، ولو كانت اعتباطية أحياناً ، تكاد تقوض كل ما بنته الأمة على مر

أجيالها من مفاهيم صالحة لعلاقة الطالب بمعلمه ومدرسته .

فما هي الآثار والنتائج التي لا تحمد ، مما تخلفه البرامج التعليمية التلفزيونية من أنقاض ومخاطر ؟ إن ذلك يبدو لنا على الصورة التالية :

١ ـ نسف الثقة بالمدرس الحقيقي : لذلك الفرق الشاسع المصطنع بين ما يشاهده الطالب على الشاشة المرتعشة ، وبين المدرس الحقيقي الذي يعلمه في مدرسته ، فمدرس التلفزيون ألقيت عليه الهالة النجومية ، فهو يرتدي أفخر لباس مما لايتوفر لكثير من معلمي المسلمين في كل مكان ، ولولا(البالة) حفظها الله ، التي تصرح بعض أقطارنا بتداولها ، لما رأيت معلماً ذا عيلة يرتدي بذلة تريح بصر الناظرين إليه . أما أدوات المعلم التلفزيوني ، ووسائله المعينة فهي من أرق ما وصلت إليه تكنولوجيا العصر وقد تكون استوردت خصيصاً لهذا الغرض ، ولن أنسى تلك العصا المدببة الرأس ، كالمسلة ، التي كان المدرس يشير فيها إلى السبورة التلفزيونية كيلا تخفي الكلمات المضاءة ولا تحجب الأنوار الموجهة ،وقارنت بينها وبين ما كنا نستخدمه في مدارسنا حين كنا نعمد إلى خشبة قديمة من مقعد متهالك ، ونسأل الطلبة هل فيهم ابن نجار ، فإذا حظينا بمثله كلفناه بحملها إلى أبيه لتفصيلها عصياً نشير فيها إلى ما نكتب علىالسبورة إلى جانب مآرب أخرى . وبعد ذلك فالمدرس التلفزيوني ممثل يؤدي دوره التمثيلي على أحسن ما يرام إذ يبدو جاداً حيوياً حريصاً على إفهام طلابه ، ما وسعه الجهد والوقت ، دون أن يقطع عليه أحد الطلبة النجوم استغراقه في الشرح والتفصيل والتجربة والبيان فقد أعد مادته خير أداء وبذل لها من جهده ووقته وطاقته ما جعلها جذابة ، لتقديره البالغ في أنه أمام الكاميرا ولسوف يحتفظ بشريط (ڤيديو) لها يكون له ذخراً وتسرية يوم ينفض عنه التلفزيون والأصحاب ، وهذا مالا يرقى إليه جميع المدرسين في الوطن الإسلامي لسفحهم أوقاتهم خارج المدرسة في البحث عن عمل إضافي

يـواجهـون بـه مصـاعب الحيـاة ، فمرتبـاتهم لا تكفي ولا تقـوم بـالأود ، إذ لا توازي المخصصات الملحوظة لفأر تجارب في باب من أبواب البحث العلمي . أما كلمات مدرسنا التلفزيوني فإنها منتقاة بدقة وفطانة فأين منها تلـك الكلمـات والألفاظ التي يضطر إليها المـدرسون في فصولهم وصفوفهم للرد على مشـاغب ، أو الهزء بمتغاب .. كل شيء على الشاشة كما ترى مخـالف للواقع المحسوس المعـاش فأي تلفيق هـذا وأي اصطنـاع ؟ وقـد نفهم نحن الكبـار ، ومن مـارس التعليم منا ، هذا القبح الكائد ، أما أطفالنا ومراهقونا ويافعونـا فـإن التمثيليـة تنطلي عليهم بأبعـادهـا ، فتنعـدم الصلـة بينهم وبين مـدرسيهم ، ويسقـط التواصل ، وينعدم التفاعل لتهوي كوكبة من فرساننا الصغار عن أجيادهـا ، وتعم البلوى ديـار قومٍ جعلوا من التلفـزيـون مربيهم ومعلمهم والآخـذ بنـواصيهم إلى حيث يشاء ، ويشاء أصحابه . لقد استطاع المـدرس التلفزيوني إسقـاط المـدرسين في فصولهم من عيـون أبنـائنـا فبـاتـوا بغير قـدوة ، وبـاتـوا وهم يحملقـون في وثن تلفزيوني أعملت فيه يد الماكياج عملها ، وجعلت منه نجماً لا ندّ لـه ولا نظير ، بين جمهرة المعلمين المسلمين على امتداد أرض الإسلام .

٢ ـ هدم الثقة بالمدرسة : إن فقدان الثقة بالمـدرس يقود إلى فقـدان الثقـة بالمدرسة التي أفقـدهـا التلفزيون جـاذبيتهـا أيضـاً ، فهي المضار الـذي تتم من خلاله العملية التربوية التعليمية فما يقدمه التلفزيون من برامج تعليميـة ، وفق المناهج الرسمية المقررة ، يصرف الطلاب عن احترام المدرسـة التي ينتمون إليهـا ويفسد التعليم أولاً وآخراً .

فعلى شـاشـة التلفـزيـون تبـدو حجرة التعليم واسعـة ، نظيفـة مرتبـة ، والسبورة مناسبة تماماً ، والمقاعد على درجة عـاليـة من المتـانـة والجمـال ، وقـد تكون من النوع الفردي الذي يستطيع الأغنياء اقتناءه لأبنائهم المدلهين ، وقـد لايفطن كثير من المشاهدين إلى أن هـذه الحجرة الراقيـة ليست سوى استوديو

في مبنى التلفزيون . أما الطلاب الذين نشاهدهم على الشاشة فليسوا سوى مدعوين للمشاركة في هذه المسرحية التلفزيونية التي يكون ختامها ، بلا شك هدايا مجانية مقدمة من إحدى المؤسسات التجارية . وأما المدرس التلفزيوني فينبغي أن يكون من حظايا السلطان الذين يتأتئون باسمه بكرة وعشياً ، فامتدت إليه يد الماكياج ، واستبدت به وصايا الإخراج ، فاستسلم للعبة التلفزيونية الماهرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا ما ترى خياله على الشاشة المرتعشة فأين من ذلك واقع مدارسنا في معظم بلاد العرب والمسلمين ؟ التي تكاد تنقض بين لحظة وأخرى على رؤوس طلابها ، أوتلك التي تفتقد أبسط الشروط الصحية من هواء نقي ، ونور مناسب . إن أكثر مدارسنا تشبه المغارات والزرائب ، وإذا قدّر لها أن تخطوا إلى الأمام قليلاً فليست أكثر من أخمام للطيور ينحشر فيها الطلاب وقد تزاحمت المناكب بالمناكب والتفت الساق بالساق . وكم قرأنا في الصحف ، وروى الرواة ، عن مدارس في وطننا الكبير يجلس فيها التلاميذ على الأرض ، وقد وحَّد البؤس بين التلاميذ ومدرسيهم ، حتى لكأنهم في بلاد ليس فيها تلفزيون ، ولا نوافير ماء في الساحات العامة ، ولاتماثيل هنا وهناك تحكي قصة القهر والجبروت ، ولا مهرجانات رياضية تنفق عليها الملايين .

وهكذا تفقد المدرسة هيبتها ، ويضعف دورها في قيادة التعليم في بلادنا فقد هزتها المدرسة التلفزيونية هزة عنيفة ، وألّبت عليها أهلها ... نعم ينبغي تغيير الواقع المرير لمدارسنا ، ولكن ليس على حساب هذه الأجيال ونظرتها للمدرسة والمدرس . فنحن لا ننادي بالمدرسة المزخرفة ، ذات الهندسة الأخاذة ولكن بتلك المدارس التي لا تصرف الذهن والعقل عن متابعة المدرس والتلقي السليم منه ، والتفاعل والتواصل بينه وبين طلابه لتحقيقها للشروط الصحية الإنسانية . وحتى يتحقق ذلك فيجب إيقاف هذا العدوان التلفزيوني الآثم على أبنائنا ومدرسينا ومعاهدنا .

التلفزيون والتعليم عنْ بُعد :

وهو مايدعى بالتعليم المفتوح ،وهو يشبه إلى حدٍ مّا حلقات المسجد ، إذ لا شروط ينتقى على أساسها الطلبة ، فمن استشعر في نفسه الحاجة لذلك والمقدرة على متابعته دون تقيد بالسن أو المستوى العلمي والاجتماعي ، فما عليه إلاّ أن يوطن نفسه على متابعة البرنامج سواء كان تلفزيونياً أو إذاعياً .

والتعليم المفتوح نظام في التعليم لا يتقيد بالمنهجية التي يلتزم بها التعليم الرسمي والغرض منه تمكين قطاعات كبيرة من العاملين من استكمال تعليمهم أثناء الخدمة ، وفتح المجالات أمامهم للتدريب ، وتجديد المعلومات من أجل تحسين أوضاعهم في العمل والحصول على أجر أعلىٰ ،ويختلف التعليم المفتوح عن التعليم وجهاً لوجه في أنه لايتطلب من الطالب التردد بانتظام على الفصول الدراسية ،و إنما يستعين في أغلب الأحوال بالراديو والتلفزيون والمراسلة لإيصال مواد المنهج إليه ، ومن هنا أطلق عليه اسم (التعليم عن بعد) [١] .

ودور التلفزيون في هذه المهمة عامل مساعد فحسب ، إذ لاغنى لهذا النوع من التعليم عن الكتب والمذكرات والشروح المكتوبة وكأن الأصل في ذلك هو الكتاب وليس التلفزيون إذ على الطلاب المشاركين متابعة مالديهم من كتب ومراسلات ومراجعتها للإفادة منها بقدر الإمكان ، فالاعتماد الكلي على ما نشاهد غير كاف ولا مفيد ، فإن ما يعقب هذه المشاهدة من حوادث ومشاكل وأعمال ، يعمل على محو ما قد يعلق بالمخيلة حتى إذا مضى وقت يسير تحولت هذه المعلومات إلى مزق لا تدل على ثوبها ، ولا تلبث طويلاً حتى يطويها النسيان .

ولعل تقنية التلفزيون تناسب إلى حدٍ مّا ، هذا النوع من التعليم ، وذلك

---

(١) الدكتورة ليلى العقاد : القمر الصناعي العربي والتعليم المفتوح ، ص ٤٤٥ .

على عكس ما لاحظناه حين يتصدى التلفزيون للمناهج التعليمية المقررة إذ لايخرج دوره في هذه الحالة عن معول تقويض وهدم **لكل** من العلم والمعلم والمتعلم والمدرسة .

ولا بد لنا في النهاية من الإشارة إلى قصور التلفزيون عن أداء دور غير مهيأ له أصلاً ، وهذا ما نبه إليه الدكتور عبد الرحمن العيسوي حين قال : ليس هناك إمكانية لإيجاد التفاعل بين المحاضر في التلفزيون والمشاهدين ، والتأثير هنا من جانب واحد فقط [١] .

---

(١) الدكتور عبد الرحمن العيسوي ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ، ص ٣٤ .

الآثار النفسية للفيديو والتلفزيون

ليس بمقدور أحد أن ينكر ما للتلفزيون والفيديو من الآثار السيئة في النفس الإنسانية ولو أنصف كل مشاهد لأعلن عما ينتابه من إحساس لدى المشاهدة وليس هناك سوى الموتى لا تأثير للتلفزيون فيهم أمامه لأنهم موتى بلا نفوس .

ويقول خبراء شركة « جنرال إليكتريك » إنه بعد نصف دقيقة من المشاهدة يبدو المخ وكأنه نائم ،وهنا وجه الخطورة بالنسبه للتلفزيون ، فإذا اعتاد المشاهد الاستسلام للمشاهدة فإنه يظل مستسلماً [1] ، وهنا مكن الخطر فالمخ شبه نائم وليس بمقدوره أن يدرأ عن النفس ما يوجه إليها ويصبح عاجزاً عن المقاومة فتصب المعلومات فيه صباً لتبدو الآثار الجانبية في النفس والعقل .

ومن المؤكد أن هذه الآثار لا تأتي مباشرة عقب صب المعلومات وتغلغلها في النفس ، وإنما تظهر بعد حين نتيجة تضافر برامج أخرى تعمل على تراكم الآثار التي تأخذ بدورها من جديد بالاندفاع من الداخل نحو الخارج ، على صورة سلوك حركي يترجم التفاعل اللا إرادي المديد الذي يأخذ سبيله إلى النفس على شكل مفاهيم امتزجت مع الشخصية فأكسبتها بعضاً من ملامحها وأهدافها ، ولذا فإن تأخر ظهور هذه النتائج يوهم الكثيرين ويدفعهم للإقلال من الأخطار الناجمة عن ذلك ، بل إن العامة يرفضون هذا الرأي ، أو على الأقل فإنهم لايعتدون به .

والتلفزيون يثير كثيراً من العمليات العقلية الشعورية واللاشعورية ، فهو

---

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣٠٨ .

يثير الخيال أو الوهم ، فيعيش الإنسان مع خيالاته المستمدة مما يراه على شاشة التلفزيون أو الفيديو ، كما يثير فيه روح التقمص أو التوحد مع من يرى من شخصيات يعجب بها ، أو آراء أو أفعال ، كما تجعله يسقط آماله ، وآلامه وعقده ، ومخاوفه النفسية على ما يشاهد من مناظر وشخصيات وأحداث ، ويشجع فيه أحلام اليقظة ، وفيها يهرب الإنسان من الواقع المؤلم ليحقق رغباته المكبوتة التي عجز عن تحقيقها في عالم الحقيقة وفي ذلك نوع من التصريف . وكذلك يقال إنه يشجع السلبية حيث أن المشاهدة لا تتطلب أي جهدٍ من قبل المشاهد ، كذلك فإنها تقدم الأفكار جاهزة ،وقد يتعود على ذلك فيتكاسل حتى عن مجرد التفكير أو النقد أو التمحيص فيما يرى ويسمع ، يضاف إلى ذلك أنه يرى ـ في حالة التلفزيون خاصة ـ أشياء مفروضة عليه ليس له دخل في تصميم برامجها أو وضعها [١] .

التلفزيون وأحلام اليقظة :

يمكننا اعتبار مشاهدة التلفزيون نوعاً من أحلام اليقظة ،وهي أحلام لا تعود إلينا بل لشخص آخر في مكان بعيد مع العلم أنها تعرض على شاشة داخل عقولنا . فالعيون الثابتة المحدقة في الشاشة الصغيرة تكاد تكون الحاسة الوحيدة العاملة من حواسنا ، ومع ذلك فإنها تتجاهل الصور وهي تصب داخل مناطق اللاوعي في عقولنا ، وقد بينت المئات من الدراسات العلاقة المباشرة بين حركة العين والتفكير فعملية جمع المعلومات بالنظر تتطلب أن يكون المشاهد يقظاً نشطاً ، لا أن يتقبل كل مايجري أمامه بطريقة سلبية ، وهناك دراسات تثبت أنه عندما تكون العينان ساكنتين أو محدقتين بطريقة مخيفة

---

(١) الدكتور عبد الرحمن العيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

فالتفكير يكون مضمحلاً تماماً ، كما يقول جيري ماندر[١] فربما دخلنا في العصر الذي تحشى فيه المعلومات مباشرة في العقل الباطن عند الجميع .

وأكثر المشاهدين يشعرون بمثل هذه الأحلام التي يبدو أنها تجمح بالخيال ، فتتوزعه الصور المتركبة من المشاهدات المتتالية ذات الموضوع الواحد أو المتقارب ، بل باستطاعة هذا الخيال أن يؤاخي بين الصور المتناقضة ليؤلف بينها ، ويجعل منها مادة تصلح لإطلاق أحلام اليقظة على غاربها ، بعيداً عن الواقع وهروباً من المسؤوليات .

الإخلال بالتوازن النفسي للأطفال :

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن سخر له هذا الكون ليكون خادماً له تارة ، وموضع عبرة تارة أخرى ، ودالاً على عظمته سبحانه في كثير من مظاهر قدرته ، ولا نهائية ملكوته ، ليحمل الإنسان الأمانة غير مفرط بها ، ولا زاهد بثمراتها ، وهذا ما يدعو إلى تنشئة الإنسان ، وليداً ، تنشئة صالحة متوازنة ، تجعله قادراً على أن يتوجه إلى الله بأخلص الأعمال وأصوبها .

وأكثر ملامح الشخصية في الشباب والكهولة ، أو بتعبير آخر في معظم مراحل العمر التي تلي الطفولة ، تأخذ منحنياتها البيانية مما اكتسبته في الطفولة المبكرة والمتقدمة من حب وكراهية ، وقسوة ولين ، ورحمة وشدة ، ورشد وطيش ،وصبر وانهيار .. فما الكبار إلا صورة للصغار بعد انسلاخ من إهاب البراءة الذي كان يحتجز خلفه مكامن الشخصية ، فطرية ومكتسبة ، وقد نبه نبينا محمد ﷺ إلى ما يؤثر في المولود من طبيعة والديه وأخلاقهما

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٦٨ .

ودينها فقال : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » [١] .

فجميع القادة ، صالحين وغير ذلك ، كانوا أطفالاً ، والمصلحون والمفسدون ، والأمناء والخائنون كانوا كذلك ، كل أولئك كان لبصمات الطفولة شأن وأثر في سلوكهم حينما أضحوا كباراً ، فالطفل الذي لا يأثم بما فعل في طفولته يحمل معه ، إلى صباه ، في حناياه ، بعض أو جلَّ ما تلقاه وهومايزال صغيراً ، فما الطغاة إلا أطفال كبروا ، حاملين معهم نزعة الإفراط في انتهاك كرامة الإنسان التي رتبها الله لمخلوقه الذي استخلفه في الأرض ، إذ وجد فيهم الانحرافُ والضلالُ جنوداً مخلصين جادين في مقارعة الحق واستذلال الإنسان الذي كرمه الله وأعلى منزلته في مخلوقاته .

والحق أن التلفزيون يلعب دوراً مؤذياً يسيء إلى التوازن النفسي للأطفال ضمن العائلة الواحدة ، فعبر شاشة التلفزيون يظهر الأطفال على الدوام سعداء ، ظرفاء شديدي التهذيب ، وتظهر الأمهات جميلات مسترخيات دائماً ، أما البيوت فحدث ولا حرج ، حيث فيها كل أسباب الراحة ، من الأثاث الفخم حتى البراد والغسالة الأوتوماتيكية ، والسجاد البراق ، كل شيء ميسر ، كل شيء متوفر ، ومن بعد ذلك مباشرة ، خلف كل فيلم وكل حلقة أو مسلسل أو برنامج تتدفق صور الإعلانات والدعايات المغرية ، فتغرق الأطفال في بيتك ، مثلهم مثل ملايين الأطفال الآخرين في وطننا الإسلامي الكبير ، في عالم الرؤى والمشاهد الجذابة والمغرية التي تجعلهم يسقطون تحت سيطرة الإغراءات المادية ، أو يطيرون في عالم من الأحلام والمغامرات والرغبة

---

(١) عن أبي هريرة مرفوعاً : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » أخرجه البخاري (١ / ٣٤١ و ٤٣٨ و ٣ / ٣٠٨) ومسلم (٨ / ٢٣) والطيالسي (٢٣٥٩) وأحمد (٢ / ٣٩٣) واللفظ للبخاري والطيالسي راجع الإرواء رقم (١٢٢٠) .

في الامتلاك والنجاح ، وتكون المشكلة أكبر وأجلّ خطراً في مسلسلات العنف المبطن بالخيال حين يجلس الأولاد بكامل عفويتهم وقابلتيهم للتلقي لمشاهدة حلقات من نوع (غراندايزر) على سبيل المثال ، فيسقط عليهم شلال من الصور المتلاحقة العاجة بالمواقف الحاسمة والشخصيات المتصارعة ، ضمن هدير لاينتهي من الموسيقا الضاجّة التي تضيف إلى العنف عنفاً وإلى التغريب تغريباً . فلا يقوم الأولاد من كابوسها إلا وقد أرهقت أعصابهم وانبهرت عيونهم وصمت آذانهم (١) .

التلفزيون والرعب :

قد لا تشذ أسرة تمتلك تلفزيوناً عن الإحساس مرة بأثر التلفزيون في خلق الرعب في نفوس طفل أو أكثر لديها ، وما من طفل يشاهد التلفزيون إلاّ كان لتلك المشاهدة أثر ما فيه يقل أو يعظم بحسب حالته النفسية والاجتماعية وهذه أمور تبدو جلية لعوام الناس فكيف بمتعلميهم ومثقفيهم ؟ ولو لم يكن للتلفزيون غير هذه المنقصة لكفت في الدعوة إلى إعادة النظر في تقييم آثاره ونتائج معايشته ، والمخيف حقاً في هذه المسألة أن مظاهر الرعب أو الخوف التي تنتاب الأطفال نتيجة المشاهدة ، وإن خفت أو اختفت ، فإنها تظل مترسبة هناك في أعماق النفس تشارك في صنع شخصية الطفل التي يحملها معه حتى الموت ،وكثير منا يظن عندما يرى طفله قد كف عن الرعب أنه قد تخلص من ذلك وشفي تماماً منه ، ولكن الحقيقة المرّة هي أن هذا ليس سوى مظهر فقط لاصطناعنا عوامل مناوئة للرعب قد تفيد مؤقتاً ، ولكنّ ما استقر في اللاوعي سيعود يوماً عند أول إيقاع آمر بصعودها إلى السفح .

وتتجه الدراسات والبحوث التي أجريت في أوربا وأمريكا إلى أن

---

(١) صلاح ذهني : مجلة العربي العدد ٣١٦ آذار (مارس) ١٩٨٥ ، ص ٩٧ .

التلفـزيـون يفـزع الأطفـال الصغـار أكثر من الـوسـائـل الإعـلاميـة الأخرى التقليديه . والمعروف أن الطفل يكون مشدوها بالصور التي يراهـا ، وإن كان يخفف من هذا التأثير أحياناً الشعور بالدفء العائلي ، ووجود أشخاص كبار ، ولكن هل يلازم الآباء والأمهات أبناءهم طيلة المشاهدة ؟ إن العكس هو الذي يحـدث إذ يعمـد كثير من الآبـاء والأمهـات إلى تلهيـة أبنـائهم عن العبث أو الضوضـاء في البيت ، بـدفعهم إلى مشـاهـدة التلفزيون وربطهم بـه ليتسنى لهم الانصراف إلى القيام بأعمـال في المنزل أو خـارجـه ، ويشعر الطفل بـالفزع من المخـاوف والظلام والـوحـدة والمـواقف الرهيبـة والنهـايـات التعسـة ، والأحكام الظـالمـة القـاسيـة ، ومـا لا شـك فيـه أن الرعب يؤدي إلى القلق والكابوس ، والنوم المتقطع ، والأحلام المخيفة [١] وقد لاينفع أصلاً وجود الكبار مع الصغـار أثناء المشاهدة للتخفيف من وطأة الرعب والخوف وذلـك عنـدمـا يشعر الطفل بتوحده مع المشهد واندماجه فيه حتى لكأنه أحد أبطاله أو المشاركين فيـه فقـد أضحى غـائب الوعي عمـا حولـه ، وبـذلـك يصبح وكأنـه يشـاهـد التلفزيـون منفرداً نائياً لايحميه أحد من اللص أو القاتل أو الصرصور .

وأذكر منـذ سنوات عنـدمـا كانت تـذهب طفلتي الصغيرة لـزيـارة الجيران ومشاهدة برامج التلفزيون عندهم : أنها أصبحت بعـد مـدة من زيـاراتهـا هـذه تخاف النوم ليلاً ، وتنتـابهـا نوبـات من الرعب الحقيقي يخيل للمرء معهـا أنهـا خائفة من سكين تكاد تسقط على رقبتهـا ، وعنـد البحث والتقصي عن السبب تبين لنا أنه التلفزيون الذي رأت على شاشته بعض المواقف المخيفة المرعبـة التي كانت تبرز أمـامهـا كلمـا حـان موعـد نومهـا ، ولم ينجهـا من ذلـك إلاّ تحقيق رغبتنا في امتناعها عن مشاهدة التلفزيون بعد أن بينا لها أن ما تشـاهـده على

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٧ .

الشاشة الصغيرة هو السبب في الرعب الذي أفسد عليها مرح الطفولة وبراءتها .

وهذا ما حدث حديثاً لطفلة أحد إخواننا في الله ممن أصابتهم بلوى التلفزيون ، فقد انتابتها نوبات من الرعب والخوف أقضت مضجعها ، وقد أفصحت الطفلة عن السر في ذلك ولم يكن هذا غير التلفزيون اللعين الذي يعادي الصغار ، ويضمر لهم الشر ، والزيف ،ويحول بينهم وبين التمتع بطفولة هادئة هانئة لا تنغصها قسوة المجرمين ، ولا تغرقها في بحار الرعب تلك المواقف الحرجة التي تقف أمامها العقول الكبيرة موقف الدهشة والانبهار ، أو الحرج والإحباط ...

وأذكر أنني خلال الدراسة الإعدادية شاهدت فيلم (نفوس معقدة) وأظنه للمخرج (هتشكوك) الذي اختص بأفلام الرعب ، وقد كان الفيلم مرعباً حتى الثمالة ، وكنت كغيري من المشاهدين الذين احتبست أنفاسهم عند كثير من اللقطات المخيفة ، وعندما دخلنا قاعة السينما كنا نشعر جميعاً بأننا داخلون لمشاهدة فيلم ، أي صور متحركة ، يخترقها النور ، فتظهر خيالاتها على الشاشة البيضاء ، لا لمشاهدة حياة حقيقية ولكن وبعد دقائق فقط من العرض نسينا أننا أمام فيلم وشعرنا بأننا انضممنا إلى زمرة الممثلين الذين أضحوا لدينا حقيقيين ، نسير برفقتهم خطوة خطوة ونسي الواحد منا أن في السينما المئات من المتفرجين فشعرنا بالوحدة والخوف وراح المخرج يلعب بأعصابنا ، وعقولنا ،ونفوسنا ، وانتزعنا من مقاعدنا ، وزجنا في أتون الرعب والخوف والانهيار .

ويتحدث رجال العلاج النفسي عن حالات مرضيةٍ الأساسُ فيها التعرض للشاشة الصغيرة ، ومن هذه الحالات يصف (بريل Bruel) حالة فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تعاني من بعض حالات الخوف المرضي ـ الخوف من الأحدب ـ وتمثلت الحالة ، وبوضوح ، عندما رفضت الفتاة أن تذهب إلى محل

إصلاح الساعات لإحضار ساعة والدها ، وحدث أن كان صاحب محل الساعات أحدب . وخلص (بريل Bruel) إلى أن السبب في ذلك هو أن الفتاة عندما كانت طفلة قد شاهدت فيلم (أحدب نوتردام) وشاهدت الأحدب وهو يدق الأجراس مستخدماً قدميه المتقيحتين الكريهتي المنظر ، و أن الفتاة كبتت ذلك بعد مشاهدة هذا الفلم ولذلك رفضت أن تذهب لإحضار ساعة والدها [1] .

التلفزيون مدرسة السلبية :

إذا كان التلفزيون معلم النيام كما وصفه جيري ماندر ، فإنه في الحقيقة مدرسة السلبية التي تعمل على تأصيل هذه الصفة ونمائها ، وعلى ذلك فإن علماء النفس التحليلي يرون أن عملية المشاهدة تزيد من نزعات السلبية في الفرد من حيث أن المشاهد يجلس ساكتاً يتقبل ما يعرض عليه دون القيام بأي نشاط إيجابي . ويذهب (جيلين Gilynn) (١٩٥٦) وهو أحد علماء النفس التحليلي أن هناك بعض السمات التي ينميها التلفزيون في المشاهدين ،ويساعد على ذلك الدفء والصوت والثبات ، والتيسير ..... كلها تمثل العطاء الثابت الدائم ، دون أن تتطلب من المشاهد أن يرد أي شيء في مقابل ما يشاهده .. كل هذا يشجع على الاستسلام السلبي الكامل ، وإلى جانب ذلك هناك دور الخيال . ويلاحظ علماء النفس التحليلي قيام مثل هؤلاء الأشخاص بتصريف انفعالاتهم ورغباتهم اللاشعورية في أن يصبحوا أطفالاً صغاراً يرقدون في حجر أمهاتهم ، فالتلفزيون يشبع مثل هذه السمات : سمات السلبية ، والاستقبال ، والتلقين كما تطعم الطفل الصغير بالملعقة ، والدهشة والاستغراب والاستغراق ، والانغماس فيما يشاهد ، وعلى ذلك فإن

---

(١) الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢١٠ ج ٢ .

النشــاط والحيـويــة ، وتــوكيــد الــذات تختفي بشكل ملحــوظ في سلــوك المشـاهـدين [١] ، إذ يـدربهم على أن يكونوا إمعـات يتوجهون مـع التيـار أينما اتجـه ، فلا رأي لهم ، إذ يتحـولـون إلى ببغـاوات تردد مـا تسمع ، وتروي مـا تشاهد دون أن تكون لهـا إرادة حرة ؛ أمـا أولئـك الـذين يحترمون ذواتهم من مشاهدى التلفزيون فإنهم يحيون في صراع دائم مع ما يشاهدون على الشـاشـة ، فما وقر في قلوبهم من محبة الحق والصدق يحفزهم على مدافعـة البـاطل واستنكار أهدافـه ، وبـذلـك يفقـدهم التلفزيون سعـادتهم ويزيـد من انفعالاتهم . ينقل الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد عن سيلـد Seldes قولـه : إننـا نستقبل ما تقوله وسائل الإعلام في بلادنا انها لا تطلب منا أن نفكر ، ولا أن نختـار ، إن الأشيـاء تصب علينـا ، والنتيجـة أننـا لـو تركنـا هـذه الآلات تتحكم فينـا فسوف نتحول إلى أمة نصفها ممن هم فى سن العـاشرة والنصف البـاقي من أنـاس يعملـون بطريقـة آليـة : ويـورد عن (ديمـانت) قـولــه : إنني أرى مستقبـل بريطانيا معرضاً للخطر وذلك نتيجة للطبيعة السلبية لمشاهدة التلفزيون [٢] .

شعور الناس أمام التلفزيون :

يكاد ألا ينجو أحد من أثر سيء للتلفزيون ما دام مشاهداً له . وقـد أورد جيري ماندر في كتابه (أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون) بعض مـا تلقـاه من رسائل المشاهدين التي تحدد ما يشعرون به أثنـاء مشـاهـدة التلفزيون فقـال : (إذا كان بـاستطـاعتـك صرف أي تصور عنـدك للتلفـزيـون وأنت تقرأ هـذه اللائحة ـ وكأن الناس يصفون آلـة لم ترهـا أنت ـ مثلاً ، فـالأرجح أن الفكرة التي ستكـون عنـدك هي : أنـك ستتصـوره آلــة تستطيـع الغـزو والسيطرة ،

(١) الدكتور عبد الرحمن العيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ، ص ٣٦ .

(٢) ماذا يريد التربويون من الاعلاميين ص ٢١٧ ج ٢ .

وإماتة الناس الذين يشاهدونها آلة ليست بعيدة عن آلـة السيطرة النـاتجـة عن الأوهام النفسية التي تديرها قوى معـاديـة . وإليـك هـذه اللائحـة التي تصف شعور هؤلاء الناس الذي يصب في بحر الأسر والضياع :

١ - عند مشاهدة التلفزيون أشعر وكأنني منوم مغناطيسياً .

٢ - إنه يمتص طاقاتي .

٣ - أشعر كأنني نبتة وأنا جالس تجاه التلفزيون .

٤ - أشعر وكأنه يغسل دماغي .

٥ - إن التلفزيون يبعدني عن واقعي كثيراً .

٦ - التلفزيون يسبب الإدمان وأنا مدمن .

٧ - إن أطفالي يبدون عند مشاهدتهم التلفزيون وكأن قوة خـارقـة دخلت في أجسادهم فصارت تتحرك من خلالهم .

٨ - إنه يدمر عقلي .

٩ - إن أولادي ينتقلون كأنهم في حلم بسبب التلفزيون .

١٠ - إنه يجعل الناس سخفاء .

١١ - إنه يحول دماغي إلى شتات .

١٢ - عندما يفتح التلفزيون لا أستطيع إبعاد نظري عنه .

١٣ - أشعر كأني مفتون بسحره .

١٤ - إن التلفزيون يستعمر عقلي .

١٥ - كيف أستطيع إبعاد أطفالي عنه وإعادتهم للحياة .

ويقول جيري ماندر بعد ذلك : (ومرة قال لي ابني كاي : إنني لا أريد أن أشاهد التلفزيون بالقدر الذي أقوم به ، ولكن لا حيلة لي ، فهو يدفعني نحو مشاهدته)[١] .

ما بعد المشاهدة التلفزيونية :

ليت تأثير التلفزيون ينتهي عند توقف البرامج ولكن الواقع أن تأثير هذه البرامج ممتد ، إذ تحاول النفس استعادة المشاهد مشهداً مشهداً ، ثم تتوقف عند أكثرها إبهاراً فتتكرر صوره في المخيلة وفي ذلك ما فيه من إتعاب للذهن ، وإثقال على النفس .

ولكن ما تخلفه المسلسلات التلفزيونية يفوق التقدير كثيراً ، فقد عمد المخرجون إلى التوقف المفتعل عند بداية حدث مّا دون إتمامه ، وذلك بالتوقف الفجائي ، مما يثير في النفس ضيقاً وألماً وحسرة ، وقد يذهب المشاهد إلى عمله ، عقب هذه الحلقة ، أو إلى نومه ، ولكن الصورة الأخيرة منها ما تزال تلح إذ تقرع سمعه ، وتهز كيانه ، فهي ما تزال في المخيلة أمام العين ، وتود النفس لو عرفت النهاية ، بل إنها لتحاول صنع هذه النهاية في داخلها غير أنها لاتوفق لذلك ، تماماً كالذي كان يفعله قارئ قصة عنترة في ليالي الشتاء الباردة حين كان يجلس العناترة متحلقين حول الراوي الذي يهد ، ويقد ، ويفتل شاربيه ، وكأنه فعلاً عنترة ، فإذا ما وصلت القراءة إلى مأزق يقع فيه عنترة توقف الراوي عنده فيصيح العناترة الآخرون هائجين مائجين طالبين منه تخليص عنترة من مأزقه . ولكن الراوي لا يستجيب فالوقت المخصص قد انتهى ، ولا بد من الانتظار لليوم التالي ليفتح الملف من جديد ، فإذا ما انتهى الشتاء بأمطاره وزمهريره انتهت قصة عنترة ، واكتمل معها فتل

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

الشوارب ، ولكن ماذا يعني هذا التوقف المفاجئ للرواية ؟ وما هي آثاره ؟

سيعيش هؤلاء المساكين الساعات التي تسبق استئناف القصة على أحر من الجمر ، ويتمنون لو تسارعت الساعات ، وطوي الزمن ، وانتصب الراوي ، ولسان حالهم يقول :

تطول بي الساعات وهي قصيرة   وفي كل شيء لا يسرك طول

وليس مشاهدو التلفزيون بأفضل حالاً من هؤلاء بل قد يزيدونهم تأثراً ، فللشاشة سحرها واللعبة التلفزيونية تبدو في القمة أمام بدائية الراوي ، وقلة أدواته التي لاتتعدى أحياناً : القصة المكتوبة والسيف المسلط ، والشارب المفتول . وإذا كانت القصة آسرة للعنتريين ، فإن التلفزيون أشد أسراً ، وأمضى سيفاً ، وأمتن حبلاً ، فبعد توقف الحلقة ، وفي اللحظة الحرجة ، يحيا المرء ساعاته مرتبكاً شارد الذهن كلما خلا بنفسه ، خائفاً من أن تفوته متابعة الحلقة الجديدة ، يخشى أن تبغته مهمة ، أو يصرفه أمر ، أو يشغله أب أو أم أو زوجة أو صديق عن المتابعة إذ يكفيه ما عاناه في ليله ونهاره ، وما كابده من الأشواق ، وكلما أقترب الموعد ازداد القلق ، واشتدت المخاوف فقد اقترب موعد الجرعة التالية التي يحلو خدرها عند المشاهدة ، ويعانى من آثارها بعد الانتهاء .

لقد عاشت أمتنا ردحاً طويلاً من الزمن وهي تعاني من آثار الأسطورة العنترية ، فكان ماكان ، حين زحف برابرة أوربا إلى ديارنا ، والتهموها داراً داراً ، ولم تصمد القلة الواعية المؤمنة المتصدية طويلاً للعدوان لقلة ما في أيديها من العتاد ، ولا بتعادها عن امتلاك ناصية الأمر وزهدها بالصولجان ، بينما كان السواد الأعظم من الأمة يحيون على أعتاب السيرة العنترية ، أو قصائد ابن الفارض ، وما إلى ذلك من قصائد وحكايات وسير .

فما الذي ستفعله بهذه الأمة الأسطورة الجديدة المتمثلة بالتلفزيون ووليده النجيب الڤيديو ؟ إن بوادر محنة كبرى قد لاحت نذرها في آفاقنا تتضافر على إنمائها عوامل كثيرة ، في مقدمتها الفيديو والتلفزيون . وما الذي تعنيه هذه الحوادث والكوارث والمحن التي يشيب لهولها الولدان ، فلا يتحرك لهولها في أرضنا حركة عملية جدية ، من أحد ؟ لقد أخذت السلبية منا مأخذها ، وبتنا لا نحس بجراحنا ، ودربنا على ذلك كما تُدَرَّب القردة على الرقص ، وراح التلفزيون والفيديو يضعان اللمسات الأخيرة لشخصيتنا الهزيلة التي تفرح العدوّ ، وتسوء الصديق ، وها هي ذي اليهودية تمادت في اقترابها من حافتي النيل والفرات ونحن نزداد ولعاً بكل ما من شأنه إذكاء النار المشبوبة حولنا .

الآثار الجسمية للفيديو والتلفزيون

تعددت الأبحاث التي تؤكد تأثير التلفزيون السلبي على أعضاء الجسم الإنساني وحواسه لما يبعثه من الإشعاعات الضارة وخاصة الأشعة السينية . وقد اثبتت التجارب إصابة فئران التجارب بالسرطان لتعرضها لأشعة التلفزيون ولم تنج حتى الغدد الصماء في داخل الجسم البشري والحيواني من آثار هذه الأشعة . ولم يدع التلفزيون الأم الحامل وجنينها من ضرر إشعاعاته ، إذ يسبب تشوهات في الأجنة أو يميتها قبل الولادة ، أو يكون سبباً لموت المواليد بعد الولادة ، ولم يعد خافياً على أحد الأضرار التي تصيب العين نتيجة لأشعة التلفزيون أو لطريقة المشاهدة ، إضافة إلى ما يسببه التلفزيون من الأرق ، واضطراب ضربات القلب وعدم القدرة على التركيز عند التفكير .

آثار الفيديو والتلفزيون على الحواس :

يشير جيري ماندر إلى الآثار الضارة لأشعة التلفزيون على الحواس الإنسانية ، وعلى البصر خاصة لأنه الحاسة التي تتعامل مع التلفزيون مباشرة ، وأكثرها استخداماً ، فيقول : (عندما نشاهد التلفزيون تأخذ أجسادنا أوضاعاً ساكنة لمدة من الوقت أطول من أي تجربةحياتيه باستثناء النوم ، وهذا يصدق أيضاً على العينين حيث يظن الجميع أنها أكثر ما تكون نشاطاً عند مشاهدة التلفزيون !! والعكس هو الصحيح ، وخاصة ، إذا كان بينك وبين الجهاز بعض المسافة ، أو كان حجم الجهاز صغيراً حيث يتم حصر الصورة كلها داخل حقل النظر دون أي مسح يذكر ، والعين لا تتحرك كثيراً حتى بوجود شاشة كبيرة للجهاز إذا قورنت بشاشة السينما التي تسمح بحركة العينين حتى حركة الرأس .

(إن عينيك تتحركان أكثر عندما تعمل في المكتب أوتقرأ كتاباً ، أكثر مما

تتحركان لدى مشاهدتك التلفزيون ، فهناك العديد من لحظات المقاطعة في المكتب ، وأثناء المطالعة يمكنك تغيير سرعة القراءة ، وإعادتها ، ورفع عينيك عن السطور من فترة لأخرى ، إن العين لا تتوقف أبداً عن البحث والمسح الدقيق في العالم الواسع الواقع خارج نطاق الوسط التلفزيوني لأنها أهم عناصر الارتباط مع العالم التي لا تهدأ عن البحث والدراسة وعند مشاهدتك التلفزيون فإنك تحكم على عينيك بعدم التحرك بالإضافة إلى تجميد مواز في نظام التعديل البؤري (المطابقة) إن العين هنا تبقى مركزة على مشاهدة الجهاز لوقت أطول من أي تجربة حياتية أخرى .

(وفي الأحوال العادية تعتبر عملية التعديل البؤري (المطابقة) أو الغائه ، أو إعادته من النشاطات التي لا تهدأ للعين أبداً خلال النوم والأحلام ، أما أثناء مشاهدة التلفزيون فإن العين تبقى على مسافة ثابته من الجهاز الذي لا يتطلب سوى تعديل بؤري لا يذكر مهما كان يحصل على شاشته من أحداث ، ومهما بلغ كسل العيون خلال مشاهدة التلفزيون فإنها تبقى أكثر نشاطاً إذا ما قورنت بالحواس الأخرى ، فالصوت قد تم حصره في المجالات السمعية الضيقة للتلفزيون ، وتم إلغاء الشم ، والذوق ، واللمس ، مرة واحدة)[1] هذا إلى جانب ما يصيب البدن من الخمول والكسل نتيجة السكون شبه التام الذي لايقطعه سوى حركات بسيطة يريح فيها جنبه ، كما أن الجلوس الطويل أمام الشاشة يفقد البدن كثيراً من نشاطه، ويعمل على إبطاء الدورة الدموية واضطراب ضربات القلب ، ويقلل من عدد مرات الشهيق والزفير وبكلمة موجزة فإن التلفزيون يعمل على أكثر من صعيد في إفساد البدن ، وإصابة أعضائه بالكسل ، مما ينشأ عنه البدانة ، أو الترهل ، وذلك لازدراد أكبر كمية من الطعام ، وانعدام الحركة .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

ولا شك فإن لاجتماع العدد الكبير في الغرف المغلقة أو سيئة التهوية أثراً كبيراً في تسميم الهواء الذي لا يفطن إليه أحد فيجدده ، لأن الجميع منغمسون في اللعبة التلفزيونية التي أبعدتهم عن الواقع فلم يعد بإمكانهم التفريط بلحظة واحدة من الإرسال ولا يغرنك أن بعضاً ممن كانوا يدمنون التحديق في التلفزيون أنهم أضحوا أقل تعلقا به ، وما ذاك في الحقيقة إلا ضرب من ضروب الاعتياد على نوع معين من المخدر لم يعد له من تأثير على البدن لاعتياده عليه ، وهو لذلك ينصرف عنه طلباً لما هو أشد تأثيراً ، وهذا ما يلاحظ على أولئك الذين وجدوا في الفيديو بغيتهم لأن التلفزيون لم يعد يملأ أدمغتهم بعد أن استطاع خلق تطلعات جديدة مدمرة لم يعد معها التلفزيون قادراً على القيام بهذه المهمة . وليت شعري ما الذي سيفعله هؤلاء يوم أن يصلوا إلى حد الإشباع من الفيديو أم ترى سيكون قد ولد يومها للفيديو مولود جديد هو أكثر فتنة وتضييعاً وغسلاً للأدمغة ؟ اللهم إني لا أعلم ، فأنت علام الغيوب .

آثار ضوء الفيديو والتلفزيون : (١)

إن الضوء التلفزيوني هادف موجَّه ، وتوجهه إلى عيوننا من وراء الشاشة مدافع توليد (أشعة الكاثود) وهي توجه إلينا في الحقيقة بقوة / ٢٥٠٠٠ / ڤولت في التلفزيون الملون ، وبحد / ١٥٠٠٠ / فولت في الجهاز الأبيض والأسود ، وهذه المدافع تطلق تيارات إلكترونية على دقائق فسفورية على الشاشة ، مما يجعلها تتوهج لتبعث ضوءاً ينطلق مباشرة إلى عيوننا ، ولذلك فمن الصواب أن نقول إن الضوء يقع على عيوننا أكثر من أن نقول إننا ننظر إلى الضوء .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٤٤ .

فنحن نتلقى الضوء خلال أعيننا الى سائر الجسم بكمية تكفي للتأثير على جهاز الغدد عندنا ، وسواء أكان الضوء عبارة عن دقائق من المادة ، أو أمواج من الطاقة ، وهو موضوع مناقشة بين علماء الطبيعة إلى الآن ، فالمهم أنه شيء يدخل في ذاتنا .

وعندما تشاهد التلفزيون فإن خطوطاً من الطاقة تعبر مدفع الكاثود إلى الدقائق الفوسفورية مباشرة إلى عينيك فإلى جسمك . وقد أدرك رجال التشريع والقانون في الغرب بالرجوع إلى أهل الاختصاص مدى ضرر الأشعة السينية المنبعثة من الأجهزة التلفزيونية فأقروا تخفيض كميات الأشعة السينية إلى أكثر من عشرين مرة خلال السنوات العشرين الماضية ، وحتى الحد الأخير يعتبر عالياً ومضراً كما يقول الدكتور (جون أوت) وهو اختصاصي في التصوير البطيء ، ففي سلسلة دراسية شهيرة له نمت إحدى النباتات بشكل مشوه بالغ الضخامة بعد أن وضعها أمام شاشة تلفزيون ملون وفي تجربة مماثلة على الفئران أصيبت هذه ببؤر سرطانية بسبب تعرضها للأشعة المنبعثة من التلفزيون ، وبعد فإن أي كمية من الأشعة السينية تصدر من جهاز التلفزيون تعتبر ذات ضرر بالغ للإنسان .

وقد بين الدكتور (جون أوت) في مقال له في المجلة الطبية (العين والأذن والأنف والحنجرة) الشهرية عدد تموز (يوليو) ١٩٧٤ ، تصوره القاطع لتأثير الضوء على الكائنات الحية بقوله : إن الضوء يمر عبر عيوننا ليصيب طبقة الشبكية التي تتمتع بوظيفة مزدوجة ، أولها : تلك المعروفة المتعلقة بترجمة الضوء إلى صور عبر الأعصاب الواصلة إلى الدماغ ، أما الثانية التي لا تقل أهمية عن سابقتها فتتعلق بشعاع الضوء نفسه الذي يمر عبر أقنية كيميائية داخل الغدة الصنوبرية والغدة النخامية وخلالها ، أي داخل الغدد الصماء عند

الإنسان والحيوان على حد سواء [١] .

وهكذا ، ودون أن يدري الإنسان ، فإن دفقات من الأشعة الضارة تتسلل إلى أعماقه عبر الأعصاب الواصلة إلى الدماغ ، ومن خلال أقنية كيميائية داخل الغدد الصماء فتصيبها بالخلل وهي المسؤولة عن حفظ التوازن النفسي والعقلي والجسدي داخل البدن البشري .

أضرار العائلة التلفزيونية :

في زاوية (أخبار العلم) في جريدة الأخبار القاهرية كتبت ثريا حنفي تقول : (هناك انقلاب خطر في أسلوب حياة ملايين البشر ليس في مصر وحدها بل في العالم كله ، فنتيجة لارتفاع مستوى المعيشة زاد الإقبال على (الڤيديو) ولا أعني بكلمة الفيديو هنا جهاز (الفيديو المنزلي) وإنما الشاشات التلفزيونية المضيئة الملحقة بأجهزة الكمبيوتر ، أو الألعاب التلفزيونية المنزلية .

(ففي كل يوم ينضم ملايين البشر إلى قائمة مستخدمي هذه الأجهزة في المطارات وشركات الطيران ، وفي البنوك ، والمستشفيات ، وفي المدارس والجامعات . وفي المنازل يجلسون محدقين النظر أمام تلك الشاشات المضيئة فهل هناك أخطار صحية تهدد بقتل هؤلاء الناس ؟ هذا كان موضوع بحث علمي قيم أجراه (المعهد القومي للأمن الصناعي) في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يقول الدكتور محمد شرف استشاري ورئيس قسم الطب الطبيعي بمستشفى الساحل التعليمي ، فقد بدأ الاهتمام بهذا الخطر عندما أصيب اثنان من الصحفيين العاملين بصحيفة (نيويورك تايمز) بعتامة في عدسة العينين بعد سنة من نقلهما للعمل بقسم جمع الأخبار من شاشات الكمبيوتر ، حيث اضطرا للجلوس أمامها لفترات طويلة ، كما لوحظ ازدياد نسبة

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٤٧ .

الإجهـاض بين المـوظفـات الحـوامـل في مكاتب الحجـز بشركات الطيران والمطارات ، ورغم أن قياس معدل تسرب الإشعاع من شـاشـات هـذه الأجهزة تعتبر بسيطة ، وأقل من القدر المسبب للأضرار والمضاعفات . إلاّ أنه يبـدو أن قصر المسافة والالتصاق بالجهاز قد تكون السبب في حدوث هذه المضـاعفـات ، وفي كندا أصدرت وزارة العمل قانوناً بـإعفـاء السيـدات الحوامل من العمل في أقسام الكمبيوتر ، ونقلهن إلى وظائف أخرى طوال فترة الحمل .

(وقـد تبين من البحث الـذي أجراه المعهـد القـومي لـلأمن الصنـاعي في الولايات المتحدة الأمريكية أن العينين تصابان بالإرهاق ، والإجهاد السريع ، وبالاحتقان والاحمرار في آخر النهار ، مع حدوث تهيج وإحسـاس بوجود رمل أو تراب بـالعينين ، كما أنهما تـدمعـان بـاستمرار ، وتثقـل حركـة الجفنين ثم تضطرب الرؤية ، وتضعف مع عدم وضوح الأشياء القريبـة وأخيراً أحـذر من الانبهار بهذه الأجهزة حتى تقي نفسك من هذه الأضرار والمضاعفات)[١] .

تحذير للأم الحامل :

بقلم (بيدار مدكور) وجهت صحيفة الأهرام القـاهريـة الواسعـة الانتشـار تحـذيراً للأمهـات الحوامل من الجلوس طويلاً أمـام التلفـزيـون كيـلا يصـاب الجنين باشعاعاتـه فقـالت : (أكـدت نتـائج بحث علمي مصري أن تعرض الأم الحـامل لمصـادر الإشعـاع الشـديـد الموجـودة حـولنـا في كل مكان ينتـج عنـه تشوهات في الأجنة قد تتسبب في موت الجنين قبل أو بعد الولادة .

ويقول الدكتور (محمد منصور) رئيس وحدة بحوث المنـاعـة والطفيليـات بالمركز القومي لتكنولوجيـا الإشعـاع : من المعروف أن التعرض للإشعـاع قـد يسبب تغيرات في جلد وأعضاء الجسم المختلفة لـدى الإنسـان والحيوان على حـدٍ

---

(١) الأخبار القاهرية ٢٠ / ٩ / ١٩٨٣ م .

سواء ، كما يسبب الإصابة بالأورام السرطانية واحتمالات التقليل من الخصوبة في الذكور والإناث ، إلى جانب تغييرات في الصفات الوراثية في الأجيال القادمة ، وإحداث تشوهات خلقية في الأجنة أثناء فترات الحمل المختلفة .

ولذلك فقد وجه الدكتور محمد منصور الباحثة (هناء عبد الحميد أبو جبل) من قسم جيولوجيا الإشعاع إلى دراسة تأثير التعرض لجرعات مختلفة من الإشعاع على إناث الفئران البيضاء خلال فترات الحمل المختلفة من أجل التعرف على تأثير الإشعاع على مدة الحمل ، وعدد الأجنة داخل الرحم ، وعدد المواليد ، ونسبة الوفيات ، وأيضاً على معدل النمو والتشوهات التي تحدث في المواليد .

(وقد شملت الدراسة ثلاثة مراحل ، فى المرحلة الأولى تم تعريض (٧٢) أنثى فأر أبيض خلال الفترة السابقة من تثبيت الجنين لجرعات متفاوتة من إشعاع جاما ، وفي المرحلة الثانية تم تعريض عدد مماثل من أنثى الفأر الأبيض لنفس جرعات الإشعاع ، ولكن خلال مرحلة بداية الحمل ، وتم تعريض الأشعة في المرحلة الثالثة خلال فترة تكوين الجنين .

(وقد أوضحت نتائج الدراسة أن تعرض إناث الفئران الحوامل ـ التي اختيرت لإجراء التجارب عليها ـ لجرعات كبيرة من الإشعاع أحدثت إصابات واضحة في الجنين في مراحل نموه المختلفة ، وأن حدة الضرر الإشعاعي زادت بزيادة الجرعة الإشعاعية وأيضاً تأثرت بالمرحلة التي تعرض أثناءها الجنين للإشعاع ، فالتعرض الإشعاعي لأنثى الفئران الحوامل في فترة تثبيت الجنين نتج عنه زيادة كبيرة في موت الأجنة قبل الولادة ، بينما كانت التشوهات غير واضحة ، أما التعرض الإشعاعي خلال فترة تكوين الأعضاء فنتج عنه موت الأجنة قبل الولادة ، وبعدها كانت التشوهات واضحة ، كما نتج عن التعرض الإشعاعي للحوامل أثناء فترة اكتمال الجنين نسبة محدودة من موت الأجنه قبل

الولادة بينما كانت هناك نسبة كبيرة من موت المواليد بعد الولادة ، أما تشوهات الأجنه خلال هذه الفترة فكانت محدودة .

(وبناء على هذه النتيجة ينصح الدكتور محمد منصور السيدات الحوامل ، وكذلك الأطفال بعدم الجلوس لفترات طويلة أمام أجهزة التلفزيون الملون الموجودة حالياً في معظم البيوت المصرية ، إذ به مصدر للإشعاع القاتل للجنين ، كما أنه يؤدي إلى ضعف الإبصار عند الأطفال إضافة إلى تأثيره على عدسة زجاج النظارة الطبية وبالتالي درجة ملاءمتها لقوة العين) [١] .

ونقل الدكتور (رفعت كمال) في زاويته (علم .. وعلماء) في صحيفة أخبار اليوم القاهرية عن دراسة للمعهد العالى الحيوي بمدينة روزنهايم في بافاريا ، نتائج لآثار الإشعاع التلفزيوني فقال : (لعل أهم جهاز يجب الابتعاد عنه هو التلفزيون ، حيث يتم الجلوس أمامه بالساعات ، وبذلك يتعرض الجسم إلى الضرر لفترات طويلة ، فما الذي يمكن أن يحدث عند التعرض للتأثير الضار لهذا المجال الكهربائي المغناطيسي الصادر عن مثل هذه الأجهزة المنزلية ؟ في مثل هذه الحالة يرتفع ضغط الأوكسجين في الدماء ، ويترتب على ذلك ضعف واضح على الجهاز العصبي اللا إرادي . ومن أهم الأعراض التي يشكو منها المريض : الأرق ، واضطراب ضربات القلب ، وإفراز العرق بكثرة ، هذا بجانب عدم القدرة على التركيز عند التفكير . بجانب ذلك هناك الاضطرابات النفسية التي تتضمن : الاكتئاب ... الانفعال لأي سبب مهما كان تافهاً ، التوتر .. والإحساس الدائم بالخوف) [٢] .

---

(١) الأهرام القاهرية ١٧ / ٢ / ١٩٨٤ م .

(٢) أخبار اليوم القاهرية ٢١ / ١ / ١٩٨٤ م .

دراسة يابانية لآثار التلفزيون على الأطفال : [١]

في أحدث دراسة تمت في اليابان على الأطفال الذين يستخدمون النظارات الطبية ، اتضح أن مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة هي أحد الأسباب الرئيسية في ضعف النظر للطفل الياباني ، حيث أنه تبين أنه من بين أكثر من ٢٠٠ من تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية الذين شملهم الاستطلاع فإن واحداً من كل ثلاثة يقضي ساعتين في أداء واجبه المنزلي كل ليلة ، ويقضي ساعتين أخريين في مشاهدة التلفزيون .

أما تلاميذ المدارس الابتدائية من الفصول الرابعة والخامسة والسادسة فقد قال ١٧٪ منهم أنهم أصبحوا قصار النظر لأول مرة في السنة الخامسة بالمدرسة الابتدائية ، و١٦٪ في السنة السادسة ، و١٥٪ في سنتهم الأولى من المرحلة الإعدادية .

وقال ١٩٪ من الأولاد أنهم أصبحوا قصار النظر في السنة الأولى من المرحلة الإعدادية ، في حين أن ٢٣٪ من البنات قلن إنهن أصبحن كذلك في السنة الخامسة من المدرسة الابتدائية .

وعندما سئلوا عن أسباب قصر نظرهم أجابوا بأن ذلك يرجع إلى القراءة الكثيرة ٣٣٪ ومشاهدة التلفزيون لساعات طويلة ٣١٪ والمذاكرة في حجرة مظلمة ٢٧٪ وعامل الوراثة ١٧٪ .

وبعد ، أليس فيما أكدته الدراسات العلمية مدعاة إلى إعادة النظر في تلك العلاقة الحمية الآثمة بالتلفزيون ووليده الطاغية الجديد الفيديو ؟ أليس على العقلاء أن يتدبروا أمرهم قبل فوات الأوان ، فقد ظهر لكل ذي عينين ما

---

(١) الأهرام القاهرية ١٨ / ١٢ / ١٩٨٢ م .

يسببه الفيديو والتلفزيون وألعاب الأطفال الإلكترونية المشعة من الآثار السيئة على أبدانهم ، إن الأمر بلا شك يدعو إلى التوقف طويلاً لاستلهام الحق ، ومراجعة النفس ، لاتخاذ القرار المناسب الذي يحمي المرء من غائلة الذنوب ، فمن لم يحفظ أمانة بدنه فلسوف يسأل عن هذه الأمانة ، ولن يملك يومئذ جواباً ينجيه من الحساب لما ضيع وظلم ، إذ لم يقم بحق أمانة الجسد ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه) [١] .

---

(١) أخرجه الدارمي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح وقال الشيخ ناصر الألباني : إسناده صحيح كتاب الإيمان ص ١٥٩ .

الآثار الاجتماعية للفيديو والتلفزيون

بات من الثابت لدى العلماء المحققين ، أن الآثار الناجمة عن التلفزيون والفيديو لا تظهر عقب التعرض للمشاهدة مباشرة ، إذ لابد لها من فترة حضانة ، كالأمراض ، ولا تأتي بقوة اندفاعية كاملة ، لأن التأثير التلفزيوني يكون تراكمياً عادة ، كالإناء الذي تتسرب إليه المياه قليلة بطيئة ، فإذا ما امتلأ فاض وأثار الانتباه .

الخط البياني لآثار التلفزيون :

وقد نشرت منظمة (الائتلاف الدولي ضد العنف التلفزيوني) بحثاً استغرق إجراؤه (٢٢) عاماً أظهر الأثر التراكمي للتلفزيون الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه . قال البحث : (هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفزيوني في الستينات ، وارتفاع الجريمة في السبعينات والثمانينات ، وقالت المنظمة إن ما يتراوح بين ٢٥٪ و ٥٠٪ من أعمال العنف في سائر أنحاء العالم سببها مشاهد العنف في التلفزيون والسينما .. وأن العروض التلفزيونية الأمريكية العنيفة التي تعرض في أنحاء العالم ، ساعدت على انتشار الجريمة . ويقول الدكتور (رويل هيوزمان) أحد المشاركين في الدراسة إن هذه النتائج هي أول سجل للآثار البعيدة المدى لمشاهدة العنف التلفزيوني ويقول أيضاً : إن ذلك يجعل الأطفال يكتسبون عادات عدوانية ، بحيث يصبحون عندما تتقدم بهم السن ، أكثر ميلاً إلى الأعمال الإجرامية)[١] ، وهكذا كلما تعمقت الجذور الخبيثة في داخل الإنسان فإن الرأس النامي للشر يندفع بقوة أكثر نحو السطح حتى يطل يوماً بأفرعه المتعددة .

---

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ، ص ٣١٦ .

إن الآثار الناجمة عن التلفزيون ، بمختلف أنواعها ، تأخذ منحى بيانياً متصاعداً ، تخفى حقائقه كثيراً ، وخاصة على أولئك الذين يغمضون بصائرهم عنها ، بل إن الأمر ليلتبس على كثير من المشاهدين ، لانغماسهم في هذه اللعبة الإلكترونية ، ليصل الأمر إلى حد عدم الإحساس التام بهذه القضية لدى جمهرة غفيرة من الناس ، وذلك لطبيعة التأثير التراكمي الذي يعايش المشاهد لحظة لحظة ، ويوماً يوماً ، فلا يحس به لأنه ينمو بين يديه كالنبتة التي لايستطاع الإحساس بنموها حركة حركة . ولكن الدراسات العملية الجادة ونتائجها الملموسة فندت كل افتراء ينفي آثار الفيديو والتلفزيون الضارة أو الإقلال منها ، إننا نزدرد الآثار الضارة للتلفزيون وعائلته ، مغلفة بأحلامنا وأهوائنا وبتصوراتنا الهائمة دون أن يكون لنا دور في انتقاء واختيار ما نشاء ، إن كل ما نراه على الشاشة يستقر في اللاوعي منا ، دون مقدرة على التحكم فيه ، فلقد أضحت آثار ذلك جزءاً من ذواتنا ، وعنواناً لكثير من تطلعاتنا وأفكارنا .

التلفزيون والعنف :

لم يعد هناك من شك في أن للتلفزيون دوراً بارزاً في ظاهرة العنف المتنامية هنا وهناك في كرتنا الأرضية لكثرة إلحاح أفلامه ، ومسلسلاته ، وبرامجه على الإشارة إلى فاعلية العنف ، وأنه وسيلة مثلى مقبولة ، وقد تحمل هذه البرامج في طياتها عنصر البطولة ، وتصور أنه لاوصول للمرء إلى حقوقه الواقعية أو الموهومة إلا بمثل هذه الأساليب .

وقد أشار الأستاذ أحمد بهجت الكاتب والصحفي المصري إلى تأثير مشاهد العنف ومسؤولية المنتجين والكتاب في بعث العنف حقيقة في المجتمع ، لا تمثيلاً ، فقال : (إن العنف في المسلسلات والأفلام قد أثر على سلوك المواطن حتى صار أسهل الحلول ، وأقلها تكلفة هو العنف ، وقد عرض التلفزيون

المصري في برنامج (اخترنا لـك) فيلمـاً يـدور حول هـذه القضيـة ، أن مؤلفـاً تلفزيونياً يقع في صراع بين رغبتـه في أن يكتب شيئـاً لـه قيمتـه للتلفزيون ، ورغبـة المنتجين في أن تكون القصـة مليئـة بـالعنف ، والمطـاردات ، وانقلاب السيـارات ، واشتعـال الحرائق ، ويرينـا الفيلم كيف أثر برنـامـج كتبـه هـذا المؤلف على شاب فأشعل حريقاً وذهب ضحيتـه .. وهكـذا طرح الفيلم السؤال عن مسؤولية الكاتب ، ومسؤولية المنتج معاً ، إن المنتج عادة يفكر في الربح ، والربح ينبع من زيادة التوزيع وزيادة التوزيع مضمونـة إذا امتلأ المسلسل أو الفيلم بضرب النار والمطاردات المثيرة والعنف .

(أمـا المؤلف فيميل عـادة إلى كتـابـة عمل لـه قيمتـه ، ولكن هـذا الميل في المجتمع الغربي لاقيمة لـه لأن ظروف الحيـاة الضـاغطـة وهـذه الرغبـة في الإثراء السريع من المنتجين تسحق تمامـاً إرادة المؤلف فيتحول إلى النزول على رغبـات السوق .. هذه قضية إذن في العـالم الغربي ، ولقـد يقـال إنهـا ليست قضيتنـا ، ولكنهـا في الواقع قضيـة العـالم الثـالث أيضـاً لأنـه هو المستهلـك الأكبر لأفلام الإثارة والعنف) [1] إذن فأفلام العنف ليست كما يظن كثير من المشاهدين من الأعمال الفنية الضخمـة والراقيـة لأنهـا في الأصل انتجت لجـذب أكبر عـدد من المشاهدين ، للحصول على أكبر قـدر من الربح ، فـالفن أضحى وسيلـة لابتزاز أموال الناس بالباطل .

غير أننـا لا نلتمس لكاتب عـذراً أمريكيـاً كان أو عربيـاً في ولـوج بـاب الترويج للعنف مما يدمر به سعادة البشرية ، فالجاهلية العربيـة الممقوتـة أكثر عطاءً للإنسانية في مبادئها الأخلاقية من الحضارة الغربية ذات النزعة الأنـانيـة الفردية ، أما يقول الجاهليون العرب : تجوع الحرة ولا تأكل بثديهـا . نعم إنهـا

---

(١) الأهرام القاهرية ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٤ .

قولة جاهلية ولكن جاهلية الغرب تبيح الأكل بالثدي والشرف ونقض العهود ، ولولا هذه القوة المادية التي يحجب بها الغرب عوراته ، لتبدت لنا كل مخازيه وترهاته وأباطيله التي يحملها إلينا المخدرون على أنها فن رفيع ، ولو كان ذلك قائماً على تدمير الإنسان ، وسوء مصيره .

ولكن ، ومهما بلغت الحماقة بالغربيين ، فإن فيهم من يفطن أحياناً لآثار مشاهد العنف التلفزيوني ، فهاهم المسؤولون البريطانيون يشنون حملة للحد من العنف في وسائل الإعلام ، وخاصة برامج التلفزيون ، وذلك لحماية الأطفال من تأثيرها السيئ على نفسياتهم وسلوكهم ، ولذلك فقد قرر التلفزيون البريطاني إلغاء أربع حلقات من بين ثلاث وسبعين حلقة من مسلسل (حرب الكواكب) الأمريكي ، لأنها تتسم بالعنف الشديد ، ومشاهد الرعب التي لا تتناسب مع نفسيه الأطفال [١] .

وليست مسألة تأثير التلفزيون في تنشيط العنف تخمينية ، فقد جاءت نتيجة أبحاث ودراسات وملاحظات أخصائيين . ويرى فريق من العلماء أن الطفل يتأثر بالتلفزيون مباشرة ، ويرتكب أعمالاً عدوانية ويخلط بين الحياة الواقعية والحياة الخيالية التي يعرضها التلفزيون .

ويرى الدكتور إبراهيم إمام احتمال أن جميع الأطفال قد يتعلمون نماذج سلوكية معادية للمجتمع من وسائل الإعلام . ويقوم الأطفال بتقليد السلوك الإجرامي في الظروف التي تكون فيها المعايير الاجتماعية ضعيفة أو غير عاملة [٢] ، ولما عرض فيلم عنيف على مجموعة من الأطفال ، ثم قدمت لهم دمىً تشبه تلك التي عرضت في الفيلم ، فعاملوها كما عاملها الممثلون فمزقوها

---

(١) الأخبار القاهرية ١٩ / ١٠ / ١٩٨٤ .

(٢) الدكتور إبراهيم إمام الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٤ .

إرباً إرباً ، وَأعطيت نسخ أخرى من هذه الدمى لأطفال لم يشاهدوا الفيلم ، فلم يعاملوها بعنف [١] .

ولا تعني كثرة حوادث العنف على الشاشة التلفزيونية أنها هي السبب الوحيد في وصمها بأنها منشئة للعنف على الأرض وباعثة له ، فقد تنطوي بعض الأفلام والمسلسلات على لقطات قليلة ، ومع ذلك فإنها قد تكون أشد إثارة للعنف من أفلام أخرى تتسم بكثرة مشاهد العنف ، ولذلك نبه الدكتور إبراهيم إمام إلى أن الاقتصاد في حوادث العنف لايعد دليلاً على صلاحية الأفلام والمسلسلات وقلة تأثيرها السيئ في المشاهدين ، ولكن الأهم من ذلك هو السياق العام للبرنامج ، فليس المهم مثلاً عدد طلقات البندقية ، أو عدد الأحداث العنيفة ، ولكن المهم هو استخدام العنف كوسيلة لحل المشكلات ، فقد يوحي الموضوع بشكل عام بأن العنف والقتل هي الأساليب الواقعية لحل المشكلات ، أو أن الحصول على المال والسلطة والنفوذ يتطلب خشونة ، وفظاظة وعنفاً [٢] .

التلفزيون والتوجيه نحو العنف :

ليست الحلقة فيما يظهر على الشاشة مجرد فرجة لا يترتب عليها شيء ، ولكنها في الحقيقة استلهام للقيم المعروضة ، وامتصاص للمفاهيم التي تدور عليها ، ولذلك كان التلفزيون مدرسة مؤثرة تخدم أغراض القائم بالاتصال ، وتعمل على تحقيق أهدافه ومراميه .

ويتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عما يفعله التوسع في عرض أفلام العنف ، و الإلحاح على الشباب بسلاسل متتابعة منها ، وما تتركه هذه

---

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣١٥ .

(٢) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٢ .

الموجات من أثر سيئ على توجيه الشباب ويذكر مثالين لذلك ، أما الأول فمن أمريكا المنبع الأول لهذا الاتجاه ، والثاني رآه بنفسه ، يقول :

(أما الأول : فقد كثرت في حي معين في إحدى المدن الأمريكية حوادث إصابة الأطفال بجروح وكسور في مؤخرة الرأس ، وحوّلت حالات متتابعة إلى المستشفى القريب ، واسترعى هذا نظر الجهاز الطبي فيها ، وأجرى بحثاً عاجلاً لمعرفة السبب ، فظهر أن فيلماً معيناً شاهده الأطفال وتأثروا به ، وفيه مشهد شاب قوي الجسم تعود أن ينتصر على زملائه بأن يطرح أحدهم أرضاً ثم يضرب مؤخرة الرأس في حافة رصيف الطريق .

المشهد الثاني : تكرر في أكثر من فيلم ، حينما يهاجم أحد الشباب زميلاً له في مشرب أو مقهى ، فيمسك بيده زجاجة فارغة ، ويضرب قاعدتها فتنكسر تاركة وراءها أطرافاً مسننة كل منها كأنها خنجر ويهاجم بها خصمه في رقبته أو وجهه .

كانوا جميعاً من الطلبة ، ويلعبون بالكرة في فناء قريب أراه من نافذة مسكني ، واختلفوا فإذا بشاب منهم ـ هو أقواهم ـ قد تقمصته روح التمثيل ، فرفع كتفيه ، وأحنى رأسه قليلاً إلى الأمام وباعد مرفقيه ، وأمسك زجاجة وكسرها على سور قريب ، ولكن الكسر لم يكن فنياً ، فإذا هي تنكسر في يده ، واندفع الدم منها ، واندفع الشاب يصرخ في عنف طالباً النجدة ،وسارع زملاؤه إلى ربط يده وحمله إلى أقرب مستوصف طبي ،وتحول مشهد التمثيل إلى حقيقة دامية .. وبهذا يسري تقليد السيئ من حياة الغرب إلى شبابنا دون كبير عناية بالتقدم العلمي والتقني عند القوم ..) [1] .

ويبدأ العنف الانحرافي بالاستهواء الذي يدفع إلى التجربة الأولى التي يمكن

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ١١ ، ١٢ ج ٢ .

لها أن تتحول بهـذا الفتى أو ذاك إلى مجرم يجـد في العنف وسيلـة للسيطرة على أقرانه ، أو يدفعه ذلك إلى تشكيل عصابة تتخذ من العنف وسيلة تصل بها إلى أهدافها ، من سرقة ، وقتل ، وترويع للآمنين وبلبلة للخواطر والأحاسيس .

دراسات غربية حول العنف التلفزيوني :

إن ما يقدم على شاشة التلفزيون عمليـة تربويـة لهـا أبعـادهـا ومراميهـا ، ولـذلـك فمن الصعـوبـة أن تفصـل بين التربيـة والإعـلام فيما يقـدم من برامـج لتـداخـل الخيـوط وتشـابكهـا ، وقـد فطن لهـذا الأمر كثير من المفكرين والدارسين الغربيين أفراداً ومؤسسات ، فقامت هنا وهنـاك دراسـات وتحليلات لمدى فاعلية ما يقدم من صور العنف على الشاشة ، وتأثير ذلـك على الأجيـال الحاضرة والمستقبلة ، وبالرغم من أن الغرب هو منبع الشرور اليوم ، فإن المجتمع الغربي القائم على هذه المفاهيم لم يعدم فيه من يصغي لصوت الفطرة التي تحس خطر ما يدور على صفحة الشاشة الصغيرة من معـالم الجريمـة التي تكاد تـأخـذ بخناق أجيال وشعوب .

فقد اهتم العديد من بلـدان العـالم المتقـدم بـدراسـة أثر وسـائل الإعلام في العنف والجريمة ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية أكدت دراسة قام بها معهد جـالوب في عـام ١٩٥٤ م أن ٧٠٪ من الآبـاء يلقون بـاللوم على قصص الجريمـة وبرامـج العنف في الإذاعـة والتلفـزيـون ، ويرون أنهـا وراء ظـاهرة جنـاح الأحداث ، ويؤكد Stien Field ١٩٧٢ أنه اتضح له من دراساته وجود علاقـة علميـة بين العنف كما يشـاهـده الطفـل على الشـاشـة الصغيرة ، وبين السلـوك العدواني الموجه نحو المجتمع [١] .

ويعد رجال القضاء ، ورجال الصحة النفسية ، ورجـال التربيـة في الغرب

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢٠٧ ج ٢ .

من أكثر المهتمين بهذا الموضوع ، وهم - في الغالب - يرددون دائماً أن أفلام العنف من خلال الشاشة الصغيرة كانت السبب في وجود العديد من الأفراد خلف القضبان الحديدية أو نزلاء مستشفيات الأمراض النفسية ، وفي هذا المجال يؤكد Beer Worth وهو أحد القضاة في محاكم الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية لإحدى الصحف أن التمثيليات والبرامج الفنية التي تعرض على الشاشة الصغيرة قد جعلت العديد من الشبان يخرجون عن طورهم ، وقال قاضي آخر في ملبورن ١٩٧١ م : (لقد لاحظت أن انتشار العنف في المجتمع يرجع عموماً إلى السينما والتلفزيون لأنهما يعرضان دوماً البطولة مقترنة بحل المشكلات بالعنف) وهاجم قاض بريطاني برامج العنف بقوله : إنه اتجاه بشع للنفع والسادية إن هذه البرامج تقدم الجريمة وشرحها على أنها شيء ممتع .. ويؤكد التحليل الإحصائي في انكلترا أن نسبة قضايا الأحداث (من سن ١٠ إلى سن ١٧) لعام ١٩٤٠ كانت ١٠ر٥ في الألف ، ولكن هذه النسبة وصلت إلى ١٦ر١ في الألف عام ١٩٥٠ ثم ارتفعت إلى ٢٧ر٢ في الألف في ١٩٥٧ م ، ويعد التلفزيون من أبرز المتغيرات التي شكلت الحياة خلال تلك الفترة [١] .

ويذكر الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد أن العديد من رجال التربية يؤكدون أن برامج العنف التي تستخدم فيها القوة بلا حساب ، نجد فيها الضحايا يتلقون الضربات القاسية جداً ، ومع ذلك فلا يموتون بل ينهضون وفي هذا الصراع يستمرون ، وهذا ما يجعل الأطفال يصلون إلى استنتاج أنهم يجب أن يمارسوا أقصى درجات العنف لكي يصلوا إلى النتيجة .

ويستخلص الدكتور عبد الجواد تأكيد جميع البحوث على أن هناك علاقة

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢٠٨ .

وثيقة بين السلوك العدواني لدى الأطفال ومشاهدة البرامج التلفزيونية العنيفة ، وأن هذه البرامج تزيد من التوتر والقلق ، وتزيد من السلوك الآثم ، وأن الأطفال الأسوياء قد يتحولون تحت ظروف خاصة وبتأثير برامج العنف والإجرام إلى أطفال معتدين ، أما الأطفال العدوانيون ، فإن مشاهدة هذه البرامج تثير فيهم الرغبة في العدوان وممارسة العنف [١] .

التلفزيون والجريمة :

مما لاشك فيه أن التحريض على الجريمة ، والتدريب عليها ليس مسؤولية التلفزيون وحده إذ يشاركه في ذلك وسائل أخرى كالقصص والروايات البوليسية ، والسينما إضافة إلى الأسباب التقليدية كاضطراب الحياة الأسرية والاجتماعية والسياسية ، أو الإصابة بالأمراض العقلية والنفسية ، ولكن مما لاشك فيه أن التلفزيون يفوق هذه الوسائل والأسباب جميعاً بما له من تأثير مؤكد أخاذ ، ولإلحاحه اليومي على التشجيع على الجريمة ، وذلك عن طريق تناوله الموضوعات التي يعالجها بها تناولاً تحريضياً ، فالمجرمون كما يصورهم التلفزيون ، أذكياء أشداء نشطون ، ويحصلون على المال بأقل الجهود ،ويناورون رجال الشرطة بل يغلبونهم في كثير من الأحيان ، ولولا المصادفة أحياناً أو الاستعانة بمخبر سري ، أو انفراط عقد العصابة لما تمكنت الأجهزة الأمنية من القبض أو القضاء عليهم ،وحتى العاقبة النهائية التي تكون غالباً السجن ، فإنها لاتعني كثيراً بالنسبة للمشاهدين لأن أعداد المسجونين بغير ذنب قد تفوق أحياناً أعداد المسجونين لأسباب إجرامية في بلاد كثيرة من العالم الثالث المشدودة بخيوط إلى المعسكر الرأسمالي ، أو المعسكر الشيوعي ، ولم تعد النتيجة التي يصطنعها المؤلفون والمخرجون مخيفة ما دام البرآء والفضلاء ، بغير

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٤ .

ذنب ولا جرم ، يحاكمون على مسلك خير ، أو قول حق.ولا مجال لنفي تأثير التلفزيون في الدفع إلى الجريمة ما دام المجرمون أنفسهم قد أقروا بتأثرهم بما يعرض على الشاشة فلقد اعترف بعضهم [١] Brown المختلس المعروف وصاحب قضية اختلاس Qantas أنه خطط لجريمته عقب مشاهدة فيلم Doomsday Fligh في أكتوبر ١٩٧٢ . وخلال أربع وعشرين ساعة من عرض هذا الفيلم تلقى البوليس خمسة تهديدات بتفجير رحلات ومكاتب خطوط جوية . فهذه البرامج العنيفة تقدم العنف والجريمة ، وتشرح كيفية ارتكابها ، وكيف يخطط البطل (اللص) للضحية ، وكيف يستخدم التهديد ، وكيف يحصل على الفدية ، ويقول (هربرت وكيس) المفتش السابق للشرطة في (ديترويت) : (لا توجد أية جريمة قتل جنسية في تاريخ إدارتنا إلا وكان القاتل فيها قارئاً للمجلات والكتب الداعرة) [٢] وما من شك في أن للتلفزيون والفيديو خاصة ، مقدرة تفوق عشرات المرات مقدرة المجلات والكتب الداعرة على اقتراح الجريمة ورعاية أبطالها . وهذا أمر يدركه كل من يشاهد التلفزيون والفيديو .

الجريمة التلفزيونية تدخل حياتنا :

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الأهرام قصة ما جرى لسبع مدارس من أعمال تخريبية وحرائق ، تمت تقليداً لأحد الشخصيات الإجرامية التي ظهرت على شاشة التلفزيون المصري قبل أسابيع فقط من هذا التخريب ، قالت الصحيفة : (صورة جديدة من صور تأثير الأعمال التلفزيونية تعاني منها الآن منطقة حلوان ، جنوب القاهرة بعد أن تعرضت سبع مدارس فيها إلى أعمال

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢٠٩ ج ٢ .

(٢) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٤ .

تخريبية وحرائق تتم خلال ساعات الليل ، وتفاجأ بها إدارة المدارس في الصباح مع ورقة صغيرة يتركها الجاني . أو الجناة موقعة باسم (البرادعي) .

والبداية كانت صباح يوم ١٠ فبراير (شباط) الماضي عندما فوجئ ناظر ومدرسو مدرسة (أبو بكر) الإعدادية بحلوان أن المدرسة قد تعرضت خلال الليل لتسلل من شخص أو عدة أشخاص ، وقامت بأعمال تخريبية إذ حطمت الدواليب (الخزائن) التي تضم أوراق ومستندات تلاميذ المدرسة ، وكذلك مزقوا الأوراق والكتب والملفات والشهادات ، وتركوا ورقة صغيرة كتبوا عليها عبارة صبيانية تقول (البرادعي بيصبح ، وإلى اللقاء المرة القادمة في مدرسة أخرى) وبعد ما يقرب من أسبوع تكررت نفس الظاهرة في مدرسة حلوان الجديدة الابتدائية للبنين . وبنفس الأسلوب تكررت للمرة الثالثة في مدرسة حلوان الجديدة المشتركة ، ولكن التخريب تطور هذه المرة إلى إحداث حريق محدود داخل المدرسة بعد عمليات التخريب المماثلة في المدارس السابقة ، ورغم أن الجناة المجهولين يكتبون في كل مرة نيتهم على إحداث نفس العملية في مدارس أخرى ، فإن إجراءات الحراسة لباقي المدارس لم تكن على مستوى يمكن أن يوقف هذه الأعمال التي وصفها رجال الأمن بأنها صبيانية ، وقد استمرت مهاجمة باقي مدارس المنطقة حتى وصل عدد المدارس المجني عليها ٧ مدارس كان الجناة يمارسون لعبتهم في الظلام ، وخلال ساعات الليل .. وامتد نشاطهم إلى مدرسة حافظ إبراهيم الابتدائية المشتركة ومدرسة عمر بن عبد العزيز الابتدائية ، وفي مدرسة حلوان الثانوية للبنات هاجموا أيضاً مخازن الإدارة ومزقوا الكتب والأوراق والمستندات .

وقد وصف العقيد عبد الله عبد العزيز مأمور قسم حلوان هذه الأعمال بأنها (صبيانية) تقليداً لأحد الشخصيات الإجرامية التي ظهرت على شاشة التلفزيون منذ أسابيع .

ويصف الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسي هذه الجرائم بأنها نتائج مباشرة لمسلسلات العنف التي تظهر فوق شاشة التلفزيون ، وتؤثر تأثيراً مباشراً على الشباب في سن المراهقة . ويكاد يحدد أستاذ الطب ملامح وعمر الجاني في هذه الجرائم بأنه شاب حدد عمره بين الحادية عشرة والسادسة عشرة يقوم بهذه الأعمال وحده أو مع بعض رفاقه من نفس العمر .. وقد أكدت كل الدراسات أن المراهق يميل إلى تقليد ما يراه فوق شاشة التلفزيون ، وبالذات تلك الأعمال التي تتصف بالعنف وتشد انتباه جمهور المشاهدين .. وهذا ما تعانيه الآن بصورة مخيفة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تعدت الظاهرة حدوداً خطيرة تهدد الأمن من جراء ما يقوم به المراهقون تقليداً لمسلسلات العنف في التلفزيون الأمريكي)[1] .

وبعد أربعة أسابيع من نشر الخبر عادت الأهرام لتبين أن أربعة تلاميذ وغلامين آخرين كانوا وراء الجريمة التلفزيونية في حلوان فقالت : (كشفت أجهزة الأمن بالقاهرة عن سر الصورة الجديدة .. صور تأثيرات الأعمال التلفزيونية والتي عانت منها منطقة حلوان بعد أن تعرضت ست مدارس فيها وجمعية تعاونية إلى أعمال تخريبية وسرقات تتم خلال ساعات الليل وتفاجأ بها إدارة المدارس في الصباح مع عبارة يتركها الجناة كتبوها بالطباشير فوق سبورات المدارس موقعة باسم البرادعي .. تبين أن تلك الصورة الحديثة وراءها ٤ تلاميذ بالإعدادي وغلامين أرادوا القيام بمغامرة لتقليد إحدى المسلسلات التلفزيونية التي تركت في نفوسهم انطباعاً غريباً .. واعترفوا بارتكاب هذه الحوادث مقلدين بذلك المسلسل التلفزيوني)[2] .

---

(١) الأهرام ٣١ / ٣ / ١٩٨٤ .

(٢) الأهرام ٢٨ / ٤ / ١٩٨٤ .

التلفزيون ومعاكسة النساء في الطريق العام :

إن مـايعرض على شـاشـة التلفزيون لايعـدو أن يكـون صـوراً لا تشبـع نهماً ،ولا تروي صادياً [١] ، بل تزيـد من غلواء الجنس ، وتضرم نـاره ، ومـاذا يفعل الشباب أمام هذه الإثارات الماكرة ؟ إن أقل ما يصـاب بـه الشبـاب هو ذلك الصراع بين الفضيلة والرذيلة ، والقلق والكبت والأرق ، والألم والحسرة ، وهل يحتمل الشباب هذه الأثقال المرهقـة ؟ وهل يضمن هـذا التوازن العـاطفي لديهم ؟ إن نتائج الصراع والكبت تكاد تكون مخزية في كل مرة وإن تعـددت صورها وأشكالها ، وقد تقود أحياناً إلى الجنون ، وهذا ما أكدتـه الـدراسـات ، وأيـدتـه الحوادث التي تبين المـدى الـذي يهين فيـه التلفزيـون والفيـديـو على تطلعات الشبـاب ونزواتهم ، وقـد كتبت صحيفـة الأهرام تحت عنوان : (شهر وراء القضبان والسبب معاكسة في الطريق العام) تقول : (في محـاولـة لوقف فوضى المعـاكسـات في الشـارع المصري وإحـلال الآداب العـامـة كثفت أجهـزة حماية الآداب حملاتها للإمساك بالـذين يمـارسون هـذا السلوك المرفوض ، وقـد تمكن رجال حماية الآداب من ضبط خمسة آلاف و ١٨٣ قضية خلال عـام مضى وتنتشر المعاكسات بالقاهرة في المناطق المزدحمة بالجمهور ، كوسط المدينـة ، وفي مناطق مدارس البنـات وحول محطـات الأوتوبيس ، ويرتكب المعـاكسـات كما يقول العميـد السيـد المهـدي مـدير مكافحـة جرائم الآداب بـالقـاهرة من واقع القضايا المضبوطة ـ شباب تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ٣٥ سنة من طلبة المـدارس والجامعات والحرفيين والمجندين والموظفين ومعظمهم من غير المتزوجين .

وقد تطور أسلوب التعرض للإنـاث فلم يقتصر على توجيـه عبـارات الغزل للفتاة ، بل زاد إلى الوصف الفاضح لمفاتنها ، واستخدام السيارات في الملاحقـة

---

(١) الصادي : العطشان .

والمطاردة ، وقد تم ضبط اثنين من خريجي كلية الهندسة تعقبا فتاة من ميدان روكسي حتى سلالم مسكنها بميدان سفير بمصر الجديدة .

وتؤكد إحصائيات وزارة الداخلية أنه تم ضبط أربعة آلاف و ٨٦٩ قضية معاكسة في القاهرة ، و٥٩٠ قضية بالجيزة عام ١٩٨٣ كما ضبط أربعة آلاف و٥٩٦ قضية بالقاهرة و ٥٨٧ بالجيزة خلال عام ١٩٨٤ .

ويذكر العميد حسن العادلي مدير مكافحة جرائم الآداب بالجيزة أن السبب في انتشار المعاكسات هو التيارات الفكرية الواردة من الخارج ، وانتشار أفلام الفيديو ونوادي الديسكو والرقص ، وعرض الأفلام الخليعة على شاشتي السينما والتلفزيون ، والحالة الاقتصادية التي تسبب إحجام الشباب عن الزواج ونقص الوازع الديني ، وضعف العلاقات بين الآباء والأبناء ، وتشترك الفتيات في المسؤولية بالمبالغة في الماكياج ،وعدم الالتزام في الزي والسلوك ، وتشجيع الشباب بالنظرات والكلمات الجريئة) [1] .

عصابات من النساء :

لم يدع الفيديو والتلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى ، المرأة تمارس دورها الطبيعي في تربية الجيل والأخذ بيده إلى السبل الكريمة ، والمقاصد الشريفة ، ولكن هذه الوسائل عبثت بعقل المرأة ووسوست لها وأخرجتها عن وقارها ، وأبعدتها عن مهماتها السامية النبيلة ، وليست المرأة في منأى عن التأثر بما ترى فهي كالرجل إن لم تزد عليه ، وعليه فإن الأخطار المحدقة بالرجل تحيط بالمرأة أيضاً .

وقد طالعتنا وكالات الأنباء بخبر غريب يقول : سطت عصابة مسلحة

---

(١) الأهرام ١٩ / ٦ / ١٩٨٥ .

مؤلفة من ثماني نسوة على عشرة منازل في قرية (بانيرا)بولاية البنغال الغربية في الهند وسلبت ما فيها . ونقلت وكالة الأنباء الهندية عن مصادر للشرطة قولها : إن هذه العصابة اصطدمت بأصحاب البيوت المنهوبة مما أدى إلى جرح خمسة رجال ،وأضافت المصادر أن هؤلاء النساء اصطدمن في طريق عودتهن وهن يحملن الغنائم بدورية مسلحة للشرطة حيث جرى تبادل إطلاق النار بين الطرفين وانتهى بإلقاء القبض على العصابة .

وتشير الدراسات التي أجريت مؤخراً في البنغال وفي كثير من الدول الغربية أن ظاهرة العنف تفشت مؤخراً في المجتمعات الحديثة نظراً لانتشار موجة أفلام العنف والرعب ، واعتماد أفراد الأسرة على التلفزيون والفيديو إلى حد كبير في تمضية وقت الفراغ بدلاً من اللجوء إلى الهوايات والقراءات المفيدة مثلما كان يحدث في الماضي [١] .

وفي بور سعيد أبلغ المستشفى العام الدوائر الأمنية عن وصول سيدة في حالة سيئة يشتبه في تناولها كمية كبيرة من مادة مخدرة ، وقد أثار الحادث قلق المسؤولين خاصة بعد تكرار حوادث تخدير الضحايا ، وسرقة ما معهم من مصوغات ذهبية وأثبتت التحريات أن المجني عليها تعمل مقرئة وقد استقبلت بمنزلها يوم الحادث سيدتين من دمياط للاتفاق معها على إحياء ليلة فاستغلتا عدم قدرتها على الإبصار ووضعتا كمية كبيرة من المخدر في كوب ليمون تشربه ، ثم استوليتا على ست غوايش ذهبية قيمتها ألف جنيه ، وبعد غيبوبة ثلاثة أيام أدلت المجني عليها ببعض المعلومات حيث تمكن رجال الأمن من القبض على المرأتين ، وتبين أنهما تحضران إلى بور سعيد لصيد الضحايا ، وقد اعترفت المرأتان بقيامهما بسرقات سابقة مماثلة وقد اتبعت المرأتان هذا الأسلوب بعد مشاهدتهما مسرحية ريا وسكينة [٢] .

---

(١) الأهرام ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٥ .

وتحت عنوان (عربيان شاهدا الباطنية) كتبت صحيفة الاخبار القاهرية عن رجلين عربيين قدما إلى مصر متأثرين بما شاهداه في فيلم (الباطنية) تقول : (شاهد عربيان فيلم (الباطنية) في بلدهما فحضرا إلى مصر خصيصاً لزيارة الباطنية [١] وشراء المخدرات منه .. ألقت المباحث القبض عليهما ومعهما ربع كيلو حشيش .. قرر المتهمان أن لقطات الفيلم جذبتهما للحضور إلى مصر وزيارة هذا الحي لشراء المخدرات) [٢] وهذا بعض ما تفعله هذه الأفلام المنكرة من التأثير في نفوس الناس وتحسين الشر لهم ، وتصوير أن طريق الضلال سهل وممتع ، ولكن هل يهم المنتجين غير ما يملأ جيوبهم ويحقق مآربهم ، ويخدم أغراض أعداء المسلمين في الكيد لأخلاق نسائنا ورجالنا وشبابنا وأطفالنا ؟

خذوا أطفالي إلى الأحداث :

يخطئ كثير من الآباء والأمهات ، حين يعتقدون أن الفيديو والتلفزيون يساعدان على تربية أطفالهم وتهدئة أعصابهم وامتصاص شقاوتهم ، ويوهمون أنفسهم بأن هذا مطلب الصغار أنفسهم متغاضين عن دوافعهم لاقتناء مثل هذه الأجهزة العاتية ، وقد كتب محمد رجب في صحيفة أخبار اليوم القاهرية تحت العنوان أعلاه يقول : إحذر من دلع زوجتك .. وشقاوة أطفالك حتى لا تتعرض لمثل هذا الموقف : الزوجة تعمل مدرسة ، والزوج مهندس بإحدى الشركات . الطفل تسع سنوات ، والطفلة إحدى عشرة سنة .. ذات مساء دمعت عينا الزوجة لأن شقيقتها اشترت الفيديو مثلها .. أصرت على أن تمتلك (الفيديو) في أقرب فرصة لم يكن المهندس يؤخر لها طلباً منذ الزواج ..

---

(١) الباطنية : حي شعبي من أحياء القاهرة بجوار الأزهر .

(٢) الأخبار ١٩ / ١٠ / ١٩٨٤ .

أخذ من تحويشة الشقة التي سينتقلون إليها في مصر الجديدة وعاد ذات يوم ومعه المفاجأة .. الفيديو وشرائط الأفلام العربية والأجنبية والمسرحيات والأغاني .

ومر عامان حتى كانت الليلة الغريبة .. خرج الزوجان في رحلة سريعة للقليوبية لزيارة أم الزوجة . وعادا في العشاء فلم يجدا طفليهما ! طار عقلهما .. تحولت حياتهما إلى جحيم .. هرولا إلى القسم .. صرخت الزوجة خطفوا أطفالي .. وقال الزوج في عصبية : لا أثر لهما في أي مكان .. أغلقنا الشقة في الصباح عليهما ، وعدنا فإذا بالشقة مغلقة كما هي وأطفالي اختفوا منها .. وقرب الفجر تظهر مفاجأة جديدة . الزوج يتقدم ببلاغ جديد يؤكد فيه أن شقيق زوجته نفذ تهديده لخلافات عائلية وخطف أطفاله .. الزوجة تدعم أقوال زوجها .. الزوج يعلن أمام الضباط أنه سيقتل شقيق زوجته بالرصاص .. ولكن أحد الجيران يأتي مهرولاً ليخبر الجميع بأن الطفلين ظهرا .. ويصر الطفلان أمام الضابط على أن خالهما حضر في الصباح وكمم أفواههما وخطفهما إلى قرية زفتى بعد أن قام بتخديرهما ! تشكك الضابط في رواية الزوجين والطفلين وبعد محاولات عديدة اعترف الطفلان بأنهما تضايقا لأن والديهما لم يأخذاهما في رحلة الزيارة ، فقررا البحث عن مفتاح الشقة .. وسافرا إلى جدتهما في زفتى وأخفقا في الوصول للعنوان .. واصطحبهما رجل طيب للقاهرة .. ولأنهما خافا من والديهما .. قررا أن يتهما خالهما بالخطف نظراً للخلافات الكبيرة وتهديده المستمر لأبيهما بخطفهما . ويصرخ الأب في ذهول : خذوهما للأحداث : بينما الزوجة تضم طفليها في حنان .. ويسأل الضابط الطفلين عمن أوحى لهما بهذه الحكاية المحبوكة : قالا في سذاجة : شفنا حاجة زي كدة في الفيديو ياحضرة الضابط)[1] وليت شعري من الذي يستحق

---

(١) أخبار اليوم ٢٥ / ٨ / ١٩٨٤ .

الدخول إلى إصلاحية الأحداث : الأطفال الأبرياء الذين لم يجر عليهم القلم ، أم الأب والأم اللذان أسلما ولديها للممثلين والممثلات والمنتجين والمخرجين الذين استطاعوا إعطاءهما شهادة الانحراف في سنتين لا غير ؟ ومن الذي كان أقدر على التأثير فيهما ؟ أليس الفيديو ؟

التلفزيون اللغم :

نشرت جريدة الأهرام الخبر التالي : (لقي طفلان شقيقان بحلوان مصرعهما ، وأصيب شقيقهما الثالث باختناق عندما انفجر جهاز التلفزيون الملون ، وتصاعدت الأبخرة السامة لتخنقهما وكان التيار الكهربائي قد انقطع فجأة عن منطقة عزبة خليل بالمعصرة بحلوان .. ترك الأطفال الثلاثة (٦) سنوات و (٣) سنوات و (٢) التلفزيون الملون مفتوحاً في حجرتهم وناموا ، عاد التيار الكهربائي بضغط عالٍ فانفجر جهاز التلفزيون وتصاعدت منه الأبخرة السامة ، لقي طفلان مصرعهما ، وتمكن والدهما من إنقاذ الثالث في اللحظات الأخيرة ونقل إلى مستشفى حلوان العام لإسعافة)[١] .

وبعد ، فليس معنى أن برامج التلفزيون ، وأفلام الفيديو ، تقود إلى الجريمة أن يصبح كل المشاهدين مجرمين ، إذ يكفي أن تربي هذه البرامج المنحرفة عدداً محدوداً من الأشخاص ليصبحوا مجرمين ينغصون على المجتمع حياته ، وعلى الأفراد طمأنينتهم ، وحسب التلفزيون والفيديو إثماً ومساهمة في التخريب الاجتماعي أن يساعدا علي استنباط وزرع أنواع من الجريمة لا يكون المجتمع محصناً تجاهها ، ولا يمتلك القدرة على مجابهتها ، ومن ذلك كله فإننا نستطيع أن نسمي كلاً من الفيديو والتلفزيون (معلم جريمة) .

ولا شك في تفاوت شدة التأثير التلفزيوني على المستعين ، وذلك بحسب

---

(١) الأهرام ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٣ .

الجو العام المحيط بهم ، وتبعاً للمؤثرات الأخرى التي تعمل على تدعيم هذا السلوك أو ذاك ، ولا غرو أن ما يتسرب إلى النفس من أهداف البرامج وغاياتها يختلف بين حالة وأخرى ، فالناس تحت تأثير الضغط والإرهاب ، والقلق ، والترقب ، أكثر قبولاً للمعاني المنحطة السافلة ، على حين نجد أن مواطني البيئات التي تمنح رعاياها أكبر قدر من الحرية الواعية المستنيرة ، أقدر على مجابهة هذه المؤثرات ذاتها ، وإتقاء كثير من شرورها ، فالإرهاب يهبط بالمشاعر ، والحرية تصعد التطلعات الخيرة المعطاء .

التلفزيون والدعاية

مما لاشك فيه أن التلفزيون ، يتسنم اليوم ذروة العمل الدعائي ، فلا منازع له في هذا المجال ولا ند :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

ولذلك فقد تراجعت مختلف وسائل الإعلام تراجعاً ملموساً في هذا المجال ليأخذ التلفزيون دوره الطبيعي في هذه المهمة التي تكاد تقول : (لقد اصطنعت التلفزيون لنفسي) حتى ليلمس المشاهد أثر الدعاية في كل فقرة ،ولقطة ، واستراحة تبدو على الشاشة وإذا كانت شركات التلفزيون التجاري في العالم الرأسمالي تعتمد بشكل كلي على موارد الدعاية ، فإن كثيراً من أوجه التمويل في بلدان العالم الثالث ، تأتي عن طريق الدعاية التجارية أيضاً على الرغم من ملكية المؤسسة التلفزيونية من قبل السلطة ، وهذه البلدان تعتبر موارد الدعاية جزءاً من تخفيف العبء عن خزينة الدولة التي تتولى ، في العادة ، الإنفاق على الإعلام عامة في أراضيها .

ولابد للمشاهد المتأمل أن يلحظ أن قاسماً مشتركاً ينظم العلاقة بين مختلف البرامج ألا وهو عنصر الدعاية . فقد تكون الدعاية دعوة لفكر ، أو توجيهاً لمذهب ، أوترويجاً لسلعة ، بل قد تكون دعاية نجومية وذلك بتسليط الأضواء ، وتكثيف الاهتمام حول فرد معين حاكماً أو فناناً ، أو رياضياً .. وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأن العمل التلفزيوني ، يبدو من خلال ملامحه العامة دعاية ذكية ساحرة ، استغلت الإمكانات التقنية الهائلة للتلفزيون ، ووضعتها لتحقيق أهداف مدروسة ، ومعدة إعداداً تقنياً وتعليمياً ونفسياً وصولاً لغايات محددة سابقاً .

غاية الدعاية وطبيعتها :

يقول العالم الصحفي (ولترليبان Lippann)[١] إن الدعاية هي محاولة التأثير في عقول الجماهير ونفوسهم : والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها ، وذلك في مجتمع معين ، وزمان معين ، والدعاية بهذا التعريف نوع من الاستهواء ، وليست نوعاً من الاقناع ، والاستهواء يؤثر تأثيراً كبيراً في الأطفال ، وفي الجماعات البدائية ، أو الطبقات التي لم تنل حقها من العلم والثقافة في المجتمع .

ويقول الاستاذ (جان ديريونكو) في كتابه (الدعاية قوة سياسية) عن الدعاية [٢] : إنها المنتصرة أو الغالبة ، وأن كل شيء دعاية ، وأنها تزين كل شيء كما تريد ، وتشوه كل شيء كما تريد ، ولن نستطيع - ولو حرصنا - أن نقاوم الدعاية فيما أرادت من كل ذلك ما دمنا نعرّض أو نتعرض لها ، والدعاية تستخدم كل الأدوات وتتوغل في جميع مظاهر الحياة ، وتغزو كل مظاهر الفكر والعمل ، وتنسج حول الأفراد والشعوب شبكة من الضغط النفسي بأشكاله المختلفة .

والإعلان - كما يؤكد رولان بارت - ليس مجرد أداة تجارية محايدة ، إنه نظام إشاري يعكس نظاماً كاملاً من العادات الفكرية ، وقد ينجح في نشر وتأصيل عادات جديدة ، وخطورة الإعلان التلفزيوني تنبع من أن التلفزيون هو أرقى الأجهزة الثقافية تأثيراً ، وخاصة أن الغالبية العظمى من الشعب وخاصة أطفالنا - الذين تجتذبهم الإعلانات أكثر من البرامج - تنظر إلى التلفزيون باعتباره جهازاً موثوقاً به ، يعكس الواقع ويتمتع بالصدق

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤ .

والموضوعية ، ولن تجدي محاولات التلفزيون في تأصيل القيم البناءة طالما ظلت إعلاناته تطرح قيماً وتبين أنماطاً شعورية مخالفة [١] لعقيدة الأمة وتراثها ، بل وتتنافى تماماً معها .

الإعلان والحقيقة :

على الرغم من الزمن القصير الذي يستغرقه أداء الإعلان التلفزيوني ، فإن ما ينطوي عليه من المعلومات الصحيحة والكاذبة يملأ المخيلة ويؤثر في النفس تأثيراً عميقاً ، وذلك بإعادة الإعلان مرات ومرات حتى يصبح جزءاً من مشاعر الإنسان يرافقه في حله وترحاله ، بل لايفارقه حتى في حلمه . وكم من إعلان استحوذ على المشاهدين فحفظه الصغار والكبار . إذ انشدوا كلماته ، ورقصوا على إيقاعه ، وهاموا على وجوههم يبحثون عنه هناوهناك في عالم الواقع على صورة بسكوت ، أو شكولاته ، أو عطر .

ويرى جيرى ماندر [٢] أن الإعلان التلفزيوني لايملك شيئاً من الصدق ، لأنه لايعكس إلا حقائق وآراء الناس ، الناس الذين يمولونه ، وإلا فلماذا يدفعون له بسخاوة إذن ؟ إنهم يعلمون أن استغلالهم للمعلومات الإعلانية أمر يمكن الاعتماد عليه تماماً ، ويصبح الوضع أكثر وضوحاً عندما نتكلم عن الإعلان التجاري ، فعند مشاهدتك إعلاناً ما ، فإنك لاشك تعلم بأن المعلن يدفعك للقيام بعمل ما : شراء البضاعة ، وأنت تعلم أيضاً أن الأشخاص في الإعلان ليسوا حقيقيين أي إنهم ممثلون يُلَقَّنون أدوارهم في مواقف لا تمثل حياتهم الواقعية ، كلنا يعلم هذا ونعلم أن دافع الممولين ، أو الممثلين ، وكتبه الإعلان ، هو محاولتهم غرس شعور فينا يدفعنا لشراء شيء ما ، إننا نعرف

---

(١) د نهاد صليحة الأهرام ٣ / ١٠ / ١٩٨٥ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٤ .

هـذا كلـه ، ومع ذلـك فـإننـا نتفـاعل مع الإعلان ، والمعلنون لا يهمهم أبـداً إن عرفت أن الإعلان خرافي أو لم تعرف لأن صورة المنتجـات المعروضـة ستـدخل رأسك في كلتا الحالتين وستبقى هناك .

وما أكثر المصدقين الذين ينساقون بتـأثير الحمى الإعلانيـة للبحث عن هـذا المنتج أو ذاك على الرغم من عدم حاجتهم له ، فقـد يكون شراء هـذا المنتج أو ذاك من قبيـل الاطـلاع والتجريب لمرة واحـدة ، ليقـع المستهلـك بعـد ذلـك فريسـة لممولي الإعلان وكأن المسكين لا يعلم بـأن مفتـاح البطن لقمـة ومفتـاح الشر كلمـة كما يقول المثل العـامي . ولنمض مع جيري مـانـدر وهـو يكمـل لنـا الصورة : وتدخل بعد ذلك أحد المتاجر - سوبر مـاركت مثلاً - وترى معجون الأسنان الذي تحمل صورته في ذهنك ، وتدور التفاتة صغيرة في رأسـك ، إنها الألفة ، وهذا لا يعني أنك ستشتري هذا الصنف بغير شـك ،ولكن الفكرة تخطر في كل الأحوال ، لقـد غرسوا الصورة وحملتهـا أنت داخلـك كلوحـة إعـلانـات عصبية ، وليس بإمكانك مواجهة هذا لو واظبت على مشاهـدة التلفزيون لقـد أصبحت معرفتك للحقيقي وغير الحقيقي عقيمة ، فكل الصور لديك حقيقيـة ، وبشكل مّا تكون الصور الإعلانيـة أكثر واقعيـة من الصور التلفزيونيـه لأنـك ترى الصورة (حية) في المتجر الذي تدخله إنك تلتقم صورة معجون الأسنان من التلفـزيـون ، وتحفظهـا ثم تراهـا في المتجر فتتعرف عليهـا ، (هـل سمعت طفلك يقول : ياه لقد رأيت ذلك في التلفزيون لقد أظهر إثارة حقيقية) لو اتبعت معجون الأسنان فسيكون هناك في حمـامـك ، إذن فـالصورة التي كانت على الشاشة أصبحت مادية واقعية في منزلك)[1] .

وما أكثر ما يدرك المستهلك كـذب الـدعـايـة والإعلان التلفزيوني . فقـد

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٥ .

ينساق المشاهد بتأثير الإعلان إلى التعرف إلى السلعة وشرائها ، وفي مخيلته كل الصفات والمزايا التي ألصقها ذلك الإعلان بها ، ولكن عند التجريب تبدو كأنها غير الذي غرس في مخليته عنها ، ومع ذلك يعود إلي تجربته مرة ثانية وثالثة فالإعلان مازال شغالاً والمستهلكون مندفعون إليها ، وليس بمقدوره إلاّ أن يشارك في هذه الموجة ويساهم بما لديه من مقدرة شرائية . وكم تتباهى ربات البيوت باقتنائهن السلعة التي تظهر صورتها في التلفزيون لزعمهن بأن ظهور السلعة على الشاشة دليل على فخامتها وجودتها ، وأنها لو لم تكن كذلك لما وجدت طريقها إلى التلفزيون ولما سمح لها بالظهور هكذا تحفها الحسان ، وتدق لها الطبول ، ويرقص على إيقاع ألحانها الشيب والولدان .

إن الصورة التلفزيونية للسلعة خرافية فالجبنة مثلاً ذات نكهة لذيذة لا تكاد توصف ،ومصنوعة من الحليب الصافي الطازج ، الذي تجود به البقرات الجميلات التي ترعي الأزهار والرياحين ، والبسكوت طعام الأطفال المدلهين ، والكازوز مشروب الرياضيين والفائزين ، والسيكارة صانعة رجال الأعمال وأصحاب المشاريع والثروات والمغامرين ، ومعجون الأسنان تستعمله ملكات الجمال وصاحبات الحظوظ السعيدة والشامبو تستعمله الغانيات ممن ينعمن بالسعادة ... كلها صور خادعة براقة لا تمت إلى الحقيقة بصلة فكل الذين كانوا يأكلون أو يشربون أو يغتسلون على شاشة التلفزيون ممثلون وممثلات أخذوا أجور المخادعة ، وقبضوا ثمن الإغراء أما الحقيقة فهي خلف الكواليس حيث يجلس السادة منتجو السلع وممولو الإعلان .

وقد أدرك أصحاب الأعمال قيمة الدعاية فراحوا يسخرون لها ماوسعهم من مال وجهد ، لاقتناعهم بجدواها وفائدتها ، ومما يروى عن أحد أصحاب المال ذوي الخبرة بأهمية الدعاية أنه قال : لو كان معي عشرة قروش لصنعت دعاية بتسعة منها وتاجرت بالعاشر . ومن الطبيعي فإن ما يدفعه الممولون للإعلان

لا يضيع عليهم فمن المعروف أن الشركات المنتجة للسلع تضيف إلى كلفة السلعة ما أنفقته على الدعاية لها ، وبذلك فإن كلفة الدعاية يقوم بتمويلها المستهلكون أنفسهم من الناحية الفعلية .

الإعلان التلفزيوني وحمى الاستهلاك :

ما من شك في أن الإعلان التلفزيوني يثير الشهية ، ويحث على الفضول ، ويدعو إلى المغامرة أحياناً ، ويفتح أبواباً جديدة في الاستهلاك ، ويساعد على استنباط أنواع من السلع لم تكن من قبل معروفة وليست هناك حاجة إليها ، ولذلك يعمد المنتجون إلى إيهام المشاهدين بالحاجة الملحة لهذه السلعة أو تلك ، أو بمعنى آخر فإنهم يعملون على غرس الشعور لدى ربات البيوت خاصة أنهن إن لم يحصلن على هذه السلعة فمعنى ذلك أن نظام إدارة المنزل سيختل أو سيظل مختلاً ، فقد رأين بأم أعينهن على شاشة التلفزيون تلك الأسرة التعسة التي استطاعت السلعة الجديدة أن تحولها إلى أسرة منظمة سعيدة مرحة بعد أن قامت ربة المنزل بشرائها واستعمالها .

ويا حسرتاه فقد انطوت الخدعة على الجميع ونسوا أن تلك الأسرة التي حولت السلعة شقاءها إلى نعيم ليست سوى مجموعة من الممثلين والممثلات الذين لا يتورع كثير منهم عادة عن القيام بأي دور مهما كان بعيداً عن الأخلاق الكريمة والشرف الرفيع .

فمهمة الإعلان التلفزيوني الأساسية كما يقول جيري ماندر[١] تكمن في جعله الناس يستمرون بالشراء الدائم ، من خلال العمل الدائم للحصول على المال اللازم للشراء ،ولأن التلفزيون هو الجهاز الذي تم اختراعه لاختراق حاجز الجلد من خلال تدخله المباشر في إعادة تشكيل أحاسيس الإنسان وخلق

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٠٥ .

أحاسيس أكثر ملاءمة للإفراط في الاستهلاك . وهكذا فإن الإعلان التلفزيوني يدخل حرم النفس الإنسانية دون استئذان ، وينتزع منها أحاسيسها ليعرض في الواجهات لتباع لنا ثانية على حد تعبير ماندر[1] إنه كساحر يحول أحاسيسنا الداخلية إلى شيء جديد يتمثل بسلع استهلاكيه ، ونتيجة لخبرة خمسة عشر عاماً قضاها جيري ماندر مدير دعاية وعلاقات عامةفإنه توصل إلى أن الإعلان وجدِ فقط لإمداد الناس بما لايحتاجونه ، ثم تابع قائلاً : وأنا شخصيا لم أصادف أي رجل إعلان يعتقد صراحة بوجود أي حاجة لتسع وتسعين بالمائة من المواد الاستهلاكية التي تملأ موجات الأثير وصفحات الجرائد والمجلات) [2] .

وما من أحد يشاهد الإعلان التلفزيوني إلا ويدرك أن تلك الحقائق ثابتة ، فكثير من السلع المعلن عنها لاحاجة لنا بها حقيقة ،ولكن الإعلان التلفزيوني يغرس في النفس شعوراً بالحاجة إليها ،ويحرض على تجربتها أو مشاهدتها في المعارض والمتاجر الكبيرة (السوبر ماركت) ففي مجال الغذاء مثلاً تتزاحم الإغراءات على غزو مخيلاتنا وإسالة لعابنا ، ولا يجد المرء مفراً من المفاضلة التي توقعه في النهاية في هوى إحدى السلع والاطمئنان إليها . وهكذا ينعقد العزم على التعرف إليها وشرائها ومع ذلك فإن المستهلك يجد نفسه بعد أيام مثلاً ، مدفوعاً إلى تجربة صنف آخر أكثر إغراء ومجلبة للسعادة كما يتوهم .

الإعلان التلفزيوني وتغيير الأنماط الغذائية :

وقد استطاع الإعلان التلفزيوني تغيير الأنماط الغذائية لدى قطاعات كبيرة من المجتمع ، لكثرة ما يعرض من صور الأغذية الغربية التي لم تكن

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١١١ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٠٧ .

معروفة لدينا ؛ بل إن الإعلان التلفزيوني يكاد يصرح في بعض جوانبه أن هذه الأنماط الغذائيه هي سبب التقدم العلمي ، والقوة العسكرية التي يتمتع بها الغرب ، فهذا المشروب صنع الأبطال الرياضيين المرموقين ، وتلك الجبنة تنمي العضلات وتكسب الأطفال نشاطاً وحيوية ، أما النساء فمن حقهن لكي يظهرن أكثر جمالاً وجاذبية ، أن يتناولن يومياً قطعة أو أكثر من الشوكولاته ، أما تلك السيجارة فهي سبب نبوغ العلماء والمفكرين والمخترعين .. وكثيراً ما تتهم الإعلانات نظام الغذاء الشرقي الذي يساعد على الإفراط بالسمنة والبدانة لتقدم لنا نظام غذاء تدعي أنه الأمثل ، وإن نظرة واعية لتركيب أكثر الأغذية الغربية كأنواع الجبنة ، واللحوم ، والمعجنات ، تظهر لنا مدى الخطر الذين يكمن فيها بما تحتويه من الشحوم والدهون ، وليس يخفى على أحد أن الأجبان الغربية تحتوي مثلاً على ٤٠ ـ ٥٠ بالمائة من الدهون ، وكذلك اللحوم المعلبة . ومما يزيد الأمر خطورة أن كثيراً من الدسم المضاف إلى هذه الأجبان واللحوم عبارة عن شحوم حيوانية قد يكون مصدرها الأساسي أو بعض مصادرها من الخنازير .

أضف إلى ذلك ما يسببه هذا التغيير في النمط الغذائي من الحاجة إلى الاستيراد من الدول الغربية المنتجة لهذه السلع ، أو شراء التكنولوجيا المصنعة لها . وفي كلتا الحالتين نجد أنفسنا تحت رحمة الغرب الذي استطاع أن يصنع لنا سلعاً خصوصية يتمكن بواسطتها من استخلاص ما في أيدي المسلمين من ثروات ولعلنا نذكر جيداً ما تفتق عنه الذهن الغربي بعد ما رأى من تدفق الثروات في بلاد المسلمين إذ راح يبتزنا بما يرضي غرور بعضنا فصنع لنا (النرجيلة الكهربائية) و (مدالية القرن الخامس عشر) الذهبية ، وما عرضه علينا من بيع (جبال الجليد) ونقلها إلى الجزيرة العربية لنشرب ماءاً نميراً ، أو ما أبدته شركات نقل البترول إلى اليابان وغيرها أن تحمل إلينا عند مجيئها فارغة ماءاً صافياً يحفظ لها توازنها في البحر ثم يكون لنا ملكاً خالصاً نزرع به

ديارنا وذلك لقاء دراهم معدودة تقل كثيراً عن كلفة تحلية ماء البحر أو استخراج الماء من الأعماق .

وليت شعري كيف استطاع الأكلة بعد حرب ١٩٧٣م أن يتداعوا إلى القصعة الإسلامية ونحن نسمع ونبصر ، وحين تنادوا إلى إقامة المؤتمرات الاقتصادية التي حشد لها الغرب أكبر مفكريه ،وراحوا يبحثون لنا عن الوسائل الناجعة في توظيف الثروات المتفجرة في أرضنا ، وصدقنا مقالتهم وانخدعنا بدعاويهم وقد أثبتت الثمانينات من هذا القرن ، أن ما جرى في السبعينات كان مؤامرة على المسلمين في أموالهم وثرواتهم وتطلعاتهم .. لقد ثبت لكل ذي عينين تريان ، وعقل يعي ، وقلب متدبر أن تلك المؤتمرات كانت تخفي خلف دخانها مؤامرة حاقدة أدارت الدفة حيث أرادت . واستطاعت أن تقذف بالحلم العربي بالقوة والتحرر بعيداً بعيداً ، إذ أن العرب وطنوا أنفسهم على طلب القوة والسؤدد من الماديات فقط فجاء الحديد ليفل الحديد ،وما هذا الإحباط الذي تحياه دنيا العرب والمسلمين في الثمانينات إلا نتيجة جنون العظمة الذي انتابنا في السبعينات .

الإعلان التلفزيوني والأطفال :

إن الأطفال أكثر تأثراً بما يشاهدون من إعلانات تلفزيونية ، لأنهم يأخذونها مأخذ الجد ، ويعتبرونها حقيقة لا مجال للشك فيها ، وكيف يشك الأطفال وهم يستقبلون كل شيء ويضيفونه إلى بنائهم الشخصي ؛ فهم لايتنبهون لما يسوؤهم إن لم يجدوا من يرشدهم ويبصرهم ، ولذلك كان الإعلان التلفزيوني يشكل خطراً محققاً على شخصية الطفل لاستمداده المفاهيم العامة لعلاقة الإنسان بما حوله مما يشاهده على الشاشة الصغيرة المرتعشة ، إذ تنعكس هذه المفاهيم على سلوكه وتفكيره وتطلعاته .

وفي بحث للدكتور سمير حسين الأستاذ بكلية الإعلام في جامعة القاهرة حول الإعلان التلفزيوني والأهداف التربوية والثقافية التي يمكن أن يحققها بالنسبة للأطفال ، طالب فيه بالرقابة الإيجابية الفعالة على الإعلانات التلفزيونية للتأكد من صلاحية المادة الإعلانية المقدمة ، وتمشياً مع القيم الاجتماعية والدينية والتربوية في المجتمع .

وتستند هذه الدراسة على النتائج التفصيلية التي تم التوصل إليها في البحث الميداني الموسع الذي اشترك فيه الباحث بعنوان (برامج وإعلانات التلفزيون كما يراها المشاهدون والمعلنون) والتي انتهت إلى عدد كبير من النتائج ... منها : أن ٩٨ر٦٪ من الأطفال يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة ، و٩٠ر٥٪ من الأطفال يشاهدون الإعلانات عادة مع آخرين ،وتزداد درجة المشاهدة الجماعية كلما صغر السن ، ومن نتائج البحث أيضاً الذي طبق على ٥٠٠ بطفل ، شملت العينة ٢٥٣ طفلاًمن الذكور ، و٢٤٧ من الإناث في مختلف الأعمار ، وذات مستويات تعليمية متفاوته أن ٩٦٪ من الأطفال يتعرفون بسهولة على أسماء المشروبات المعلن عنها ، وتزداد المعرفة بين الأطفال الأكبر سناً والأكثر تعليماً ، وأن ٩٦٪ منهم قالوا أن هناك إعلانات يحبونها، وقد تركزت معظم هذه الإعلانات في المشروبات والمأكولات والحلوى.

كما أوضح البحث أن أهم ما يشد الأطفال في الإعلانات التلفزيونية جمال اللحن ، والأغنية والمناظر ، وخاصة مناظر الأطفال وهم يأكلون ، والصور والرسوم المتحركة المستخدمة وعلى الأخص صور الحيوانات والكرتون ومدى إثارته للضحك ، وأيضاً نجوم الكرة المشهورين في الإعلان ، وأشار البحث إلى أن ٦٢٪ من الأطفال يطلبون من آبائهم شراء السلع المعلن عنها بالتلفزيون [١] .

---

(١) الأخبار ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٤ .

إن مـا يمتـاز بـه الإعلان التلفـزيـوني عـادة من سرعـة الحركـة والإيقـاع الراقص ، والمشهـد الضـاحـك ، والمـدة القصيرة كل ذلـك يشـد انتبـاه الطفـل ويـدفعـه إلى التعلق بـالإعـلان صـورة ومحتـوى ولا أدل على ذلـك من حفـظ الأطفال لكلمات وأغنيات وحركات الإعلان ، ثم إلحـاح الطفل على أبيـه وأمـه بضرورة تحقيق رغبته في الحصول على السلعة المعلن عنها وفي هـذا مـا فيـه من الحرج لـلأهـل والإثقـال عليهم ، وإن كانت امكانـات الأسرة المـاليـة لا تسمـح بتنفيذ هذه الرغبات ؛ فإن ذلك يبعث في الطفل الشعور بالحرمان ، والتأفف من واقعـه ، وفقـدان الثقـة بـذويـه . وأستطيـع التـأكيـد على أن أكثر هـؤلاء الأطفال هم من هـذا الصنف الـذي لا يقـدر ذووهم على تحقيق رغـائبهم . فمن المعلـوم أن ثمن التلفـزيـون والفيـديـو قـد اقتطعتـه هـذه الأسرة من طعـامهـا وكسائها وراحتها فمن أين لها أن تقوم بتنفيذ ما تمليـه الإعلانـات التلفزيونيـة عليهـا ، من الأوامر المبـاشرة وغير المبـاشرة بـالشراء والإسراف ؟ وإذا كان الأطفال الذين يعيشون في كنف أسر غير قادرة على مجاراة الإعلان التلفزيوني يشعرون بالحرمان ، فإن هؤلاء الآباء يحسون بالألم والحسرة لعدم مقـدرتهم على الوفاء بمتطلبات أولادهم من السلع التلفزيونية .

ومن الطريف المضحـك في هـذا الشـأن أنني سمعت أستـاذاً جـامعيـاً لـدى مناقشة رسـالـة جـامعيـة في الإعلام حضرتهـا رئيسـة التلفزيون المصري ، حين وجه نقداً للتلفزيون وآثار الإعلان السيئة فيه فقال لها : « لقد طلب مني ابني الصغير أن أشتري لـه « تُبس » [١] متـأثراً بـالتلفـزيـون » .. نعم إن الأطفـال يتعلقون بأي إعلان تلفزيوني دون أن يدركوا ماهية السلعة أو فـائـدتهـا . وكم يعاني الأهل من جراء ذلك حين يقفون أمـام إلحـاح أطفـالهم وأسئلتهم التي لا

---

(١) تُبس : وهو أحـد وسـائل منع الحمل التي تخص الرجـل ويعلن عنهـا التلفـزيـون المصري في أسرة المستقبل .

تقبل جواباً سوى السلعة نفسها .

الدعاية السياسية :

تبدو الدعاية السياسية في قمة أنواع الدعاية اليوم على الرغم من شيوع الدعاية التجارية على نطاق واسع . ولعل الذي أعطى الدعاية السياسية هذه الأهمية أن من يقوم بها عادة هم الأقوياء والمتسلطون الذين يهيمنون أو يحكمون . ويرى (غي دورندان)[١] أن الدعاية السياسية لاتهدف أحياناً إلى توليد تصرفاتٍ لدى المجموعة السكانية ، بل إلى جعل هذه المجموعة فاترة ، ودفعها إلى تقبل كل الأفعال التي يرتكبها الحزب القائم بهذه الدعاية . ويضرب (غي دورندان) على ذلك مثلاً فيقول : « إذا قامت حكومة معينة بسحق أقلية ، ستنظم هذه الحكومة حملة دعائية موجهة إلى مجموعة السكان لكي تعتبر المجموعة نفسها أن لهذه المجزرة ما يبررها » .

ويرى (غي دورندان)[٢] أن التكرار من أكثر الوسائل استعمالاً في الدعاية السياسية إذ يدفع الأشخاص الذين لم يلاحظوا المثير خلال عمليات التقديم السابقة إلى إدراكه ؛ كما يدعو ذلك إلى حفظ المثير والتذكير به . ويشير أيضاً إلى أن التكرار إذا كثر استعماله فإنه يملك فكر البعض لدرجة إحداث نوع من الحالة المُجاسية لدى بعض الأشخاص الذين ، بدلاً من أن يدركوا بطريقة فاترة المثيرات التي تقدم لهم ، يقومون - إلى حدٍ ما - باستقبال المثيرات عينها آملين في الوقت نفسه التخلص من إزعاجها لهم . ويمكن التعبير عن حالتهم الذهنية على النحو التالي : « متى ينتهي كل

---

(١) غي دورندان : الدعاية والدعاية السياسية ص ١٠٩ ترجمة الدكتور رالف رزق الله المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والوزيع بيروت ط الأولى ١٩٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ .

ذلــك ؟ » ولكن مجرد طرحهم للسؤال : « متى ينتهي كل ذلــك ؟ » يجعلهم يشعرون بالحاجة الملحة لاستكشاف السلسلة بكاملها .

ويرى غي دورنـدان أنــه من الممكن أن يـولــد التكرار في نفس الجمهور الشعور بقوة الفريق الذي يقوم بالدعاية كما يمكن أن يثير الثقة تجاهه .

مكانة الإعلان التلفزيوني :

يقف الإعلان التلفزيوني شامخاً بين وسـائل الإعلان الأخرى فهو يتعـامل مـع حـاستين مهمتين من حـواس الإنسـان الأكثر أهميـة وحيـويـة بينـمـا تفتقر الـوسـائـل الأخرى لهـذه الخـاصيـة المميزة . ولـذلـك نرى تهـافت المعلنين على استغلال الشاشـة الصغيرة في الترويج لسلعهم على الرغم من أن تكاليف الإعلان التلفزيوني تفوق تكاليف الإعلان بأية وسيلة أخرى بعشرات أو مئات المرات . ولعل أهم مزايا الإعلان في التلفزيون أنـه يبعث في المشـاهـد شعوراً ارتبـاطيـاً لميزاتـه الفنيـة والتقنيـة ، ولتلاقيـه مع أهواء النفس ، وللأثر التراكمي النـاتج عن تكرار الإعـلان مرات ومرات ؛ حتى أن تـوقف الإعـلان ، الــذي يكــون مؤقتـاً عـادة ، يثير في النفس فراغـاً وإحسـاسـاً يـدفع إلى البحث عن السلعـة ذاتها ، فلعلها تعيد بعض الذكريات المفقودة على الشاشة المرتعشة .

وإتماماً للفائدة في الدلالة على الأثر السلبي للإعلان التلفزيوني ، فإنني أضع بين يدي القارئ الكريم ملخصـاً للنقـاط التسع التي أوردهـا جيري مـانـدر في بيان أهميـة التلفزيون بـالنسبـة للإعلانـات . قـال جيري مـانـدر : التلفزيون وسيلة مفضلة للإعلان لأسباب طبيعية تسعة هي :

١ ـ أن التلفزيون سلعـة بحـد ذاتـه ، وسلعـة ليست برخيصـة ، وابتيـاعـه يعطي دافعاً قوياً للنظام الاستهلاكي .

٢ ـ أنه يغير طبيعة الأوساط الاجتماعية من سلبية ضده إلى إيجابيـة معـه ،

فهو يدخل واقعياً داخل الإنسان يدخل بيتنا وعقولناوأجسادنا .

٣ ـ التلفزيون تجربة يشترك فيها الجميع في وقت واحد ، ويعتبر من أهم الوسائل المساعدة للوسط التجاري لقدرته على التعويض عن التجارب الإنسانية وتوحيد الكل فيها . وعندما يتم حصر الناس كلهم في حالة فكرية وجسدية واحدة يستطيع أي إعلان أو صوت سياسي مناسب للمزاج العام التأثير على الجميع .

٤ ـ عندما يُحَدَّدُ تنوع التجارب بالتلفزيون يصبح باستطاعة مجموعة صغيرة من الناس التحكم بوعي المجموعة الأكبر . ومن حسن حظ المعلنين أن النظام الرأسمالي يعطي الأولوية في استعمال التقنية لمن يكون في مركز يمكنه من تغطية احتياجاتها المادية .

٥ ـ يعتبر التلفزيون فريداً في رأب أي صدع في النظام الاستهلاكي بالإضافة إلى قدرته على إخفات أي إثارة نفسية كامنة ، إنه الرابط الذي يلحم أطراف الحياة ، والمخدر الذي يخفف آلام التجربة المعزولة والمحددة ، بالإضافة إلى كونه نظام التسليم لعالم السلع والبضائع .

٦ ـ مع أن التلفزيون يمكنه التعويض عن التجربة الشخصية والاكتشاف ، فإنه في الحقيقة كالوقت الضائع ، إنه ضد التجربة ، إنه يربط الناس به لتفاعله مع الجسد البشري وفكره ، مما يخفت حساسية هذا الجسد ووعيه للعالم حوله ، وعندما يختصر التلفزيون أي شكل للمعرفة ، ويقزمه تصبح الفرصة سانحة لتعظيم الحياة السلعية الاستهلاكية .

٧ ـ إن التلفزيون يشجع السلبية والبلادة من خلال حصر اهتمام الناس بحوادث خارج نطاق حياتهم تماماً ، كما يثبط الوعي الشخصي .

٨ ـ ويضيف التلفزيون بعداً آخر لطريقة خيالات المرايا لأنه يخاطب

بواسطة الصور وهو مما لايستطيعه الراديو أو جهاز الصحافة .

٩ ـ التلفزيون يشجع التفرق : تفرق الناس عن محيطهم ،وعن بعضهم ،وعن أنفسهم ليخلق وحدات شرائيه أكثر ،ويعيق أي معارضة منظمة للجهاز نـإنه يجعل من نفسه البديل الوحيد لأي موطن مشترك ، والناصح الوحيد لأي إنسان والمعلم والمرشد للتصرف المناسب والوعي الصحيح ، مما يوفر له نظاماً للتغذية ذاتي يمكنه زيادة نموه وتسريع عملية تحويل كل شيء وكل شخص إلى أشكال صناعية والنتيجة دائماً هي تمكين حفنة من الناس من الحصول على درجات فريدة في القوة والسيطرة [١] .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١١٢ ، ١١٣ .

الفيديو والتلفزيون والحياة الاجتماعية

استطاع التلفزيون ، والفيديو الآن ، أن يؤثرا في الحياة الاجتماعية تأثيراً كبيراً ، فغدت كثير من علاقات أفراد الجنس البشري على غير ماعهدناه منذ عصور ، ومن الطبيعي فليس كل ما أصاب حياتنا الاجتماعية مصدره الفيديو والتلفزيون ، إذ أن مظاهر التردي والضعف والتفكك قد بدأت قبل عصر التلفزيون والفيديو ، غير أن ما يؤديانه اليوم بشكل فعال يكاد يكون اللمسات الأخيرة في نسف الآثار المتبقية من الإسلام في هيكل المجتمع الذي كان إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

إن كثيراً منا قد انخلعت قلوبهم أمام عبقرية التلفزيون وتقنيته الرهيبة ، فاستسلمنا استسلام ضعف وانبهار ، وخدعتنا حيله ، ولعبت بأهوائنا ترّهاته ، حتى غدونا نحس كأنه جزء من تركيبنا لا غنى لنا عنه ، ووقف كثير منا يدافع عنه مدعياً البطولة في أنه لاتأثير لشواذات البرامج عليه إذ تمر به ، ويمر بها مرور الكرام .

الحياة الزوجية بين الفيديو والتلفزيون :

لم يعد سراً ذلك الأثر الشنيع الذي يحدثه التلفزيون والفيديو في الحياة الزوجية ، فكم من خلاف قام بين الزوجين بسبب البرامج التلفزيونية وأفلام الفيديو ، وكم تحول التلفزيون والفيديو بأزواج من سمات الطهر والحياء ، إلى صفات الدناءة والوقاحة ،وكم من بيت كانت تخيم عليه السعادة ، والاحترام ،والمودة ، انقلب بين يدي الفيديو والتلفزيون إلى بيت النكد والكراهية ، والخصام ، وكم من أسرة قامت دعائمها على الحب والإيثار والتفاهم قذف بها الفيديو والتلفزيون في جحيم البغضاء والخصام والمشاحنة ، وكم من زوجين تعاهدا على العيش معاً حتى الممات قادهما الفيديو والتلفزيون إلى

خيانة العهد ، وانقطاع الود فما لبثا أن انفصلا بوحي تلفزيوني آثم ، هذا بعض ما يحدثه التلفزيون والفيديو في بعض المشاهدين وما تخفي الصدور أكبر .

ومن الطبيعي ، فإن كلامنا لايعني أن كل البيوت التي تشاهد الفيديو والتلفزيون ستتقوض تماماً ، ولكن من المؤكد أن كل المشاهدين يتأثرون بما يرون على الشاشة الصغيرة ، وإن كانت تتفاوت شدة التأثر بين هؤلاء وأولئك . ونستطيع القول بأن علاقة الحياة الزوجية بالفيديو والتلفزيون علاقة آثمة ،ويستطيع كل مشاهد شجاع أن يصارح نفسه ، على الأقل في هذة القضية ويعترف بهذه الحقيقة .

فبرامج التلفزيون والفيديو يقوم بأدائها رجال ونساء ،وهم بفضل فن الماكياج ، يبدون في أشد المظاهر إغراء وفتنة . ولا بد للمشاهد الرجل أن يتأثر بدرجة ما بالمذيعة أو الممثلة أو المطربة ولا بد للمرأة التي تشاهد الفيديو والتلفزيون من التأثر بدرجة مّا بالمذيع أو الممثل أو المطرب ، ومن أراد أن ينفي هذا الأمر فإنما هو مكابر مغالط ، أو أنه غير سوي جسدياً أو نفسياً أو عقلياً ومثل هؤلاء لا يعول عليهم ، ولا يعتد بآرائهم .

والأمر الخطير في هذه القضية هو ذلك التأثر التراكمي الذي يزداد يوماً بعد يوم حتى تصبح الصورة التلفزيونية الملتقية مع الهوى الشغل الشاغل بل المؤثر على نفسية المشاهد وسلوكه ، مما يقود إلى الانفصال الشعوري عن المكان لتكون الحياة المثلى هي تلك الخيالات التي صنعها التلفزيون وأقامها مقام الحياة الواقعية ، وبذلك تخمد الحياة العاطفية بين الزوجين شيئاً فشيئاً ويتجه الركب نحو الانقلاب ، بتأثير العواصف الهوجاء القادمة في خضم بحر لاقرار له .

ومن الآثار التي يلفح لهيبها الحياة الزوجية الغيرة التي تنتاب الزوجين أو أحدهما ، وغالباً ما يندفع طرف إلى المجابهة بإثارة الغيرة في نفس الطرف

الآخر الذي آلم صاحبه أشد الألم ، ويصبح لسان حال الواقع يقول : إذا آثرت عليَّ آثرت عليك ، وإن اهتممت بغيري اهتممت بغيرك ، بل إن الشيطان ليزين للزوجين طريق انتقام أحدهما من الآخر ، ويصور لهما أن ذلك هو الطريقة المثلى لإعادة الود وإثارة الانتباه ، وما يدريان أن الشيطان أقسم من قبل لأبويهما آدم وزوجه أنه لهما لمن الناصحين [١] .

وقد شكا لي مرة أحد الشباب أن حياته الزوجية قد تغيرت ، وأن التفاهم والود بينه وبين زوجته قد تغير ، وكنت أعلم أن هذين الزوجين يحاولان أن يقيما حدود أسرتهما الصغيرة على الإسلام ، وكذلك فإنه في حدود علمي أيضاً أنه ليس هناك من زوار أو أصحاب لهما يعكرون صفو حياتهما فقلت في نفسي لعل ما أصابهما هو ما أصاب كثيراً من البيوت التي كانت هانئة مطمئنة فانقلبت حياتها بفضل التلفزيون إلى حجيم ، ولذلك فقد توجهت إليه بالسؤال ، لارجماً بالغيب وإنما لتماثل الشكوى والمظاهر المصاحبة لها وقلت له : هل اقتنيت تلفزيوناً ؟ فقال : أجل ، ولكن (فلاناً) في الحقيقة أرسله إليَّ إذ كان عرَض عليَّ أن يبيعني الجهاز فاعتذرت له بأنني لا أملك ثمنه الآن ، وكنت أقصد التخلص من العرض بأسلوب لبق ، ولكن (فلاناً) هذا بعث بالجهاز إلى المنزل أثناء غيابي وأبلغني بأن لا أتعب نفسي وليكن السداد على مهل . فقلت للشاب : إذن حدثني عن تطور حياتك الزوجية بعد دخول

---

(١) كما جاء في الآيات من سورة الأعراف : ﴿ ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور ، فلماذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ،وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ الأعراف ١٩ ـ ٢٢ .

التلفزيون حرم البيت . وراح الشاب يحدثني ويحدثني عن حياتها بين يدي التلفزيون وكان أهم أمر لفت نظري في حديثه هو تعلقه بالنظر إلى صورة مذيعة كانت تبدو فاتنة مما أثار زوجته عليه ، إذ اشتعلت نيران الغيرة في صدرها ، ولم يتراجع الشاب عن الحملقة الشاردة أمام تنبيه زوجته الشابة له بل تمادى في ذلك ، مما أخرجها عن اتزانها ، وزين لها الشيطان وسيلة تنتقم بها لأنوثتها ، فاتجهت هي الأخرى إلى التعلق بمذيع شاب وصارت تتعمد النظر إليه بشغف على مرأى من زوجها ، وتوالت المشاهد ، وتعددت إثارات الغيظ حتى انقلب البيت السعيد إلى حلبة صراع وخلية آلام ، وقد كان التلفزيون في ذلك رديف الشيطان الذي يؤذيه أن تقوم البيوت على الطهر والمودة والاحترام .

وأقبل الفيديو بسحره وسلطانه يقطّع أوصال السعادة الزوجية ، ويحيل الأزواج إلى دمى راقصة تحمل بيديها سيوفاً ومطارق تهوي بها على استقرار البيوت ، وهدوء المساكن ، وأخذت الحياة الزوجية تدخل متاهة جديدة ، وأضحى العذاب والتفكك والنكد أبرز ما يعتري كثير من الأسر التي وقعت فريسة شهوة الفيديو ، ولم يعد الخطر يحدق بالصغار فحسب ، وإنما كان للكبار أيضاً نصيب من هذه الأخطار المحققة .

وقد أشارت الصحفية المصرية « مي شاهين » إلى أن الفيديو أضحى يشكل آلية فعالة في تحطيم الاستقرار الأسري ، فكتبت تحت عنوان « مراهقون ولكن كبار ! » تقول : « قرأت الرسالتين عدة مرات حتى تأكدت أنني لم أخطئ فهم مضمونها . فالشكوى في كل منهما عكس ما نتوقعه عادة .. لقد تصورت مثلاً أن كلاً من صاحبة الرسالة الأولى ، وصاحب الرسالة الثانية يشكوان من كثرة الساعات التي يقضيها الأبناء أمام جهاز الفيديو ؛ ولكنني فوجئت بأن الكبار هم المغرمون بمشاهدة الأفلام ، وأنهم يختارون الأفلام

الجنسية الأجنبية الفاضحة ! ليس فقط بل يدعون الصغار إلى الفرجة عليها مثلهم !.

فالرسالة الأولى من زوجة تقول : إن زوجها اشترى جهاز فيديو وأنه تغير تماماً منذ ذلك اليوم؛ فعندما يعود إلى بيته يتناول طعامه بسرعة ولا يتحدث مع زوجته ، أو يسأل عن أبنائه ، وإنما يجلس أمام الفيديو ليشاهد فيلماً مثيراً أجنبياً ، وهو لا يرى في ذلك حرجاً ؛ بل يدعو الصغار إلى الفرجة عليه معه !. وقد اعترضت الأم على ذلك ، ولكن الزوج زعم أن الفرجة لا تضرهم في شيء ، بل توسّع مداركهم وتزيد معلوماتهم ! ولم تقتنع الزوجة برأيه وهي تخشى على الصغار من الانحراف . أما الرسالة الثانية فهي من زوج يعاني من نفس المشكلة ولكن زوجته وهي سيدة متعلمة وعاملة هي المغرمة بالفرجة على الأفلام التي تروي تاريخ حياة الراقصات أو التي تكون بطلتها « معلمة » في قهوة بلدي .. وتشجع طفلتها وهي في العاشرة من عمرها على الفرجة . والنتيجة أن الطفلة أصبحت تحاول إجادة الرقص البلدي أمام المرآة ، وفي أوقات فراغها لا تلعب « بالعروسة » وإنما تأتي بكوب وخرطوم وتجعل منه « شيشة » وتطلب من زميلاتها أن ينادينها بصوت أجش « يا معلمة » ! وقال صاحب الرسالة أيضاً إن زوجته مبسوطة من الطفلة وتقول إنها موهوبة في التمثيل !.

وقد أدهشني منطق هؤلاء الآباء والأمهات الذين يشجعون أبناءهم على مشاهدة أفلام الجنس والإثارة بحجة أنها تزيد معلوماتهم ، وكأن هز البطن أو تهريب المخدرات معلومات يجب أن يعرفها الصغار ! والذي لا شك فيه أن مشاهدة مثل هذه الأفلام ربما تدفع الصغار إلى تقليد الأبطال المجرمين أو البطلات الراقصات »[١] .

---

(١) الأخبار القاهرية ٦ / ١ / ١٩٨٥ .

أمّا ما تثيره مسلسلات التلفزيون ، وأفلام الفيديو من تنغيص الحياة الزوجية فحدث عنه ولا حرج . ومن المؤسف حقاً أن كثيراً من مشاهدي التلفزيون يجهلون أن هذه البيوت الواسعة ، والفرش المتنوعة ، ليست سوى « استوديوهات » قد أنشئت خصيصاً لتأجيرها للمنتجين الذين يصورون فيها مسلسلاتهم وأفلامهم . وهي ليست ملكاً للممثلة التي تؤدي دور ربة المنزل الثرية الغنية التي لا يُرَدُّ لها طلب إذ يحف بها الخدم والحشم ، وفي البيت كل ما لذ وطاب من مأكل وملبس ومتاع . وهنا الخدعة الماكرة التي تهدم البيوت ، وتفسد الحياة الزوجية إذ تصيب النساء بالتأفف من حياتهن لأنهن يعشن في بيوت متواضعة تخلو من كثير من مظاهر تلك الأبهة التي تعيش فيها الممثلات .

وأما كتّاب السيناريو والمخرجون فإنهم يعمدون إلى تزوير الواقع . وقد يدعي بعضهم أن ذلك بقصد توجيه الأزواج إلى الحياة السليمة ، غير أن ما تفعله برامجهم للحياة الزوجية يدحض هذا الزعم . فكم من زوجة تلفزيونية أثارت في أزواج مشاهدين أحاسيس الألم لرقة أسلوبها في التعامل مع زوجها التلفزيوني ، وقيامها بما توجبه عليها الحياة الزوجية ، وهم يعيشون مع زوجات لا يحترمن الأزواج ولا يهتمن بشؤونهم . وكم من زوجات مشاهدات أيضاً ، أضرّهن ما رأينه على الشاشة الصغيرة من فرط تعلق الزوج التلفزيوني بزوجته التلفزيونية ، وقيامه على خدمتها وإرضاء نزواتها ، وهن يعشن لدى أزواج لا فراغ لديهم لمثل هذا إذ طحنتهم الحياة ، وشغلهم البحث عن لقمة العيش ومقارعة الصعاب حتى عن أنفسهم .

وتكاد المسلسلات والأفلام التي تعرض على شاشة التلفزيون والفيديو تلتقي عند موضوع « الخيانة الزوجية » . بل إن ما يعرض منها حقيقة يستأثر بالاهتمام العظيم من القائمين على المؤسسة التلفزيونية ، وهكذا يتهافت

المنتجون على الموضوعات التي تدور في فلك الخيانة ، ويتسابقون للحصول على الروايات والقصص التي تشيعها في الساحة الفنية . ومن أخطر ما في هذا النهج الفاسد أنه يرشد إلى الخطوات « السليمة » في الخيانة الزوجية ، ويشرح الطريقة من « طقطق إلى السلام عليكم » كما يقال في التعبيرات السينمائية والمسرحية ، ولا يبقى على المشاهدين الذين لديهم الرغبة في ذلك ، أو الذين تولدت الرغبة عندهم بتأثير الخيانة التلفزيونية إلا أن يقوموا بتجريب ذلك بأنفسهم ؛ فالطريقة واضحة ، ومن امتلك الشجاعة « الوقاحة » خاض الغمرات ، ولم يعبأ بما تعارف عليه الناس من الطهارة والعفاف والود والإخلاص ، بل إن البرامج التلفزيونية هذه تجعل من الخيانة الزوجية أمراً عادياً ، وحلاً عادلاً منصفاً ، ووسيلة حضارية مقبولة . ولا ترى فيها فسوقاً ولا فجوراً ، وإنما هي في نظرها قضايا شخصية بحتة ينبغي ألا ينظر إليها بمنظار الاستنكار والاستهجان والاستقزار .

وقد ينشأ عن تكرار هذه الأفلام والمسلسلات أن تبدو الحياة الزوجية في نظر الشباب سلسلة من الخيانات التي لا يبرأ منها أحد ، وهنا مكمن الخطر الذي يدفع كثيراً منهم إلى الإحجام عن الزواج ، والامتناع عن الحياة الزوجية ؛ فجلُّ الناس لا يرضون أن تكون زوجاتهم خائنات ، ولا أزواجهم من الفجار . وقد يدعو هذا إلى الاستعاضة عن الزواج الشرعي بالمخادنة ، والزنا وما يسمونه بالتعبير الغربي « الصداقة بين الرجل والمرأة » أو العزوف تماماً عن كل هذه الأنواع ، وكراهية الجنس الآخر الذي يمثل لديه الخيانة في أجلى صورها حتى ولو كانت العلاقة به علاقة شرعية ، سوية ، طاهرة .

التلفزيون والعلاقات الاجتماعية :

فطر الله بني آدم على حب الاجتماع الذي يساعد على قيام العبودية لله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك جاء كثير من تعاليم الإسلام يحض على الاجتماع ابتداءً

من صلاة الجماعة ، إلى عيادة المريض ، أو تهنئة بخير ، أو تعزية بمصاب . وقد أكد الله سبحانه وتعالى على التعاون على البر والتقوى بقوله : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَىٰ ، وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَان** ﴾ [١] . ولن يكون التعاون بالمراسلة ، ولا بالأمنيات أو التمنيات ، ولن يتم ذلك والناس فرادى لكل منهم عالمه الخاص ، وتصوره المتميز . وماذا نقول أمام حديث رسول الله ﷺ : « يد الله مع الجماعة » [٢] . ونحن مشتتون لا جامع لنا ، ولا من مشير . فهل يستطيع الفيديو والتلفزيون القيام بمهمة التجميع أو المساعدة عليها ؟.

لقد توهم الناس في الأيام الأولى لدخول التلفزيون حياتنا أنه عامل مهم في توثيق الروابط الاجتماعية ؛ فاستبشروا خيراً ، وذلك عندما كانت بعض الأسر الموسرة تقتني تلفزيوناً فيتقاطر إليها الأقرباء والجيران صغاراً وكباراً وشيوخاً ليتحقق الاجتماع . يومها كان ثمن التلفزيون مرتفعاً بالنسبة لدخول كثير من الناس ، ولكن ثمن التلفزيون ما لبث أن تراجع كثيراً وذلك في الوقت الذي أخذت فيه مداخيل الناس ترتفع ارتفاعاً هائلاً ؛ فضاقت الفجوة بين ثمن الجهاز وبين المقدرة الشرائية حتى كادت لا تذكر ، وهذا ما دفع كثيراً من الأسر أن يكون لها في كل غرفة من منزلها جهاز ؛ بل أن يكون لكل فرد جهازه الخاص به ؛ وذلك بعد انتشار التلفزيون الترانزستور الذي يتميز بصغر الحجم ، ورخص السعر ؛ فانكفأ كل فرد على نفسه ، وانقطعت تلك الزيارات والاجتماعات التي كانت تقوم على المشاهدة لامتلاك كل المشاهدين أجهزة خاصة بهم ، وعاد التقوقع والتفرق بصورة مفزعة مقلقة ليظهر التلفزيون على حقيقته ، ويمارس دوره في تقطيع الأوصال الاجتماعية ، والدعوة إلى الفردية .

---

(١) المائدة ٢ .
(٢) رواه الترمذي في باب الفتن .

وقد تبين أن الفيديو والتلفزيون يمنعان الإنسان من الاستمتاع بما حوله من علاقات اجتماعية واطلاع ، وقراءة وتثقيف ، إلى جانب أنهما يساعدان على العزلة ، ويقللان من غرس التفاهم بين الأزواج . وقد يثيران المشاكل في توقيت استخدامهما ، كما أنهما يشغلان الطلاب عن المذاكرة والدراسة [١] . وكذلك ، فإن التلفزيون - والفيديو أيضاً - لا يساعد على تقوية الأواصر الأسرية : فليس هناك إلا قليل جداً من التفاعل بين أعضاء الأسرة في حالة المشاهدة ؛ حيث يشاهدون كما لو كانوا منفصلين . ويُشك في أنه يقرب بين أعضاء الأسرة ؛ إذ أن الجلوس في حجرة نصف مظلمة ليس باعثاً على المحادثات الجماعية المتبادلة . حتى الصغار فقد وجد أنهم لا يقضون وقتاً طويلاً مع بعضهم بعضاً بعد اقتناء الجهاز حيث ينعزل الأطفال ويعتكفون في بيوتهم للمشاهدة الفردية أكثر من الجماعية [٢] .

وعلى الرغم من تفكك العلاقات الاجتماعية في العالم الغربي ، فقد أضاف التلفزيون ، ومن بعده الفيديو ، إلى هذا التفكك رصيداً جديداً جعل الغربيين يتململون من نمط الحياة المصطنع الذي يزيد الناس عزلة وقرفاً ، ويحيلهم إلى مرضى نفسانيين . ولنستمع إلى أحد أبناء الحضارة الغربية وهو جيري ماندر ، يقول : « لقد أصبحت المشاركة في المعلومات شيئاً نادراً في مجتمع كمجتمعنا حيث تزداد عزلة الناس بعضهم عن بعض في مكاتبهم ، وسياراتهم الخاصة ، والوحدات العائلية الفردية ، والمشاهدة التلفزيونية . لقد زالت العائلة الكبيرة الممتدة ، وأصبحت المشاركة بين الأفراد للمشاكل الأساسية ضعيفة ، وقل عدد النوافذ المفتوحة على حياة الآخرين . واليوم صارت نوافذنا الوحيدة تنحصر في مستشارين محترفين ، وأطباء نفسانيين ، وفي ذلك

---

(١) الفيديو والمجتمع الإسلامي ص ٤٥ .

(٢) الدكتور عبد الرحمن عيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٧٩ .

الجهاز الأوفر والأرخص ، التلفزيون ؛ إنه نافذة معظم الناس »[٣] . حقاً لقد أضحوا أسرى القوقعة التلفزيونية التي ألقيت في ساحتنا نحن منذ أمد ، وجاء وليده الفذ (الفيديو) بكل إغراءاته مواكباً التردي المقيت للعرب والمسلمين في عصر تتداعى علينا الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

لقد نظم التلفزيون إرادتنا وحياتنا الاجتماعية ؛ فهو يحدد متى نأكل ، ومتى ننام ، وكيف نربي أطفالنا ومن نصل ومن نقطع ؛ بل ماذا نشتري ، ومن أين نشتري . وهو الذي يشكّل إلى حدٍ ما آراءنا في رجال الشرطة والمجرمين والأطباء والمحامين . لقد غيّر حياتنا أكثر من أي شيء آخر خلال ربع القرن الأخير[١] ، وحدد ملامح علاقات اجتماعية جديدة لا تقوم على أي حال ، على الود والإيثار ، والنجدة ، والتماس المثوبة من الله ؛ بل إنه يزيد في الروح الأنانية القاتلة التي لم تعد خافية على أحد ، وينقل العلاقات الإنسانية من علاقات المثل العليا التي تقوم على الأريحية والشهامة ، والرجولة ، إلى علاقات مادية بحتة تفصل بين الدين والحياة ، وبين الدنيا والآخرة ، وكأنه يقول لنا أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وأنه لا مانع من أن يكون المرء طيباً في بعض المواقف ، خبيثاً في أخرى ، وأن يكون مؤمناً بلا تبعات ، وكافراً للتنصل من الحقوق والواجبات ، فليس بعد الكفر ذنب ، حتى لكأن التلفزيون يقوم على فلسفة مجنونة غير متزنة ، كما يشير إلى ذلك الأستاذ أنيس منصور حين يقول : « كان الفيلسوف الألماني نيتشه ينصح بأن يسكن الإنسان على سفوح البراكين ، لكي نرى النار ، ولكي نعيش في حالة خطر مستمر ، وقلق دائم ... وهذا الذي كان يطالب به الفيلسوف تفرضه علينا الآن : السينما والتلفزيون في أفلام العصابات والحرب والمغامرات .. إنها تخطف

---

(٣) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٣ .

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣٠٨ .

المتفرج من حياته اليومية وتجعله قرصاناً مجنوناً أو لصاً أو محارباً تمزقه القنابل والألغام ، بدلاً من أن تمنحه الراحة والهدوء التي يفتقدها ...فإن كان هذا الفيلسوف قد مات مجنوناً ، فالسينما والتلفزيون هي أكثر المعابد التي أقيمت للتسبيح بحمده ليلاً ونهاراً ، ونشر تعاليمه في كل شاشة صغيرة وكبيرة ، وفي كل بيت ؛ فلن يكون آخر المجانين » [١] .

ويساعد التلفزيون على قبول الخرافة لكثرة ما يقدمه من الأفلام والمسلسلات غير الواقعية القائمة على الخيال غير البناء الذي يتمرد على الحقيقة ، ويهزأ بالعقل . ولا يستطيع من يشاهد الدراما التلفزيونية إلا أن يعتقد بأنها خرافية كما يقول جيري ماندر [٢] ، ولا يمنع ذلك من أن يصدقها بعض المشاهدين ، أو على الأقل ، يحصل على انطباعات هامة تؤدي إلى هذا التصديق ؛ هذا إلى جانب ما تبثه بعض الأفلام من روح الجريمة ، التي تغير صورة العلاقات الصحيحة في المجتمع ؛ حيث تصور المجرم بصورة بطولية تثير الإعجاب بشخصه ، وتسخر من بعض العادات والتقاليد والمثل الأصيلة وتؤدي إلى الاستهتار بهذه العادات . وهناك من الأفلام ما يصور إمكانية أن يعيش الفرد متعطلاً بلا عمل ، أو عن طريق خداع الآخرين . أو بالنجاح بالحظ والمصادفة دون الاجتهاد والكفاح [٣] ، وقد مرّ معنا سابقاً اعتراف بعض المجرمين بأن ما شاهدوه على شاشة التلفزيون كان باعثاً أصيلاً على ارتكاب ما اقترفوه من جرائم وآثام ، وما أشاعوه من إخافة وترويع ، حتى الأطفال الذين لم يجر عليهم القلم استطاع التلفزيون أن يغير من علاقاتهم بأبويهم وبالمجتمع الذي يحيون فيه .

---

(١) الأهرام ٢٥ / ٧ / ١٩٨٤ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٤ .

(٣) الدكتور عبد الرحمن عيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٧٠ .

التلفزيون والشباب

الشباب عماد كل أمة ، وأملها المرتجى . ولذلك فقد عني الإسلام بالشباب عناية خاصة توازي الدور الذي عليهم القيام به ، فهم حملة رايته ، والمدافعون عن شريعته ، والمجاهدون النبلاء في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض .

ولذلك حرص النبي ﷺ الحرص الكامل على تكوين الشباب ، وإعدادهم لحمل المسؤولية ، وتهيئتهم لأداء أمانة الدعوة إلى الله في مناسبات كثيرة ، ومجالات عدة [١] . وقد وجه الإسلام الشباب إلى إدراك قيمة مرحلتهم الحياتية لاستخدامها الاستخدام الأمثل في طاعة الله التي لا تحرم الإنسان من طيّب الرزق ، وهنيء العيش ؛ إذ السعادة كل السعادة في عقيدة تنير ، وشريعة تدير ، ورضوان من الله . فقد قال النبي ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » [٢] .

وقد كان للتربية النبوية ثمارها الفذة حين أخرجت للإنسانية شباباً قادرين على حمل الراية ، وقيادة الجيوش ، والندب لأخطر المهمات . وما شجاعة علي ، وتخطيط خالد ، وفطنة عمر ، ومضاء عقبة ، وجلادة قتيبة إلا بعضٌ مما تنطوي عليه المدرسة الإسلامية من صياغة الرجال ، وبناء الأجيال ، والأخذ بيد الإنسانية إلى ذروة السمو والاعتدال .

فما مصير الشباب أمام الفيديو والتلفزيون ؟ وما مدى تأثيرهما على رصيد الأمة منهم ؟

---

(١) الشيخ عبد الله ناصح علوان : دور الشباب في حمل راية الإسلام ، ص ٦ .

(٢) رواه الحاكم .

التلفزيون وشريعة الغاب :

الشباب ثروة لا تقدر بثمن ، ومن هنا جاء حرص كل أمة ، تحترم ذاتها ، على الحفاظ على شبابها فهم عدة بقائها ونمائها . وإذا كان الشيوخ رأس الأمة ، فالشباب عنقها ، فإذا قطعت العنق انطفأت جذوة الرأس ، وخبا أوار الفكر ، وتحول الجسد إلى أشلاء منتهبة ممزقة .

وقد أفزع الغربَ ما آلت إليه حال الشباب عندهم ، وكثرة جنوح الأحداث بسبب التأثيرات التلفزيونية ، فتداعى رجال الفكر ، وتنادوا إلى دراسة هذه الظاهرة . فمن تقرير للّجنة الخاصة المكلفة من مجلس الشيوخ الأمريكي بالبحث عن جنوح الأحداث في أمريكا ، نقرأ ما يلي : « إن أعضاء اللجنة الفرعية يساورهم القلق الذي يساور قطاعاً كبيراً من أهل الفكر بشأن الملابسات الناشئة عن تأثير الجهاز المرئي على المستويات الخلقية والثقافية لشباب أمريكا ، لم تجد الدليل الذي ينقض أن الشباب الأمريكي قد لا يتأثر تأثيراً سلبياً في مسلكه هذه الأيام بسبب تعرضه المشبع للأفلام والدراما التي ترتكز في فكرتها الأساسية على شريعة الغاب والجريمة التي تصور عنف الإنسان »[1] .

ويتحدث « ويست » عن التلفزيون كأحد مصادر أو منابع العنف في الشباب ، فيقول : « إن الأحداث الجناح يستمدون معاييرهم المنحرفة في القيم عن طريق اختيارها من بين قيم المجتمع ككل والمبالغة فيها . ويجد الأحداث الجناح نماذجهم في الأفلام التلفزيونية ، كما يجدونها في السينما وفي الصحافة ، وفي الكتب ؛ ولذلك فإن علماء السلوك ينتقدون الإدارة التلفزيونية على تصوير الجريمة والعنف بصورة أكبر من حجمها في الحياة والطبيعة ،

---

(١) تشارلز. ر. رايت : المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ص ١٣٨ ترجمة محمد فتحي .

وينتقدون مَلْءَ الأخبار بالنشاط الإجرامي والعنف ، واستخدامه في المسرحيات والأفلام لأنه يفسد القيم التي يعتنقها الشباب ، ويشوه المعلومات عنها ، ولذلك فقد يميل بعض الشباب إلى تجريبها »[١] .

ويشير الدكتور عبد الرحمن العيسوي أيضاً إلى أن التلفزيون يمكنه أن يثير دوافعنا ، وقد ينتج فينا الشعور بالإحباط ؛ لأن البرامج تخلق نوعاً من الإثارة ؛ فتُثار غرائز المراهقين الجنسية ، وتعمل الخيالات والأوهام التي يستغرق فيها الفرد أثناء المشاهدة إلى خفض التوترات .. لكن مشاهدة أنماط معينة من السلوك قد تؤدي إلى تقمصها . وتعلمها ، وتكوين عادات العنف أو العدوان التي تظهر عندما يواجَه الطفل أو المراهق أو الشاب بموقف يتطلب العدوان[٢] .

وفي دراسة أجراها الدكتور العيسوي على الشباب اللبناني ، وجد أن ٢٨ ٪ من العينة المدروسة يعتبرون أن التلفزيون ينفع أكثر مما يضر ، بينما كانت الغالبية من الشباب وهم يمثلون ٧٢ ٪ من العينة المدروسة يعتبرون أن ضرر التلفزيون أكثر من نفعه[٣] ؛ وذلك لما لمسوه مما يقدم من خلال الشاشة من الأعمال الدرامية التي تزيد من هموم الإنسان ، وتنمي فيه القلق ، وتبعث روح الانهزامية والبحث عن اللذات المبتذلة الهابطة ، وتحث على الجريمة ، وتدفع إلى العنف ، وتسخر بالقيم ، وتهدم الأخلاق ، على الرغم من ادّعاء المنتجين أنها ترفيه بريء ، وعبرة يحملونها للأجيال كي تترفع عن الشر ، إلا أن ما تحدثه يدحض هذه الادّعاءات ، ويدمغ أصحابها بأنهم من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين .

---

(١) الدكتور عبد الرحمن العيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ .

دراسة مصرية على الشباب الجامعي :

أجرى الدكتور محي الدين عبد الحليم دراسة جادة بحث فيها الآثار السلبية للتلفزيون على الشباب وقد بلغ حجم العينة الدراسية هذه / ٦٠٠ / مبحوث من الجامعات المصرية الست : الأزهر ، القاهرة ، عين شمس ، الإسكندرية ، أسيوط ، طنطا .

وقد تبين للباحث : « أن كثيراً من التمثيليات والمسلسلات التلفزيونية لا تقدم جديداً يفيد ، إذ تعالج قضايا مملة غير مشوقة ، وتساعدعلى انحراف الشباب ، وتقتل الوقت بلا مسوغ ، إذ لا تتناول قضايا المجتمع ومشاكله ؛ ذلك ما جاء في رأي نسبة لا بأس بها من مجموعة البحث [١] .

وظهر للدكتور عبد الحليم ، من نتائج بحثه ، أن كفة السلبيات رجحت على كفة الإيجابيات في مجتمعات البحث الستة بلا استثناء ، وذلك بمعدلات كبيرة ، أي أن الشباب الجامعي يميل إلى رفض معظم ما تأتي به هذه الأعمال الدرامية من أفكار . وهذه للحقيقة نتيجة على درجة كبيرة من الخطورة ، وذلك أنه إذا كان نصف الحاضر وكل المستقبل - كما يسمون الشباب اليوم - يرى أن هذه التمثيليات والمسلسلات تزوده بمعلومات وأفكار تحطم قيمه ، و مُثُلَه ، وأخلاقياته ، وتدفعه إلى الرذيلة .. وإذا كان الجمهور يقبل على مشاهدة هذه التمثيليات والمسلسلات فليس معنى ذلك أنه مقتنع أو رضٍ عن هذه الأعمال ، فلعله يشاهدها بعين انتقادية . ولقد تبين من خلال هذه الدراسة قوة التأثير الهائلة التي تحدثها هذه التمثيليات والمسلسلات » [٢] .

وبناء على النتائج التي أسفر عنها البحث ، فإن الدكتور عبد الحليم يقرر

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم : الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي ، ١٥٤ .

(٢) الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي ص١٧١ .

أنه « جاء على رأس الجوانب السلبية لبرامج التلفزيون الدرامية أن هذه التمثيليات والمسلسلات تدفع الشباب والفتيات إلى الانحراف ، وفي المرتبة الثانية أنها لا تنسجم مع عادات وتقاليد المجتمع ، وفي المرتبة الثالثة من هذه السلبيات أنها تحطم المثل والقيم الدينية ، وأخيراً ذكرت جماهير الشباب من سلبيات التمثيليات والمسلسلات أنها تدعو إلى الرذيلة .

« وقد رجحت كفة السلبيات على كفة الإيجابيات بدرجة كبيرة كما تشير إلى ذلك الأرقام الإحصائية التي خلصت إليها هذه الدراسة ، أي أن التأثير السلبي أقوى بكثير من التأثير الإيجابي لهذه الأعمال الدرامية ، حيث بلغت نسبة العوامل الإيجابية ٢٩,٨٣ ٪ مقابل ٧٠,١٧ ٪ أحرزتها السلبيات. وقد تماثلت إجابات كل من الذكور والإناث إلى حدٍ كبير في اتجاهاتهم نحو السلبيات والإيجابيات وهذا يدل على أن الرأي العام لدى الذكور يتفق مع الرأي العام لدى الإناث على عوامل السلب وعوامل الإيجاب بشأن هذه التمثيليات والمسلسلات ، أي أن معدل السلبيات قد ارتفع لدى النوعين . وقد رجحت كفة السلبيات أيضاً على كفة الإيجابيات في مجتمعات البحث الستة بلا استثناء ؛ وذلك بمعدلات كبيرة ، أي أن رأي الشباب الجامعي يميل إلى رفض معظم ما تأتي به هذه الأعمال الدرامية من أفكار ، وهذه نتيجة على درجة كبيرة من الخطورة » [1] .

ويبين الجدول التالي رأي الشباب الجامعي في الدراما التلفزيونية كما جاء في كتاب الدكتور محي الدين عبد الحليم .

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم : الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي ، ٢٥٣ .

توزيع مجموعة الدراسة بحسب العلاقة بين وجهات نظر الرأي العام
في الدراما التلفزيونية والنوع [١]

الرأي في الدراما التلفزيونية	النـــــوع	
	ذكور	إنـاث
تفتح الأذهان وتوسع المدارك	٨٩ , ٩ ٪	٦٩ , ١٣ ٪
ترفع المستوى الثقافي والعلمي	٧٠ , ٦ ٪	٢٣ , ٨ ٪
تدعو إلى الخير والفضيلة	٣٥ , ٣ ٪	٥٦ , ٤ ٪
تثري القيم والمعلومات الدينية	٩١ , ١ ٪	٩٦ , ٤ ٪
تدفع إلى الإستقامة والصلاح	٧١ , ٢	٥٧ , ٣ ٪
لا تنسجم مع عادات المجتمع وتقاليده	٦٦ , ١٨ ٪	٨٦ , ١٦ ٪
تدفع الشباب والفتيات إلى الانحراف	١٧ , ٢٢ ٪	٦٦ , ١٧ ٪
تحطم المثل والقيم الدينية	٨٦ , ١٧ ٪	٤٧ , ١١ ٪
تدعو إلى الرذيلة	٧٥ , ١٦ ٪	٩٠ , ١٣ ٪
الجملــــــة	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

ويرى بعض الخبراء ، عن يقين ، أن لأجهزة معينة تـأثيراتٍ ضـارةً أمرهـا واضحٌ ، بحيث لا تحتـاج إلى دليـل ، ومن هـؤلاء « فردريـك فيرتـام » وهـو نفساني يشار إليه بالبنان [٢] ، ولا شك فإن الفيديو والتلفزيون يـأتيـان على رأس القائمة في هذه الأجهزة التي ينشأ عنها تـأثيرات ضـارة بـالمجتمع الإنسـاني أطفالاً ، وشباباً ، وشيوخاً .

---

(١) المصدر السابق ١٦٩ .

(٢) تشارلز . ر . رايت : المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ـ ترجمة محمد فتحي .

التلفزيون وثقافة الشباب :

يحلو لبعض الناس الادعاء بأن للتلفزيون دوراً في إغناء الثقافة العامة لدى الشعب إجمالاً ، وعند الشباب على وجه الخصوص ، ولكن المتمعن النابه يدرك أن ما يقدمه التلفزيون من فتات الثقافة لا يؤيد هذا الادعاء بل يدحضه . وقد رأينا من قبل قصور التلفزيون عن القيام بمهمة التعليم التي هي جزء من الثقافة . ونستطيع القول بأن ما يقدمه التلفزيون في هذا المجال ليس إلا إعلاناً عن الثقافة . والفرق كما نرى بعيداً بين ماهية الثقافة والإعلان عنها . ولا يعني حفظ أنواع البسكويت ، والشوكولاته ، ومشتقات الألبان أننا تثقفنا فحاجة العقول والنفوس والأرواح ليست كحاجة المعدة . وأي ثقافة هذه التي تُصَبُّ فيها المعلومات صباً ـ دون أن تتيح فرصة للتفاعل ، وتُختار اختياراً معيناً يمثل وجهة نظر خاصة لا قِبَلَ للمشاهدين برفضها أو تغييرها .

وقد أدرك المربون مدى الخطر الناجم عن الإخلاد إلى الفتات الثقافي الضحل الذي تقدمه الشاشة الصغيرة للشباب إضافة إلى صرفهم عن الجد إلى الهزل ، وعن العمل إلى التواكل ، وعن التفكير إلى الأحلام . ولنستمع إلى الدكتور محمد وجيه الصاوي المدرّس في كلية التربية من جامعة الأزهر يقول : « لا شك أن للتلفزيون والفيديو تأثيراً على الشباب في انصرافهم عن القراءة والاطلاع في الكتب المختلفة التي تتناول جوانب الفكر والمعرفة والثقافة العامة . وأوشكت قراءة الكتب أن تصبح عادةً نادرة . فما الذي صرف شبابنا عن القراءة ؟ فمنذ زمن ليس ببعيد كانت هناك مغريات من بينها السينما والمسرح ، وأصبح الآن مضافاً إليها التلفزيون والديسكو والفيديو . وأكثر من ذلك مناخُ هذا العصر المترف المزدحم بمخترعاته وأصبح لكل هذه المخترعات التكنولوجية الحديثة تأثيرها على نفسية وسلوك الكائن البشري فاعتاد الكسل والتواكل . ناهيك عن تكوين عادة سيئة في المشاهدة ، فالآذان مفتوحة

لتسمع ، والأعين جاحظة لترى !! إنه لا مناقشة ولا حوار ؛ فحركة إرسال أفكار ـ والمؤثرات النفسية ـ حركة في اتجاه واحد من الجهاز إلى الكائن الحي . ثم لا تفاعل من جانبه بل ولا مهلة للتفكير أو النقد ، أو التدبر ، فيما يشاهده ، بالتحليل والمراجعة والموازنة بين الخير والشر . وأول أركان حرية الفرد هو النقد حيث تكون أمام المشاهد فرصة الفحص والتمحيص لما يتلقاه ؛ ولتكون له مسوغات القبول أو الرفض . أما إذا جئنا بالمواد ـ المراد عرضها ـ مغلفة تحول دون التحليل أو التفنيد ، ولا تعطي فرصة للفصل بين الجيد والرديء ، فمعنى ذلك أننا نصبح كقطع الشطرنج يحركنا آخرون .

« فمن ثَمَّ نرى الفرق الكبير في تكوين فكر الإنسان بين أن يكون مرجعه الكتاب ، وأن يكون مصدره جهازاً مثل « الفيديو » ، فالقارئ يتفاعل مع الكاتب .. يسرع في طي الصفحات ، أو يتأنى أمام بعض الجمل والعبارات .. يقف دقائق أو ساعات ليناقش محتواها ، والقارئ في الكتاب يملك زمام فكره وشعوره .

« إن هناك اختياراً وطواعية ورغبة من بعض الشباب في عرض ومشاهدة مثل هذه الأفلام الساقطة والخارجة على العرف والقيم ، ولذلك كان لزاماً علينا أن نركز على التربية الخلقية ، والتنشئة الاجتماعية الصحيحة ، والتمسك بالمبادئ والمثل العليا التي يبدأ بها المنزل والتي أساسها غرس القيم الإسلامية ، وأن يكون الصغير والكبير ملتزماً بتعاليم دينه ، وأن نترجم هذه التعاليم إلى سلوك ، ولا نكتفي بترديدها بقدر ما نلتزم بأدائها في حياتنا اليومية »[١] .

وبذلك ندرك أن الفيديو ليس الأداة التثقيفية المرتجاة للشباب أو غيرهم ، لقصوره عن القيام بهذه المهمة التي لا تتأتى بالدرجة الأولى إلا بالجهد الشخصي

---

(١) الأهرام ٢٧ / ٩ / ١٩٨٤ .

الذاتي القائم على الدرس والتنقيب والبحث في أمهات الكتب في شتى أنواع العلم والأدب وضروب المعرفة الإنسانية . وليست معرفة أسماء الممثلين والممثلات ، والمسلسلات والأفلام ، وتقليد الأزياء التي تبدو على الشاشة ، أو محاكاة الحركات التمثيلية بثقافةٍ أو شبه ثقافة لأنها لا تعدو كونها أكذوبة ثقافية تشير إلى فَقْرٍ في المعلومات البنّاءة التي تساهم في إغناء الشخصية الإنسانية وإثرائها بما ينفعها : ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ (٢) .

الفيديو والتلفزيون ودور الشباب :

إذا كان واجب الشباب في كل أمة يتجه نحو أمته ، فإن واجب الشباب المسلم هو نحو الإنسانية جميعاً . وإذا كانت هذه هي مسؤولية الشباب في الإسلام فهل بإمكان الفيديو والتلفزيون - بالصورة التي عليها الآن - أن يقدم لهؤلاء الشباب ما يساعدهم على القيام بهذه الأمانة المنوطة بهم ؟ وهل ما يقدَّم على الشاشة الصغيرة كفيلٌ بدفعه نحو تأديه الأمانة ؟ وهل نجد فيما يدور على الشاشة المرتعشة ما يغني هؤلاء الشباب بالثقافة والتجربة والإحساس بالمسؤولية ؟

ولا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا بأن التلفزيون اليوم ، يصرف الشباب عن مهماته الأصيلة ، ويبعده عن أهدافه السامية . وقد تبين لنا فيما مضى من هذا الكتاب أن ما يقدم للمشاهدين - ومنهم الشباب - يبعث فيهم روح اللامسؤولية ، ويدربهم على الكسل الذهني والجسدي ، ويجعل منهم إمّعاتٍ تميل مع الريح حيث مالت ، ويشيع فيهم السلبية التي ما اتّسمت بها أمة إلا تخلّفت وانهارت .

---

(١) الرعد ١٧ .

نحن نريـد من الشبـاب أن يكـونـوا أقـويـاء في أجسـادهم ونفـوسهم والتلفزيـون يصيبهم بـالاسترخـاء والانهيـار أمـام مغريـاتـه ، ونريـد منهم أن يزدادوا ثقافة وعلماً والتلفزيون يوهمهم بعناوين الثقافة والعلم ، ونريـد لهم أن يكونوا إيجابيين عمليين والتلفزيون يدربهم على السلبيـة والانهزاميـة والتواكل ، ونريد منهم أن يثقوا بمبادئ أمتهم والتلفزيون يغريهم بتقليـد الآخرين ومحبتهم والاستهتار بأمتهم وأمجادها ،ونحن نريد من الشباب أن يمنحوا أمتهم وأوطـانهم ثمرة جهدهم ، وعصارة فكرهم والتلفزيون يصور لهم بلاد الآخرين جنات عدنٍ ويدفعهم إلى الهجرة ومفارقة الأهل والأوطان ، ونريد من شبابنـا أن يكونوا أطهـاراً أعفـاء والتلفزيون يحبب إليهم حيـاة اللهو والرذيلـة ،ونريـد لشبـابنـا الاعتزاز بفضائل أمتهم وقيمها التي لا تدانيها فضائل ولا تشاكلها قيم والتلفزيون يوهمهم بسمو ما لـدى الآخرين من تصورات وقيم ونحن نريـد من شبـابنـا أن يكونوا قوة منتجـة والتلفزيون يـدفعهم إلى أن يكـونـوا مستهلكين بـالـدرجـة الأولى .

وإذا ما توجهنا للحديث عن الفيديو بصورته التي حلت بيننـا ، وأقـامت في بيوتنا ، فإن الحديث ليطول ، وما يفعله الفيديو بشبابنا أضعـاف أضعـاف ما يفعله التلفزيون لأن تجار الغرائز ودعاة الشر أغرقوا البلاد بأحط مـالـديهم من أفلام تهبط بالعواطف وتنحط بالقيم ، وتسخر من الرجال .

الفيديو والتلفزيون والأطفال

الأطفال رياحين هذه الحياة الدنيا وأزاهيرها الندية ، وزينتها العطرة تحلو المشاق لأجلهم ، وتهون الصعاب في السعي عليهم نسهر ليناموا ، ونتألم ليستريحوا ، ونجوع ليشبعوا إن ابتسموا انفتحت أمامنا الآفاق ، وإن تجهموا ضاقت بنا الأرحاب ضحكاتهم إيقاعات فرح ، وزغرداتهم أناشيد انشراح .

(ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلب الأبوين شعور الرحمة بالأولاد ، والرأفة بهم ، والعطف عليهم ، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد ، وفي إعدادهم وتكوينهم ، أفضل النتائج ، وأعظم الأثر) [١] فهل من الرحمة أن ندعهم فريسة التوجيهات التلفزيونية الطائشة ، ونهبة حماقات الفيديووأخباثه ؟ والله سبحانه وتعالى يخاطبنا في محكم كتابه الكريم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرُون** ﴾ [٢] وهكذا نجد (أن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله ، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك . إنها نار فظيعة مستعرة : وقودها الناس والحجارة . الناس فيها كالحجارة سواء في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة ، وفي قذف الحجارة ، دون اعتبار ولا عناية .

وما أفظعها ناراً هذه التي توقد بالحجارة ! وما أشده عذاباً هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة ! وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب : ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾ تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم

---

(١) الشيخ عبد الله نا صح علوان : تربية الأولاد في الإسلام ص ٥٤ .

(٢) التحريم : ٦ .

بـه مـوكلـون : ﴿ **لايعصـون الله مـا أمرهم ويفعلـون مـا يُـؤمرون** ﴾ فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم ، ومن خصائصهم كذلـك القـدرة على النهوض بمـا أمرهم .. وهم بغلظتهم هـذه وشـدتهم مـوكلـون بهـذه النـار الشـديـدة الغليظة ،وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النـار ، وعليـه أن يحول بينهـا وبينهم قبل أن تضيع الفرصـة ولا ينفـع الاعتـذار)[١] ومن أحبَّ أبنـاءه عمل على حمـايتهم من هـذه النـار ، وربـاهم على مـا يبعـد عنهم لهيبهـا ولفحهـا ، وليس هنـاك من سبيل يقي المرء وأهلـه من هـذه النـار إلاّ اللـواذ بالرحمن إيماناً وطاعة ، واتباع الرسول ﷺ شرعة ومنهاجاً .

وإذا كانت حصائد الألسن مما يكب الناس على وجوههم في النار فما بالـك بحصائد السمع والبصر والفؤاد ، والأيدي والأرجل ؟ فعلى الآبـاء المؤمنين بـالله ورسوله أن يبادروا إلى تهذيب جوارح أبنائهم وحواسهم ، وتدريبها على طاعـة الله ورفض مـا توسوس بـه شيـاطين الإنس والجـان ، وفي النفـوس بـذور الخير كامنة تنتظر من يستنبتها بعقد العزيمة على الحياة في ظلال الشريعة الربانية : ﴿ **ونفس وما سواهـا فـألهمها فجورهـا وتقواهـا ، قـد أفلح من زكّـاهـا وقـد خـاب من دسّـاهـا** ﴾[٢] ﴿ **ولكنّ الله حبَّبَ إليكم الإيمـان وزينَـة في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾[٣] .

وما نشـاهـده اليوم في الأرض من فسـاد وانحلال ، وظلم وطغيـان إنمـا هو صنيعـة آبـاء وأمهـات لم يرعوا حق الله في تربيـة أبنـائهم فخرجـوا للمجتمعـات الإنسانية أفاكين ولصوصاً ومستبدين ، إذ ساعـدواعلى تـدسيـة الخير في نفوسهم ونفوس أبنائهم فأنشـأوهم على المكر والخـديعـة ، والكـذب والنفـاق ، وأسلموهم

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ص ٣٦١٨ ج ٦ .

(٢) سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ .

(٣) سورة الحجرات : ٧ .

للهوى . وأتبعوهم للشيطان ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وراحوا يوزّعون الشقاء هنا وهناك آبقين من كل عرف نيرٍ وفضيلة معطاء .

بدء اهتمام الأطفال بالتلفزيون :

مهما نفى المكابرون أو المتعامون أثر التلفزيون في الإنسان خلال مراحل العمر المختلفة فإنهم يعجزون عن الإتيان بما يؤكد مزاعمهم ،وإذا اتجهنا بدراستنا للأطفال وهم النبتات البريئة من كل إثم وحوب لمسنا بشكل مؤكد أن للتلفزيون ـ والفيديو أيضاً ـ أثراً لايمكن الإغضاء عنه أو التهوين من شأنه مهما صغر سن الطفل ؛ فمن المعروف لدينا أن نظرية الإسلام في العلم والتعلم تنص على إمكان ذلك من المهد إلى اللحد .

وقد ثبت من الدراسات الميدانية أن الاصوات المنبعثة من جهاز التلفزيون ، تستحوذ على اهتمام الطفل في السنة الثانية من عمره ، وإذا تكرر مرور الطفل أمام التلفزيون وجد فيه شيئاً شاغلاً وجاذباً ، وفي السنة الثالثة يبدأ الطفل في الاهتمام بالصوت والصورة بشكل عام ، ثم يتحول هذا الاهتمام تدريجاً ببرامج معينة دون أخرى ، كبرامج الأطفال التي تستقي موضوعاتها من الخيال ، وبرامج المغامرات ، وفي السنة السادسة يتم اتجاه خاص في مشاهدة الطفل للبرامج التلفزيونية يتأثر إلى حد كبير بنوعية استعمال الكبار لجهاز التلفزيون [١] ومن المعروف أن الطفل في السنوات الثلاث أو الأربع من عمره يكون في مرحلة تطور عاطفي كبير من مراحل تطور البشر . ونحن لانتطور إلا عند اختبارنا لأشياء من الحياة الواقعية ، كالمحادثة مع الأم ، وتلمس الأب ، والذهاب إلى الأماكن ، وعمل الأشياء والتعامل مع الآخرين ، هذا النوع من التجربة هام جداً بالنسبة للطفل الصغير ولكن عندما يقضي هذا

---

(١) أحمد فؤاد درويش : سينما الأطفال ، ص ١١٤ ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ .

الطفل خمساً وثلاثين ساعة أسبوعياً أمام شاشة التلفزيون فإنه يبدو من المستحيل عليه إدراك المستوى الكامل للتجربة الحياتية الحقيقية التي لابد للطفل أن يعد لها ، ووجود نوعيات ممتازة من البرامج التلفزيونية ، أحيانا لايحل المشكلة أبداً (١) .

غول القرن العشرين :

وإذا كان الطفل يفهم ما يجري على الشاشة وعمره ثلاث سنوات ، فإن نفوذ التلفزيون يبدأ من هذه السن ويتزايد على الصغار .. إنهم يستمعون في سلبية ، ولا يستطيعون الاستجابة للأشخاص الحقيقيين . وآخر ما يسمعه أو يراه الطفل قبل النوم ، يبقى في العقل الباطن ويصبح جزءاً من تجربة النوم . إن الصغار يؤمنون بما يرونه وخاصة إذا كانوا وحدهم في حجرة مظلمة ، ولذلك فإن بعض الصغار يصرون على النوم والحجرة مضاءة ، خوفاً من مجرمي الحلقات ؛ فإن مخاوف الأطفال تأتيهم - حية - أثناء النوم وقد يقال إن الأطفال يستمعون من آبائهم إلى قصص عنيفة فيها رعب .. ولكن يجب ألا ننسى أن الآباء والأمهات هم الرواة ، ووجودهم يطمئن الصغار ، وصوتهم الحاني الدافئ يزيل الرعب أو يخففه (٢) ، وإن كان من الأفضل ألا يروي الآباء أو الأمهات أو المربون من القصص مافيه إرعاب وتخويف وإثارة للوساوس ، لأن ذلك ، مما لاشك فيه ، يؤثر في الأطفال تأثيراً سلبياً وخاصة في اتزانهم النفسي ، وليس من أحد فينا ينسى تلك الخيالات التي كانت تنتابنا عند وبعد سماعنا لحكايات الغول والغولة وما شاكل ذلك فمن أسس التربية السليمة تجنيب الأطفال الوقوع في براثن الخوف والهلع وتصديق الخرافات ،

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٢١ .

(٢) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣١٢ ، مطابع الأهرام التجارية .

وفي التلفزيون من البرامج والأفلام ما يفوق حديث الغولة ، لأن الغولة التي كانت تعيش في الخيال أضحت على الشاشة متحركة صائحة مائجة تعتنق صورتها الأطفال وتنام معهم في فرشهم وأسرتهم ، وترافقهم في الحل والترحال .

ولدى دراستنا للآثار النفسية للفيديو والتلفزيون تبين لنا ، بما لايدع مجالاً للشك أن للتلفزيون والفيديو تأثيراً حقيقياً في نشوء الرعب وتنميته وإدخاله في التكوين الشخصي لدى كثير من الأطفال ، وهذا ما يدعونا إلى أن نطلق على التلفزيون (غول) القرن العشرين .

التلفزيون والسلوك العدواني الشيطاني للأطفال :

من المسلمات التجريبية أن للتلفزيون والفيديو تأثيراً في خلق وتنمية السلوك العدواني والشيطاني لدى الأطفال فكم من طفل كان وادعاً استطاع التلفزيون تحريكه نحو سلوك عدواني ، أو ممارسات شيطانية .وهناك كثير من الدراسات التي أوضحت أن الأطفال يقلدون السلوك العدواني والعنف الذي يشاهدونه في التلفزيون والفيديو بالقدر الذي يقلدون فيه النماذج الحية ، وأن هذا التقليد يستمر لفترة طويلة نسبياً ، وخاصة عندما يصور النموذج المعتدي على أنه ناجح ، وتدل دراسة محتويات برامج التلفزيون على أن معظم الممثلين يستخدمون طرقاً عنيفة للوصول إلى الغايات المرغوبة ، وأن الطرق غير المقبولة اجتماعياً تصور على أنها أكثر قدرة ونجاحاً من الطرق المقبولة [١] .

ويذكر (تشارلز. ر. رايت) أن أجهزة معينة تشجع المسلك الشيطاني للأطفال الذين يقلدون أفعال الشخصيات الروائية . ويذكر عادة لتعزيز هذا الاتهام حادث الطفل الذي شنق نفسه وسط كتبه الفكاهية بنفس الطريقة التي وردت في الرواية مقلداً سلوك الشخصية كذلك تذكر حادثة أخرى وهي

---

(١) الدكتور عبد الرحمن عيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٥٢ .

أن طفلاً أصيب أو قتل وهو يحاول أن يطير في الفضاء كما يفعل السوبرمان في الكتاب الفكاهي [١] .

وقد جذب أحد البرامج التلفزيونية فتاة في الخامسة عشرة من عمرها فتعلمت منه ، إذ رأت قاتلاً يقص فرامل السيارة ، فقلدته مع سيارة أبويها لتقتلهما . واكتشف الأبوان الأمر مصادفة لأن الفتاة أخطأت فقطعت سلكاً آخر أضاء إشارة إنذار حمراء ، ولم يعرفا القاتل فجربت الفتاة خطة أخرى إذ ألقت صفيحة من البنزين على السيارة في المرآب (الجراج) فانفجرت ، انتبه الأبوان في أخر لحظة فأسرعا يفتشان المرآب والبيت خوفاً على ابنتهما ، وكادا يختنقان لكثافة الدخان ، واكتشفا أن الفاعل ابنتهما ،وعندما سئلت الفتاة عن السبب قالت : أبواي يضغطان عليّ كثيراً للمذاكرة ، وأخي أخفق وهما يريدان مني تعويض إخفاقه .. نظرت إلى التلفزيون فتعلمت الجريمة [٢] .

وما أكثر ما نرى ونسمع ، بين الحين والآخر ، أو نقرأ ، عن أطفال دفعتهم موحيات البرامج التلفزيونية إلى سلوك شائن مخيف ، أو حملتهم على ارتكاب جريمة ظنوها ألعوبة من تلك الألعاب التي تظهر على الشاشة وهي ليست في حقيقتها ، سوى دروس وتوجيهات تبذر الشر أو توقظه في نفوس هؤلاء الأطفال البرآء من قصد الجريمة ، غير أن هذا لايمنع أن يصبح ذلك أسلوباً وطريقاً لديهم يشبون عليه بل وقد يشيبون وهم يحملون قيمه بين جوانحهم ، وتؤكده فعالهم .

الفيديو وإثارة الميول الجنسية لدى الأطفال :

اعتاد عبدة الدينار والدرهم ، وسفلة المتآمرين على أديان السماء وما فيها

---

(١) المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ، ترجمة محمد فتحي ص ١٣٩ .

(٢) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣٢٠ .

من تعاليم تحض على الفضيلة ، اعتاد هؤلاء وأولئك على استغلال الأحاسيس الجنسية لدى الأطفال والمراهقين والشباب لهدفين أساسيين :

١ ـ الاستغلال المادي الحرام ، مقابل خدمات خادعة .

٢ ـ السيطرة على الأجيال ، وتعبيدها للغرائز الدنيا ، والشهوات الرخيصة قبل أن تصل إلى سن النضوج العقلي النفسي ، فتصبح السيطرة عليها عند النضوج صعبة أو مستحيلة .

وقد جاء الفيديو ليكون عاملاً فعالاً في إذكاء الشهوانية الدنيئة ، ووسيلة فاقت كل الوسائل المعهودة قديماً وحديثاً في حمل الشر وتزيينه ، وإيصاله إلى كل ركن وزاوية وأضحى كالعصا السحرية التي تستطيع استخراج ما في الجيوب بطواعية ويسر ، ووجد فيه منتجو أفلام الجنس والرذيلة بغيةً ما كانت تخطر لهم على بال ، ولا يحوم لهم حول ما يشبهها خيال ، واعتبره أصحاب العقائد الفاسدة ، والأفكار الشاذة كالطلقات الممهدة التي تسبق هجومهم الكاسح على الحق وأهله ولذلك فقد تهافتوا جميعاً على انتاج وترويج أحط الأفلام الجنسية التي تحرك المشاعر والأحاسيس الرخيصة وتهدم الأخلاق ،وتهزأ بالقيم ، وتسوق الجميع سوق قطعان الماشية على دروب الرذيلة والانحطاط ، لإدراكهم بأن الفيديو يحقق رغباتهم ، ويستوعب جرائمهم ، وهكذا أغرقوا الأسواق والبيوت والزوايا والأركان ، والحظائر والأقبية بأخس الأفلام ، وأنتن المسلسلات ،وبدلاً من أن يكون هذا الاختراع نعمة تخدم الإنسان إذا به يصبح نقمة وأداة تخريبية تهدم سعادته ،وتحوك له الشر بيديه ، وتصنع له بؤسه تحت سمعه وبصره ، حتى أضحى المرء على ما يشبه اليقين بأن الفيديو ليس إلا أداة شر وإفساد ، ولا يصح إلاّ أن يوضع في مقام الريبة والشك والحذر .

وليت الأمر وقف عند المنتجين وأصحاب الإيديولوجيات الغربية

والشرقية الفاسدة ، ولكنه تعداهم إلى شبكة أخطبوطية من التجار والسماسرة والمروجين والموزعين وما عرف أخيراً تحت اسم (نوادي الفيديو) من الذين لا يدرك كثير منهم ما الذي يفعله من المساهمة الفعالة في تنشيط هذه التجارة الحرام ،وحسبه من القضية ، فيا يزعم ، الربح المادي ، وإذا ما أردت نصحه تعلل بأنها تجارة ،ولا يقصد إفساد أحد ولا يجبر أحداً على الشراء أو الاستئجار ، فالقضية لديه محلولة إذ هي محض اختيار ، وما يدري المسكين أن ما يقوم به هو عمل فاسد مفسد ، وقد اختلط عنده الحلال بالحرام ، هذا إذا كان يؤمن بمفهوم الحلال والحرام ، أما أولئك الأفاكون الذين لايؤمنون بذلك فسواء عليهم أنصحتهم أم لم تنصحهم لايرتدعون .

وقد أدرك المنتجون بمن معهم ووراءهم من المختصين بالدراسات النفسية والسلوكية أن أنسب ثغرة ينفذون من خلالها ، وتضمن لهم النجاح في تحقيق أهدافهم هي استثارة الدوافع الجنسية لدى النشء الجديد ، لأن هذه الدوافع أسهل تحريكاً وأسرع استجابة فإذا تحققت الاستجابة وتكررت وخرجت إلى حيز التجربة أضحى من السهل جداً غرس مفاهيم جديدة ، وبث أفكار وافدة ، أو بعث عقائد قديمة محرفة أو ضالة ظُنَّ لفترة طويلة أنها نامت ، أو استكانت أو ماتت .

إن من الخطر إيقاظ الدوافع الجنسية مبكراً لدى أطفالنا ، أو استثارتها قبل النضوج الطبيعي ، لما لذلك من الأضرار العقلية والنفسية والجسدية ،ولما قد يترتب على ذلك من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانحراف . إن علينا تجنيب أبنائنا فلذات أكبادنا هذه المخاطر ، وحمايتهم من المؤامرة التي تكاد تأخذ بخناقنا ، وليس لنا والله إذا أردنا الخروج من هذه الفتنة الطامية إلا أن نعتصم بحبل الله إيماناً ومنهجاً وسلوكاً .

الفيديو في حظيرة المواشي :

يكاد الفيديو ينتزع أبناءنا من مقاعد الدراسة ، ويلقي بهم في أتون الرذيلة والانحلال ، وإذا كانت العملية التعليمية بنائيةً ، والبناء دائماً صعب لاحتياجه للجهد والمثابرة ، فإن ما يستطيع أن يقوم به الفيديو من الهدم يفوق التصور ، لأن الهدم أسرع وأسهل ، وما تنسجه التربية والتعليم في البناء الصحيح للشخصية في سنوات ، فإن وسائل الهدم والتخريب تستطيع أن تمزقه وتبليه في أسابيع أو أيام .

وقد جاء في صحيفة الأهرام القاهرية الواسعة الانتشار الخبر التالي : (كان أمراً غريباً أن تتجاوز أرقام الغياب نصف تلاميذ المدرسة ، وباتت الفصول الدراسية شبه خاوية نتيجة لغياب التلاميذ ،ولم يكن أمام ناظر المدرسة إلا أن يسرع إلى مدير أمن الجيزة ، ويضع أمامه أبعاد المشكلة والمخاطر التي تهدد مستقبل التلاميذ ،وضرورة التوصل إلى حقيقة الأمر قبل أن يتفاقم الخطر ،وتمتد العدوى إلى باقي التلاميذ ، ولم يكن ناظر مدرسة (ثورة التصحيح) في المنيب وحده الذي يعاني من مشكلة غياب تلاميذ مدرسته ، فقد كانت مشكلة عامة عانت منها بعض المدارس الأخرى المجاورة ، التي تجاوز فيها أعداد الغائبين من تلاميذ تلك المدارس النسب المعقولة .

وأحال مدير الأمن بلاغ ناظر المدرسة لمدير المباحث لدراسته ، وقاد رئيس قسم مكافحة جرائم الآداب العامة فريقاً للبحث وبدأ تنفيذ خطة العمل بالانتشار في الأماكن القريبة من المدرسة والمدارس المجاورة ، ومراقبة التلاميذ في الخفاء ، ومتابعة خطواتهم والطرق التي يسلكونها . ولم يدم الأمر طويلاً ، وبدأت الحقائق تتكشف ، حين تبين أن معظم التلاميذ يسلكون طريقاً واحداً يؤدي إلى حظيرة مواشٍ بمنطقة (ترسا) يتوقفون أمامها قليلاً لترقب الطريق ثم يسرعون بعدها بالدخول في حذر حيث يقضون الساعات

الطويلة بداخلها إلى حين حلول موعد انصرافهم من المدرسة ،ويعودون بعد ذلك إلى بيرتهم ، واكتملت الصورة ولم يتبق سوى معرفة ما يدور داخل المكان ، حتى تمكن ضابط الآداب من التسلل إلى داخل الحظيرة بعد أن دفع ٥٠ قرشاً في الوقت الذي انتشر فيه رجال الكمين لمحاصرة المكان .. وكانت المفاجأة أن وجد الضابط أن الحظيرة المظلمة قد امتلأت عن آخرها بتلاميذ المدارس الهاربين الذين جلسوا متراصين على مقاعد خشبية ، واستغرقوا في مشاهدة أحد أفلام الفيديو (الجنسية) المعروضة ، ألقي القبض على صاحب الحظيرة وعلى التلاميذ ، وتمت مصادرة مجموعة شرائط الفيديو) [١] .

من تجارة المخدرات إلى أفلام الجنس :

وأوردت صحيفة الأخبار القاهرية خبراً عن رجل انتقل من تجارة التخدير بالحشيش والكوكائين إلى تجارة التخدير بأفلام الجنس ، سعياً وراء المكسب المرتفع ، ولو على حساب الدين والأخلاق والفضيلة ، والتضحية بأطفالنا البرآء ، وإغراقهم في بحر من القذارة والدنس ، وإغرائهم بالفواحش ما ظهر منها وما بطن . قالت الصحيفة : (بعد تكثيف حملات الشرطة على تجارة المخدرات ترك (س) التجارة بها ،وقام بفتح نادي فيديو لعرض الأفلام الجنسية على التلاميذ مقابل جنيه لمشاهدة الفيلم في الحفلة التي تضم ٤٠ تلميذاً ، وأقام ثلاث حفلات يومياً ، فقد وردت معلومات لمدير أمن القاهرة أن تلاميذ المدارس يترددون على محل للفيديو بشارع العدوية الوسطاني ببولاق ، وأن صاحب النادي مسجل مخدرات .. وأنه ترك نشاطه في تجارة السموم ، وأنه بدأ في تجارة الأفلام الجنسية الرخيصة المخلة بالآداب ، وهو يكسب من هذه التجارة يومياً ما لا يقل عن ٢٠٠ جنيه .

---

(١) الأهرام ١٧ / ١١ / ١٩٨٤ .

وقد كلف مدير مباحث القاهرة بضبط النادي وصاحبه ، فقامت قوة بداهمة الصالة حيث تم ضبط ٩٨ فيلماً مخلاً بالآداب ، وجهاز فيديو للعرض ، وتلفزيوناً ، وآلة عرض ، كما تم القبض على ٣٠ شخصاً من الأحداث والبالغين يشاهدون العرض منهم أب ذهب ليضبط ابنه فجلس ليشاهد الفيلم ، واعترف صاحب نادي الفيديو بأن الحصيلة يومياً ٢٠٠ جنيه في الحفلات الثلاث)[١] .

هذا والفيديو خارج المنزل ، فكيف به إذا كان من أثاث البيت ومقتنياته ؟ وقد مرت معنا سابقاً قصة ذلك الأب المجرم الذي كان يجلب الأفلام الجنسية إلى بيته ويدعو أطفاله لمشاهدتها من خلال الشاشة الصغيرة ، وحتى لولم يدع هذا الوالد أبناءه إلى المشاهدة فإنهم بعد حين سيصلون إلى هذه الأفلام وأمثالها إما من البيت نفسه أو من قرناء السوء ورفاق الرذيلة ، ما دام الفيديو تواقاً وشرهاً لمثل هذه الأفلام المشينة .

الفيديو والتلفزيون خطر مؤكد على الأطفال :

يظهر التأثير الهائل للفيديو والتلفزيون على الأطفال بشكل واضح عندما يتم إدخال الجهازين أو أحدهما إلى البيت بعد نشوء الأطفال ووعيهم ، إذ يبدو ذلك جلياً في تبدل تكوينهم الشخصي والنفسي . ويستطيع المراقب إدراك ذلك من خلال نشوء اهتمامات جديدة لدى الأبناء وأنماط من السلوك تحاكي سلوك الممثلين أو الشخصيات الخرافية الوهمية ، أما أولئك الأطفال الذين يولدون والتلفزيون في بيوتهم فإنه يغدو بعد حين أهم موجه لتفكيرهم وسلوكهم وذوقهم واهتماماتهم وقد لايلاحظ ذلك كثير من الآباء والأمهات ، وخاصة أولئك الذين لايهمهم أين تسير السفينة ومن يوجه الدفة .

---

(١) الأخبار ٢٠ / ١١ / ١٩٨٥ .

ويؤكد الدكتور إبراهيم إمام خطر التلفزيون - والفيديو - على الأطفال ، ويراه خطراً ثابتاً ، ويحذر من التقليل من ذلك أو تهوين الأمر ، فيقول : (إن تأثير الإعلام على الأطفال تأثير ثابت ، ولا ينبغي للمسؤولين أن يقللوا من خطره ، أو يهونوا من أمره ، ولا شك (في) أن طريقة معالجة التلفزيون للتراث الثقافي العالمي نفسه ، وخاصة أسلوب استخدام الكاميرا - يجعل التلفزيون مصنعاً للخوف والرعب بالنسبة للموضوعات العنيفة ، وعندما يخلط الأطفال بين الواقع والخيال ، ويتعرضون للتأثير الضار باستمرار ، ويرون المجرم بطلاً خفيف الظل ، والقانون لاينتصر إلا في النهاية ، ورجل الشرطة موضع تهكم وسخرية ، والقاضي إنساناً متردداً ومضحكاً ، فإن احتمال عدم التأثر بذلك كله أمر جد عسير ، وقد يكون صحيحاً أن تأثير التلفزيون - والفيديو - على الأطفال الأصحاء يختلف في شدته ونوعيته عن تأثيره على الأطفال الذين لايحسون بالأمر ، ولكن لابد أن يكون التلفزيون مؤثراً على كلا النوعين)[١] .

التلفزيون والتحصيل الدراسي لدى الأطفال :

يشكو الآباء والمربون من آثار التلفزيون السلبية في علاقة الأطفال بالكتاب والمدرسة وتبدو نتائج ذلك ظاهرة على معظم الأطفال الذين يتابعون المشاهدة . ومن الملاحظ لدى المعلمين أن مما يؤدي إلى التأخر الدراسي ، وعدم متابعة المعلم أثناء الشرح سبب كثير منه التعلق ببرامج التلفزيون ، والسهر الطويل في متابعة ما يجري على الشاشة المرتعشة ، إذ وجد أن الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيون أو فيديو يذهبون للنوم متأخرين عن نظائرهم في السن ممن لايوجد لديهم ، ويبدو أيضاً أن

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٨ .

التلفزيون يتداخل مع الواجبات المنزلية التي يكلف بها التلاميذ [١] وبذلك يبدو الطفل سلبياً أمام ما يدور في قاعة الدرس .

وفي ربيع عام ١٩٧٧ ظهر كتاب بالغ الإثارة والأهمية في الأسواق الغربية ، وهو الكتاب الوحيد الذي ناقش تجربة التلفزيون ومشاهدته ، وبين أهميتها عن محتوى البرامج التي تظهر على شاشته هذا الكتاب من تأليف (ماري دين) وقد أسمته (المخدّر الكهربي) وكان سبباً لضجة كبيرة عند الآباء القلقين ، وعلماء النفس والمربين ، ولقد أكد الكتاب أن مشاهدة الأطفال التلفزيون تسبب عندهم نوعاً من الإدمان ، وأنها تحول جيلاً كاملاً منهم إلى أشخاص يتميزون بالسلبية ، وعدم التجاوب ولايستطيعون اللعب والابتكار ، ولا يستطيعون حتى التفكير بوضوح [٢] ، فكيف يتسنى لمثل هؤلاء الأطفال استيعاب الدروس وتركيز اهتمامهم فيما يلقى عليهم أو يطلب منهم التفكر فيه إذا كانت معظم أوقاتهم تستنفد أمام الشاشة الصغيرة ؟

وفي تقرير لمنظمة اليونسكو العالمية رقم (٣٣) تبين أن الأطفال ، في البلاد العربية ، من سن السادسة إلى سن السادسة عشرة يقضون ما بين اثنتي عشرة ساعة وأربع وعشرين ساعة أمام التلفزيون أسبوعياً ، وأن سن الخامسة حتى السابعة هي الفترة التي يبدي فيها الطفل أقصى اهتمام بمشاهدة التلفزيون ، وفي المرحلة التي تسبق هذه الفترة ، فإن الطفل في سن الثلاث سنوات يقضي ٤٥ دقيقة يومياً أمام التلفزيون ، وفي سن أربع سنوات ينفق ساعة ونصف الساعة يومياً [٣] .

---

(١) الدكتور عبد الرحمن عيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي ص ٧٩ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٣٧ .

(٣) مجلة العربي : العدد ٣١٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٥ .

ولم تزل الدراسات والتقارير العلمية تتوالى في تبيان ما للأجهزة السمعية البصرية من أثر بالغ الضرر فيما يظهر على شاشاتها ، ولذلك فإن تقريراً آخر نشر في مجلة اليونسكو عن نتيجة الاستطلاع الياباني عن وسائل الإعلام جاء فيه : إن فيض المعلومات التي تقدمها أجهزة الإعلام يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدي الأطفال . وأوضح التقرير أن الأطفال كانوا ضحية لبرامج التلفزيون والمجلات الهزلية . وذكر الأطباء والمدرسون الذين شملهم الاستطلاع أن وسائل الإعلام أشد ضرراً بالأطفال وخاصة البرامج الترفيهية الساقطة والمجلات الهزلية التي ترد إليهم [1] وإن حشو مخيلة الطفل ، وإشغال فكره بهذه الترهات لاتدع له مجالاً لاستيعاب المعلومات التي يتلقاها في المدرسة ، مما يؤدي في أغلب الأحيان إلى كراهية الطفل للمدرسة والكتاب لشعوره بقصورهما وعجزهما عن جذبه إليهما كما يجذبه التلفزيون والفيديو ، إذ أنهما لايتطلبان من الطفل مجهوداً ولا حركة ، ويحشوان رأسه بالخيالات والأوهام ، ويضحكانه ويعلمانه الرقص والغناء ، وكيفية إقلاق راحة الآخرين .

التلفزيون والفيديو والمعرفة لدى الأطفال :

أشارت مجلة (الثقافات) التي تصدرها منظمة الأمم المتحدة ـ اليونسكو ـ إلى البحث الذي قدمه (جورج جيربنر) تحت عنوان (عالم قصص التلفزيون) وهو البحث الذي قامت به جامعة بنسلفانيا . وهو يؤكد على عالم الخيال المزيف الذي قد يفرضه التلفزيون الليلة تلو الليلة والأسبوع وراء الأسبوع . وفيه نجد شخصيات غريبة تطلع علينا بحقائق غريبة عن العالم والناس والقضايا والسلطات ، لأن كثيراً من مشاهدي التلفزيون قد يصدقون أن هذا هو الوضع الصحيح للأمور ، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الطفل

---

(١) سيد الشليي والأمير أباظة : الفيديو والمجتمع الإسلامي ص ٣٣ .

في سن العاشرة يمضي أمام التلفزيون وقتاً أطول مما يقضيه في فصل الدراسة ، فعندئذ نجد أن آراءهم تتأثر وتتشكل تبعاً لما يشاهدونه على الشاشة الصغيرة ، ونجد أنهم يصدقون كل ما تقوله الشخصيات التلفزيونية ، لا ما يقوله الأشخاص الحقيقيون الذين يتعاملون معهم ، فمراكز الشرطة ومكاتب الشركات وساحات المحاكم وغرف العمليات بالمستشفيات التي يراها الطفل على الشاشة هي التي تترك أثراً أبدياً في ذهنه كما أنه قد لايستطيع مقارنتها بالأماكن الحقيقية ، وقد يكون هذا حقيقياً بالنسبة للكبار أيضاً .

ويذكر (جير بنر) مثلاً لذلك فيقول : إن الدكتور (مركوس وبلين) وهو أحد الذين يظهرون على الشاشة على أنه طبيب ، قد تلقى ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ رسالة يطلب فيه أصحابها معونته الطبية من مشاهدين صدقوا فعلاً أنه طبيب معالج .

إن العالم الحقيقي المليء بالمواقف المعقدة والدوافع المركبة مليء كما يصور التلفزيون بأشخاص يمكن تقسيمهم إلى الطيب والشرير ، والماهر والبليد ، والقوي والضعيف .. وهكذا ، ومما يزيد الطين بلة أن الكثيرين من مشاهدي التلفزيون كما بينت الأبحاث ينظرون إلى تمثيليات التلفزيون على أنها تحتوي على حلول المشاكل الحقيقية ، ومما لاشك فيه أن مثل هؤلاء المشاهدين يصطدمون بخيبة أمل كبرى عندما يكتشفون أن العالم الحقيقي ليس بهذه البساطة التي تصورها وسائل الإعلام [١] .

وعلماء الاجتماع المهتمون بوسائل الاتصال الجماهيرية على يقين من أن التلفزيون قد أدى إلى اتساع الثقافة عرضاً ،ولكن الكثير منهم لايزالون في شك من أنه قد أدى إلى اتساعها عمقاً والواقع أن العديد ذهب إلى حد القول

---

(١) مجلة الثقافات ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ العدد الثاني ١٩٨٣ .

بأنه وقف عائقاً لا مساعداً أمام تطور الثقافة من حيث الكيف والعمق ، وأنه لم يعمل على غرس القيم الثقافية التحليلية بهدف الوصول إلى فلسفة مستنيرة وشاملة للحياة ، وبدلاً من كل ذلك فإن التلفزيون وبجانبه السينما يقف في قفص الاتهام فإنه ينشر مبادئ ساذجة وبعيدة عن الواقع بل مبتذلة فيما يخص الفن والحياة الاجتماعية بل مكان البشرية على وجه العموم [1] .

وقد تحدثنا سابقاً عما يقدمه التلفزيون من المعرفة العامة ، فوجدنا أن ذلك لايتعدى سطحيات المعارف الإنسانية التي توهم المشاهد بالحقيقة الكلية ، وليست الثقافة التي يقدمها التلفزيون إلا مقطعات وجملاً لا تساعد على النمو المعرفي ، ولا على إدراك كنه العلوم ، ولاتمنح المشاهد القواعد الصحيحة للتعامل مع الأحياء والأشياء والأوضاع ؛ إذ تقدم له من التصورات ما يخالف الواقع المحسوس ، والحياة التي تتحرك على وجه الأرض .

التلفزيون يشاركنا في تربية أبنائنا :

لعل من أخطر ما يقوم به التلفزيون - اليوم - أنه يشاركنا في تربية أبنائنا ، ويصوغهم الصياغة التي تبتعد بهم عن الصلة بأمتهم وعقائدها وأعرافها ، وأشد من ذلك إيلاماً أن كثيراً من الأسر تخلت عن دورها نهائياً في مهمة التربية العقائدية والفكرية ، وأسلمت أبناءها للفيديو والتلفزيون يصنعان فيهم ما يحلو لهما من التوجيه وغرس المفاهيم والعقائد المغايرة لعقائدنا وحضارتنا وتاريخنا ، وقد تبين لنا بما لايدع مجالاً للشك أن وراء هذه الثورة الإعلامية مؤسسات تقوم على مخادعة الجماهير وإغرائها للوصول إلى مآرب كثيرة من أهمها وأخطرها اقتلاع جذور الدين من النفوس لأن تعاليم الدين ، والإسلام خاصة ، تقف حائلاً دون تحقيق أطماعهم ، وتطبيق

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٧ .

مؤامراتهم ، واستغلالهم البشع لنقاط الضعف في الإنسان وعلى الأخص النواحي الجنسية التي تعتبر أسهل استثارة وأسرع استجابه من سواها .

وقد أدرك كثير من العقلاء أن للتلفزيون والفيديو أثراً محققاً في إضاعة الجهود التربوية التي يناط بها المساهمة في بناء شخصية الطفل والمراهق والشاب على السواء لتكوين شخصية متوازنة متعادلة تستطيع مجابهة الصعاب ، وتحمل المسؤوليات ، وتشعر بحقوق الآخرين ، وتحرص عليها حرصها على حقوقها هي . وروى لي أخ كريم أنه زار أستاذه الجامعي في بيته وكان الأستاذ هذا نصرانياً ، فلاحظ الأخ أنه ليس لدى أستاذه تلفزيون ، فسأله عن سبب ذلك فأجاب الأستاذ : (أأنا مجنون حتى آتي إلى بيتي بمن يشاركني في تربية أبنائي ؟) لقد أدرك هذا الأستاذ بما أوتي من علوم الدنيا أن وجود التلفزيون في المنزل معناه السماح له بالمشاركة في تربية الأبناء أو التخلي نهائياً عن هذا الدور للممثلين والممثلات ، والراقصين والراقصات ، وبائعي الجبنة والبسكوت وطلاء الأظافر .

وقد تحدثت (ريم كيلاني) في مجلة العربي في هذا المعنى فقالت : (يلقبونه (بالوالد الثالث) الذي يحتل مرتبة في الأسرة تلي مرتبة الأب والأم ، بل تفوقها في أغلب الأحيان ، وهو ليس ضيفاً دائماً فقط ، بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية أبنائنا ، فمع تعقد الحياة وازدياد همومها ، ومع تطور المجتمعات وخروج المرأة للعمل ، أصبح أمراً مألوفاً أن يشتري الأباء سكوت أبنائهم وسكونهم بالبحث عن مشاهدة التلفزيون ، وما إن يعرف الأطفال طريق هذا الجهاز حتى يبهرهم بعالمه السحري وشخوصه العجيبة ، لأن العقل الإنساني في بدايته يبدأ طريق المعرفة بالاندهاش فإن دهشة الأطفال بهذا الصندوق الذي يقدم لهم حياة أخرى كاملة لا تنتهي ، ومع استمرار الدهشة والانبهار ، يتقدم عقل الطفل إلى مراحل المحاكاة والتقليد

والتلقين والتعليم ، إلى أن نجد الطفل في النهاية وقد تشكلت شخصيته وثقافته ، والتلفزيون هو العامل الرئيسي في هذا التكوين)[١] .

ويساعد التلفزيون على خلق النشاط العشوائي عند الأطفال إذ أن الطاقة الجسدية التي تخلفها الصور التلفزيونية ولا تستعمل يتم تخزينها جسدياً لتنطلق خارجاً على صورة نشاط عشوائي لاهدف له حال إقفال الجهاز . وإننا نلمس هذا عند كثير من الأطفال الذين يصابون بحالة من الهياج والصخب عند إبعادهم عن التلفزيون بعد أن كانوا في منتهى الوداعة أثناء عرض البرامج ،وقد يؤدي التردي المستمر الذي تخلفه التجربة التلفزيونية في بعض الحالات إلى نوع من العنف الشديد مهما كان نوع البرامج المشاهدة ، فلا بد من إيجاد حل مّا لحواس ما فتئت تثار بطريقة اصطناعية .

إن الكثيرين يقومون باستعمال التلفزيون لتهدئه صخب أطفالهم ، وهو أمر مستهجن يدعو إلى القلق ، إذ كان من الأفضل لو استعملوا مهدئات طبيعية تعطي أطفالهم مجالاً واسعاً من الحوافز الحسية والإدراكية كبعض التمارين والرياضات والاستحمام وغيرها من طرق العناية المباشرة . إن وضع الطفل أمام شاشة التلفزيون يعتبر أسوأ ما يمكن عمله ، فالجهاز يثيره [٢] ويمتلك عليه خياله ، ويوتّر أعصابه ، ويدفعه بعد إقفال التلفزيون إلى اختلاق حركات عشوائية لا تستطيع التعبير عن كل ما يختلج في داخله وإن كانت معبرة عن الأثر الذي استقر فيه وفاض على جوارحه ، ومنحه شكلاً من أشكال التربية التلفزيونية ونفحة من نفحاتة .

---

(١) ريم كيلاني : مجلة العربي العدد ٣١٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٥ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٤١ .

الأطفال وتقمص الشخصيات :

تبدو نزعة التقليد والمحاكاة ظاهرة تماماً لدى الأطفال ؛ ولذلك نرى في الطفل ملامح من سلوك من حوله من أب أو أم أو إخوة . ويظل الطفل زمناً يرى فيه أباه المثل الأعلى له بين الرجال ، ويرى كذلك أمه بين النساء ، حتى إذا ما انتقل إلى الطفولة المتقدمه ابتدأ في تحسس ذاته من خلال من يرى ويعاشر ويخالط ، وفي عصر الفديو والتلفزيون أضحت الشخوص التي تظهر على الشاشة المحرك الأول للأطفال نحو هذه الحقيقة التي تظل في نمو وازدياد حتى تبلغ مداها الحاسم في سن المراهقة ، وعند ذلك يغدو المراهق على أتم استعداد لاتخاذ إحدى الشخصيات التلفزيونية مثلاً له وقدوة ، ومن المؤسف حقاً أن أكثر الشخصيات التي تظهر عادة على الشاشة لا تصلح أبداً أن تكون أسوة حسنة لما نرجوه لأجيالنا الحالية والمستقبلة ، ولكن الطفل والمراهق لايستطيع أن يقوم بالاختيار الأمثل للشخصية التي يقتدي بها ، فقد يجعل التلفزيون من أحط الشخصيات وأكثرها خطراً مثالاً محببا للطفل أو المراهق ، وذلك بفضل الأسلوب الجذاب الذي تقدم به ومن خلال جعلها محور البطولة والرشاقة وما إلى ذلك من الصفات .

ويقول جيري ماندر : (لقد راقبت ولديّ بعد مشاهدتهم لإحدى حلقات رحلة النجوم Star Trek التلفزيونية حيث أصبح (يـاري) وهو الأكبر الكابتن (كيرك) وهو فعال وذو رجولة وسديد الرأي له القيادة ولا يخاف ، وكان (كاي) الأصغر المعاون في القيادة ، وقد مثل دور (سبوك) وسلوكه : عنيد لايبتسم ولا يحس ،ويعتمد كلياً على العلوم والعقل .

استمرت الألعاب لساعات ، وكانا عادة يعيدان القصة نفسها بعض مرات وكأنها يحاولات استعادتها أو تذكرها ، وهذا بالطبع هو ما كانا يعملانه حقيقة وإنها يعملان حقيقة على استعادتها لغرسها في نفسيهما .

وفي أحد الأيام لاحظت أن ياري كان يقوم بقفزات كبيرة في الحديقة ، ويصدر أصواتاً غريبة ضارباً بلسانه سقف حلقه ، ثم أدركت أن هذه الضجة كانت تصدر منه ، عندما يقوم بعمل ناشط ،وأنها كانت محاكاة للصوت الإلكتروني الذي يرافق حركات الرجل الإلكترون ، وفي الأسبوع نفسه شاهدت ذلك المسلسل مع الأولاد ، وخلال أحد المشاهد كان الرجل الإلكترون يجري بسرعة خارقة في أحد الحقول مصحوباً بالأصوات ذاتها . كانت تحركاته تعرض ببطءٍ مع مزيد في قوتها ، وسألت ياري وكاي :

عندما تقومان بالركض هل تتخيلان نفسيكما أحياناً كالرجل الإلكترون ،وتحاولان الركض مثله ؟

قال ياري : دائماً .

وماذا عنك ياكاي ؟

وأنا كذلك . أهذا سيئ ؟

وبعد هذا يقول جيري ماندر : كيف يمكن الإجابة على ذلك ؟ إنه ليس سيئاً عندهما بالتأكيد ، لكن الولدين كانا يقلدان شخصاً آلياً ، لم أقدر أن أوحي لهما بأن ذلك سيئ لأنني لم أرض أن يشكا في قدرتهما على التعلم) [1] .

ومما يجدر بنا أن ننبه إليه هو أن هذه الملاحظة ليست وقفاً على جيري ماندر وأمثاله بل بإمكان الآباء والأمهات ملاحظة ذلك جيداً لأنها حقيقة تحدث في البيوت كل يوم ولو من خلال حركة أو جملة أو كلمة .

الفيديو وتكنولوجيا الضياع :

من أغرب المفارقات المصطنعة أننا ونحن اليوم نتلمس الطريق السوي ،

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٩٣ .

والصراط المستقيم لنقيم بمقتضى ذلك أسس بنائنا الجديد الذي يعيد لنا شخصيتنا وصبغتنا التي عرفتنا بها الأمم ، ودانت لنا بفضلها الأرض : ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾ [١] أقول من أغرب هذه المفارقات أن نجد أنفسنا أسرى مخطط يحاول أن يثني عزائمنا عن المضي في هذا الطريق من خلال إلهائنا بلغو الحديث وسفاسف الأمور ،ولعل كل أسلحة المعركة التي حشدتها الصهيونية والصليبية لهذا الغرض لاتعدل جزءاً من مائة مما يفعله اليوم الفيديو والتلفزيون في أبنائنا ، ولايغرنّنا ما يدس أحياناً من برامج صالحة بين هذا الكم الهائل من البرامج السيئة ، ولا يبعدنا عن التفكير فيما يدبر لأطفالنا وفلذات أكبادنا ، بل لنا نحن الكبار الذين جعلنا الله مربين ومرشدين وموجهين لأطفالنا ، فإن لم نقم بهذه المهمة خير قيام فما استجبنا لدعوة الله لنا في كتابه الكريم : ﴿ **قو أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ [٢] .

وقد تحدث الدكتور يسري عبد المحسن أستاذ الطب النفسي والأعصاب المساعد بكلية طب القصر العيني عن جيل الفيديو الذي يقسر على تغيير هويته والانسلاخ من صبغته ، فقال : (إذا كان التلفزيون قد غير ملامح الشخصية لأطفالنا على كافة جوانبها ، وأخرج لنا ما نسميه (بجيل التلفزيون) الذي تضاربت الآراء حول مدى صلاحيته الثقافية والتربوية والاجتماعية ، فإن العصر الجديد قد فرض علينا وعلى أطفالنا وسيلة أخرى من وسائل التكنولوجيا الحديثة ، ألا وهي جهاز الفيديو وهو ما اعتبره الصورة الثائرة ، وغير الموجهة أو المحكومة كجهاز التلفزيون .

وإذا اعتبرنا مسبقاً أن التلفزيون قد سيطر وهيمن على مقومات الأفراد ،

---

(١) البقرة ١٣٨ .

(٢) التحريم : ٦ .

وجعلهم أسرى وعبيداً له ، وقضى على الذاتية الفردية ، وتحكم في علاقة الأسرة بعضها ببعض ، وتغلغل بين أفرادها كالسم البطيء الذي يحول دون الترابط الوجداني بين أفرادها ، وفرض على الصغير والكبير على السواء مواد تختلف في طبيعتها وفوائدها ، وجعل كل إنسان يتيه في دنيا من الانبهار والوهم الذي ضاعت معه كل معالم الحقيقة والواقعية .. إذا كان كل هذا من أثر التلفزيون ، فإن للفيديو أبعاداً أخرى ذات نوعية مختلفة إلى حدٍ ما .

فالفيديو ذو طابع ديكتاتوري أكبر وأشد من التلفزيون ، وهو الذي لاتحكُّم فيه ولا حُكمَ عليه من سلطات الدولة المسؤولة ، حيث أن مادته تأتي في الخفاء سراً دون رقابة وحيث أنه لايرتبط بنوعية معينة من البرامج ، أو بمواعيد محددة من الساعات ، وحيث أن الفرد هو الرقيب الوحيد على ما يشاهده ويسمعه منه ، ونحن نعلم أن كل فرد قد يصعب عليه الاختيار أحياناً ، أو قد تطغى عليه نزوات عابرة ، فيختار كل ما هو مدمر هادم لنفسه وللآخرين من حوله ، وقد تنتابه حالة من اللامبالاة ، أو الثورة على نفسه وغيره فيحطمها بالبرامج والمشاهد الفاسدة التافهة التي تضيع معها كل معالم شخصيته حتى تنتهي إلى مصير الضياع الحتمي .

إن جهاز الفيديو قد صنع بأيد أجنبية لا تستعمله بقدر ما تجعله أداة تستخدم بواسطة الغير بغرض الهدم والقضاء عليهم ، فعلى قدر علمي أن نسبة من يستخدم الفيديو في بلاد الغرب أقل بكثير من نسبة استخدامه في الدول العربية ومنطقة الشرق الأوسط ، وما هو أبشع من نسبة الاستخدام هذه أن المادة التي يحصل عليها المشاهد من جهاز الفيديو هي في معظمها هابطة ، فقد انطبعت في أذهان الناس فكرة أن الفيديو هو الجزء المتحرر غير المحسوب والثائر للتلفزيون وهو جهاز التسيب والممنوع والمحرم ، وليس هناك استعمال طبيعي لمثل هذا الجهاز ، وإلاّ فما فائدة التلفزيون وما الفرق بينهما وكل يوم

نرى ونسمع عن أفظع الشرائط والتسجيلات التي تسري كالسرطان في خلايا الأسرة والمجتمع ، ولا حكم ولا رقيب ومن غير أن يكون هناك تصور حقيقي لهذا الخطر الداهم وبما ستكون عليه العواقب مستقبلاً) [١] .

وبذلك يقوم الضياع الأكيد في توزع القلب بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة . وهل يتسنى لمن وقع في هذه الازدواجية أن يحس الاختيار أو أن يكون إنساناً صالحاً يتلمس بصدق وإحساس سوي الطريق التي تكون معبراً حقيقياً لقافلة الخير التي يتوجب عليها أن تنطلق لتوزع الخير ، وتزرع العدل ، وتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ؟

الفيديو والتلفزيون وملامح رجال الغد :

ما هي ملامح رجال الغد الذين يتطلع إليهم المسلمون ليعيدوا لأمتهم اعتبارها ، وليغسلوا ما أصابها من عار وراء عار ؟ إنها الملامح ذاتها التي قادت آباءهم من قبل إلى النصر وجعلتهم سادة الدنيا ، وقادة الفتح المبين .. أطفالنا نريد لهم أن يكونوا في غدهم رجالاً يصدق فيهم قول ربهم : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾ [٢] نريد لهم أن يكونوا على أتم وعي لمهمتهم في الأرض ، وأذكى دراية بوسائل العصر ومتطلباته .

رجال الغد المأمول هم أولئك الذين يحسنون إقامة شرع الله في الأرض كما يحسنون قيادة السيارة أو الطائرة ، ويتقنون الحكم بما أنزل الله كما يتقنون تشييد العمائر الناطحات للسحاب ، ويفرقون بين ما يضر وينفع كما يفرقون بين اللون الأسود والأبيض .. لا تلهيهم تجارة ولا بيع ، ولا زوجة ولا ولد

---

(١) الأهرام ٨ / ١١ / ١٩٨٤ .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

عن إعطـــاء كل ذي حــق حقـــه ، ولا تنحرف بهم الشهــوات ولا المحن عن الاستمساك بشريعة الله ، ومنهج النبوة في النظر إلى الأمور والتعامل معها .

رجال الغد ينبغي أن يكونوا شجعاناً ذوي قوة .. صُدقاً عند لقاء العـدو ، يقولون كلمة الصـدق والحق لا يخشون في الله لومـة لائم ، ولا أذيـة مؤذٍ ، ولا يكونون عوناً لطـاغوت أو مكابر سيماهم في وجوههم من أثر السجود .. لايحنون جبـاههم إلا لرب العـالمين ، عقلاء فضلاء ، أطهـار ، أقـويـاء ، النـاس عنـدهم كأسنان المشط ، وأكرم الناس لـديهم التقي ، لايبخسون النـاس أشيـاءهم ، ولا يغمطون أحداً حقـه ، يحبون الموت كما يحب غيرهم الحيـاة ، ولا يـدفعهم بغض أعـدائهم إلى مجـانبـة العـدل معهم لأن ذلـك أقرب للتقوى ، ولا يخنعون ، ولا ينـافقـون ، ولا يمـالئـون ، ديـدنهم الصـدق ، وحيلتهم الرفـق ، ومنتهى أربهم مرضاة رب العـالمين ، أشـداء على الكفـار رحمـاء بينهم يوقنون بـأن الرزق في خـزائن الله التي لا تنفـد ، والمـوت بـأمر الله الـذي لايرد ، والنصر من عنـــده سبحـانـه حين يُقصَـد . هـذه بعض ملامـح رجـال الغـد الـذين نطمـح في أن يكونوا حقيقة المستقبل وقادة الـدنيـا ، فهل بـإمكان الفيـديو والتلفزيون على ما هما عليه اليوم في أكثر أرض الإسلام ، أن يساعدا على تنشئـة أطفـالنـا على تلك الملامح التي نحب أن نطمئن إليها في رجال المستقبل ؟

ما من شك في أن الفيديو والتلفزيون عاجزان عجزاً كلياً عن المسـاهمـة في صنع هذه الملامح أو تأصيلها في نفوس أبنـائنـا ، ولابـد من لفت نظر القـارئ من جديد إلى تناقض البرامج التلفزيونية ، وتضادها ، حتى أن بعضها ليحبـط بعضـاً ، والشر فيهـا غـالـب على الخير وقـد عقـدت جـامعــة (عين شمس) في القـاهرة مؤتمراً حول (ثقـافـة الطفـل في وسـائـل الإعـلام) حضره كل المهتمين بالطفولة من العاملين في حقل الإعلام وفي المراكز العلمية والثقـافيـة في مصر ، ولقد ناقش المؤتمر عدة موضوعـات على جـانب كبير من الأهميـة تتعلق بعمليـة

صياغة عقل الطفل والأساليب الخاطئة والسلبيات التي تعتور هذه الصياغة .

ومما قالته الدكتورة فوزية فهيم - وكيلة وزارة بالإذاعة والتلفزيون - في بحث ألقته حول التكامل بين الإعلام والتعليم من أجل تربية الطفل : (يبرز دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في نقل المعرفة والتربية في سن ماقبل المدرسة حتى قيل ، إن الجيل الجديد يقوم على تنشئة ثلاثة هم : الأم والأب والتلفزيون ، ولهذا فإن ثبات المفاهيم التي تبثها الوسائل الإعلامية عبر الأثير وعلى الشاشة الصغيرة ضروري من الناحية التربوية والتعليمية .. فمثلاً عندما تشن وسائل الإعلام حملة ضد التدخين ونجد الأفلام السينمائية والمسلسلات التي يعرضها التلفزيون مليئة بالمدخنين فأي الرسالتين الإعلاميتين يكون أكثر تأثيراً على نفسية الطفل وأيها يصدق ؟

كما أن برامج التلفزيون تعرض العنف والقسوة ، والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد أن المواجهة الأولى للطفل بالنسبة للعنف والسلوك الوحشي تحدث على شاشة التلفزيون كذلك تمجد وسائل الإعلام نجوم السينما والمسرح والراقصات والمطربات حتى قيل إن الملاهي الليلية تنتقل يومياً إلى المنازل ، ويتشرب الأطفال أذواق الممثلين وأخلاق الممثلات . فأين هذا من القيم الدينية والأخلاقية التي يتلقاها الطفل في المدرسة ومن أبويه ؟

والأم نفسها قد شوهت صورتها من خلال وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون والسينما ، فمعظم الأفلام والمسلسلات تظهر المرأة بصورة تتنافى مع الواقع مثل الراقصة وبائعة الهوى ، وتاجرة المخدرات ، والخادمة التي تتزوج رب الأسرة ، والصغيرة التي تحب من هو في سن أبيها ، والأم التي تنافس ابنتها في الحياة والزينة والإيقاع بالرجال . وقد ثبت للعلماء أن التلفزيون والسينما يدعوان الشباب صراحة إلى الحب والغزل والتدخين وشرب الخمر إلى آخر هذه العادات الضارة التي تمتلئ بها الأفلام السينمائية ، والمسلسلات

التلفزيونية ، وخاصة المسلسلات الأجنبية .

ويرى كثير من المربين وعلماء النفس أن تـأثير التربيـة المـدرسيـة على الأطفال أخذ في الانحسار يوماً بعـد يوم أمـام التربيـة الموازيـة التي يتلقـاهـا الطفل عن طريق وسائل الإعلام التي يزداد أثرهـا يومـاً بعـد يوم ، وخـاصـة عنـدمـا تجعل وسـائل الإعلام من الثقـافـة والتعليم والمـدارس والمـدرسين مـادة للضحك والاستهزاء كما حدث في مدرسة المشاغبين) [١] .

وفي مؤتمر جامعة عين شمس هذا أيضاً تحدث الأستاذ عبـد الغني داوود عن سينـما الطفل فقـال : (إذا تتبعنـا مـا قـدمتـه سينـما الطفـل في مصر لفلـذات أكبـادنـا ، نجـده قليـلاً ويفتقـد الاستمراريـة ، إذ ترك صنـاع السينـما في مصر أطفالنا نهباً لسينما الكبار التجارية تؤثر فيهم تأثيراتهـا السلبيـة بمـا تقـدمـه لهم من تشويـه وتزييف للـواقـع الـذي لم تتعرف عليـه خبراتـه ، وتتركـه فريسـة للحيرة والارتباك وعدم الثقة ، والشعور بالعجز والبلبلة ، و أحيـانـاً الانحراف والتقليد الأعمى الـذي ينتج أوخم العواقب ، والملاحـظ أن الأفلام التي صنعت خصيصـاً لتخـاطب الأطفـال فشلت في ذلـك ، فهي على الأصح أفـلام من الأطفال وليست للأطفال) [٢] .

وبعد ذلك فهل فيما يقـدم على الشـاشـة الصغيرة ، ومـا ينفثـه الفيـديو في أبنائنا من أمل يرجى تحقيقه لصياغة رجال الغد الصياغـة البنـاءة الرشيـدة ؟ إن منتهى ما نلمسه بين يـدي الفيـديو والتلفزيون أن مـا يقـدم لأبنـائنـا من برامج ومسلسلات لهو التشـويـه الاعتبـاطي حينـاً والمقصود في أحيـان كثيرة ـ لصورة الطفل المسلم الذي سيغـدو رجلاً بعـد حين ، ويكفينـا دليلاً على مـا نقول شهادة العاملين في حقل التلفزيون أنفسهم وهم أكثر دراية بما يدور خلف

---

(١) (٢) الأهرام ١٠ / ١ / ١٩٨٥ .

الكواليس ، وأقدر على فهم المحتوى الذي يتوسل به التلفزيون للوصول إلى مسخ الشخصية المسلمة وتغيير مسارها .

دراسات علمية حول آثار الفيديو والتلفزيون على الأطفال :

دأب رجال التربية والتعليم شرقاً وغرباً على دراسة الآثار التي يسببها الفيديو والتلفزيون على الأطفال لما لاحظوه من ظهور علائم التأثر بالبرامج التي تبث ليل نهار ، ويتلقفها الصغار والكبار معاً . ولم يدفعهم إلى ذلك غير تدارك الأمر ، ومحاولة الإقلال من المضار المترتبة على شغف الأطفال بالمشاهدة ، ووقوعهم تحت التأثير الساحر لهذا الصندوق العجيب .

أ ـ دراسة لـ (روبرت زايونك) :

الدراسة التي نلخصها فيما يلي تشير إلى أثر ما يشاهده الأطفال في أجهزة الإعلام في إكسابهم المفاهيم الموجهة إليهم بقصد صياغتها اجتماعياً على نمط مستهدف .

والدراسة هي لروبرت زايونك إذ يقول : (عرض برنامج إذاعي مكون من حلقتين ، يتناول مغامرات صاروخ فضائي ، على مجموعتين من الأطفال بين السن التاسعة والثالثة عشرة ، في البرنامج شخصيتان : روكي وبادي .

الأول (أي روكي) كان صاحب كلمة ونفوذ ، يحل مشاكله عن طريق الأمر والقيادة المباشرة للآخرين .

أما الثاني (أي بادي) فكانت قيادته من النوع الارتباطي أي المرتبطة بالآخرين ، وأسلوبه في حل المشاكل يعتمد على العلاقات المؤثرة التي يقيمها مع الآخرين والتي تقوم على المودة والصداقة .

استمعت إحدى مجموعتي الأطفال إلى حلقة من البرنامج (سادة الفضاء)

يتغلب فيها (روكي) على معظم المخاطر التي تواجهها سفينة الفضاء بنفوذه المسيطر على من معه ، واستمعت المجموعة الثانية من الأطفال الى حلقة (مهمة فضائية) كان نجاح (بادي) فيها بأسلوبه الارتباطي في القيادة أكبر من نجاح روكي .

سئل الأطفال عقب انتهاء العرض عما إذا كانوا يفضلون أن يكونوا مثل بادي أو روكي ، اختار المستمعون باستثناء عدد قليل الشخصية الناجحة . بمعنى أن أولئك الذين استمعوا إلى (سادة الفضاء) أرادوا أن يكونوا مثل روكي ، والذين استمعوا إلى (مهمة فضائية) أرادوا أن يكونوا مثل بادي . وبالإضافة إلى ذلك سئل الأطفال عن سبب تفضيلهم شخصية دون أخرى من شخصيات الحلقة ، فكانت أكثر إجاباتهم منصبة على الصفات الذاتية للشخصية الناجحة فأولئك الذين استمعوا إلى الحلقة التي نجح فيها بادي وجدوا أن صفاته الارتباطية جذابة جداً ، في حين وجد أولئك الذين استمعوا إلى حلقة روكي أن صفات السيطرة والأمر والنهي مرغوب فيها ، رغم قلة الاستثناءات .

أخيراً نظر الباحثون فيما إذا كان الأطفال قد اتخذوا القيم التي يرمز إليها الأبطال جزءاً من مثلهم الذاتية ، ذلك بأن وجهوا إليهم سؤالاً : إذا عينت قبطاناً لسفينة الفضاء فأي الهدفين تراه أكثر أهمية : ١ ـ التأكد من أن الجميع يعملون في انسجام . أم ٢ ـ التأكد من أن كل شخص يطيع الأوامر ؟ فاختار الأطفال الذين تعرضوا للبرنامج الارتباطي الهدف الأول ،واختار الذين استمعوا إلى حلقة السيطرة الهدف الثاني)[١] .

ب ـ دراسات انكليزية :

تمت الدراسة الأولى بتكليف خمسة عشر معلماً بقرار من وزير التعليم

---

(١) تشارلز. ر. رايت : المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري ، ترجمة محمد فتحي ص ١٤٢ .

البريطاني ليشاهدوا التلفزيون بانتظام ،ويلتقوا على فترات لبحث ودراسة ملاحظاتهم ، وتجميعها ، والاتفاق عليها ، وتكررت التجربة بانتظام خمسة شهور كاملة ،وأشرك المدرسون معهم خمسة آلاف طفل ، طلبوا منهم متابعة البرامج خلال هذه المدة حتى يعرف المعلمون ما الذي يحبه الأطفال ، وماذا يكرهون ، وتأثير التلفزيون على الجميع وفي نهاية الدراسة قال تقرير اللجنه :

١ ـ استمرار مشاهدة التلفزيون تؤدي إلى الكسل العقلي للأطفال ، والسلوك السلبي في الحياة فالتلفزيون لعبة مسلية للصغار لا تتطلب منهم جهداً .

٢ ـ لا يخلق التلفزيون موضوعات للحوار عند الأطفال ، ولا ينشئ موضوعاً للبحث .

٣ ـ كثير من البرامج تعتمد على العنف ، واستمرار مشاهدة ذلك تؤدي إلى جعل الأطفال أكثر عدوانية والعنف لايظهر في الحلقات البوليسية فحسب بل في نشرات الأخبار ، والبرامج الإخبارية بصفة عامة ، إذ تقدم للمشاهدين صوراً مكبرة لضحايا الحروب والمعارك .

٤ ـ صورة المرأة في الحلقات غير مشرفة ، فهي تتزين وتتجمل ولا تستطيع إقناع الرجال وإغراءهم لمساعدتها إلا بالجاذبية الجنسية وحدها ، والمرأة ـ على الشاشة ـ ضعيفة دائماً وفي حاجة للحماية ، والرجل لايظهر عارياً بل المرأة وحدها التي تظهر عارية مما يؤكد للصغار أنها لا تملك سلاحاً إلا جسدها .

٥ ـ يقلد الأطفال ممثلي التلفزيون عند وقوعهم في أزمة ، فهم يكررون ما يفعله ممثلو الحلقات فهم المثل الأعلى للأطفال .

٦ ـ رجل الشرطة يبدو على الشاشة عنيفاً غير ناجح ، تنقذه المصادفة ،

أو يساعده مجرم في الوصول إلى حل للجريمة واكتشاف ألغازها .

٧ ـ القائمون على التلفزيون لايهتمون بمعرفة مدى تأثيره السيئ على الأطفال) [١] .

أما الدراسة الثانية فقد قام بها ثلاثة من الباحثين هم (Oppenheim) و (Vice) و (Himmelweit) وذلك بتحليل أقوال المدرسين عن أثر التلفزيون في سلبية الأطفال ، ووجدوا أن هناك خمسة نماذج سلوكية تحمل مخاوفهم وهي :

١ ـ أن مشاهدة التلفزيون في ذاتها عملية سلبية ، وأن الطفل يمتص محتوى ما يقدمه التلفزيون كالأسفنجة .

٢ ـ أن مشاهدة الشاشة الصغيرة ربما تصل بالطفل إلى أن يفضل الحياة كما تعرضها الشاشة أكثر من الحياة ذاتها ، وأن الطفل سيتعود أن يرى الأشياء التي أعدها له الآخرون أكثر من أن يبذل هو مجهوداً حقيقياً لنفسه .

٣ ـ أن المشاهدة تقود إلى أن يصبح الطفل مجرد متفرج ويفقد المبادأة .

٤ ـ أن مشاهدة التلفزيون تنهك الطفل ، ذلك أن الطفل يتعرض لمثيرات متنوعة ، وقد يحفزه مثيراً اهتمامه ، ولكنه لايستطيع أن يترجم ذلك إلى حدث لأنه وبسرعة يقدم له شيئاً يحوّل اهتمامه ، وهكذا تتوالى الأمور التي قد تسبب إنهاكاً للطفل .

٥ ـ إن مشاهدة التلفزيون تبلّد قوى التخيل ، لأنها تقدم للطفل خيالاً جاهزاً الأمر الذي قد يجعل الطفل أقل استخداماً لقدراته التحليلية الابتكارية [٢] .

---

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣١٤ .

(٢) الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢١٨ ، ج ٢ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

جـ - دراسة أمريكية :

قام (ولبر شرام) في الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة استغرقت عـامين من سنة ١٩٥٨ م إلى سنة ١٩٦٠م ، تضمنت عينات كبيرة من الأطفال من جميع سنوات الدراسة تقريباً في منطقـة (سـان فرانسيسكو) وخمس منـاطق أخرى ممـاثلـة في الـولايـات المتحـدة ومنطقتين ممـاثلتين في كنـدا ، إحـداهمـا كان التلفزيون لم يدخلها بعد .

وقد أسفرت البحوث والدراسات عن النتائج التالية :

أولاً - أن التلفـزيـون يـؤثر على الأطفـال تـأثيراً مبـاشراً ، من حيث اضطرارهم إلىالنوم متـأخرين : ممـا يجعلهم يـذهبون إلى المـدرسـة متعبين وغير مهيئين لتلقي الـدروس في يقظـة ، كما أنهم لايـؤدون الـواجبـات المنزليـة كما ينبغي ، ولا يتوفر لديهم وقت للاطلاع والقراءة .

ثانياً - إن مشاهدة التلفزيون سلوك سلبي ، فالطفل لايقوم بعمل إيجـابي ولكنـه يجلس أمـام الشـاشـة يستسلم لهـا ومثـل هـذا التعرض السلبي للمضمـون التلفزيـوني يخلـق شخصيـات سلبيـة كما أنـه يظهر الراشـدين (البـالغين) على الشاشة في ظروف مليئة بـالصراع ، ومفعمـة بـالتنـافس ممـا يؤدي إلى تكوين مفاهيم غير مرغوب فيها لدى الأطفال عن الكبار .

ثـالثـاً - إن التلفزيون يحتوي على برامج من الأفـلام والمسلسـلات المليئـة بالجرائم والقتل والعنف والتمثيل بالجثث والعدوان وغيرهـا من مظـاهر التكيف غير السوي مع المجتمـع . ولا شـك أن مثـل هـذا التعرض المستمر قـد يـؤدي إلى تكوين شخصيات منحرفة ذات قيم معادية للمجتمع [١] .

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٢٧ .

الفيديو والتلفزيون وتعليم الإباحية :

لم يعد خافياً على أحد ما يوحي به التلفزيون من الدعوة إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع ، وتدريب الأفراد على قبول الانحراف الأخلاقي ، واعتباره أمراً طبيعياً ينطوي تحت مسمى (الحرية الشخصية) التي يحاول الإباحيون تفسيرها بالشيوعية الجنسية . وقد جاء الفيديو ليتم الوباء الإباحي ويجعله (شعبياً) بعد أن كان وقفاً على فئات معينة فقدت هوية انتمائها الإنساني وانحازت إلى المجتمعات الحيوانية الدنيا ، وخلعت عنها ربقة الفضيلة والدين تلك الفئات التي تمثلت في أواخر العهود الاستعمارية وأوائل عهود الاستقلال بأولئك الحكام وأعوانهم من أصحاب الثقافات الغربية فكانوا قدوة للناس في الفسوق والفجور حين لم يستوعبوا من ثقافة الغرب وحضارته سوى القذارة واضمحلال الرجولة ، واهتزاز الضمير .

نعم ، جاء الفيديو اليوم بمؤسساته الطاغية ليعمل السيف في جسد الفضيلة بعد أن مهد له التلفزيون سبيله ، وهيأ له طلابه ومريديه ، جاء ليستحوذ على فئات أخرى من المجتمع وليكون غزواً ثقافياً غربياً من نمط جديد لايتجه فقط إلى الحاكمين ، بل يتعداهم إلى المحكومين ، ولا يفترس الراعي وحده ، بل يتعداه إلى الرعية التي قد تتمخض في أي وقت من الأوقات عن رعاة يطاردون إفكه ، ويهزمون جمعه ، ويمزقون أقنعته .

ومما لاشك فيه أن عرض المواقف المشحونة بالجنس على الشاشة الصغيرة تضر بالأطفال والمراهقين خاصة ، ويزداد أثر هذا العامل باختلاف الثقافات ، وبسؤال مدرسي التعليم الثانوي في انكلترا عن الإثارة الشائعة التي تحدثها وسائل الإعلام في سلوك التلميذ ، أكد العديد منهم أن التلفزيون مسؤول عن هبوط المستوى التحصيلي ، وأنه مسؤول عن السلوك الجنسي المبكر ، وأن التركيز على الجنس كهدف في حد ذاته يهدد الزواج كحقيقة اجتماعية . وقد عبر أحد

المدرسين عن ذلك بقوله : لقد أصبح هناك شك متزايد حول الزواج كظاهرة ، فلماذا يتحمل الشاب الضجر والمتاعب لكي يتزوج إذا كان الزواج هو الجنس فقط ،وإذا كان يمكنه الحصول عليه في أي وقت ؟ فإذا كانت هذه شكوى المدرسين البريطانيين ، رغم ما تسود ثقافتهم من مسحة مادية ، فما بالنا نحن المسلمين ؟ [١] .

ويضيف جيري ماندر إلى الصورة ما يوضح ملامحها ،ويبين حقيقتها حين يتهم التلفزيون بأنه يرفع الأطفال إلى محاكاة الرذيلة التي تبدو على شاشته ويعلمهم الإباحية فيقول : (هل تنبهت يوماً أنك قمت بتقبيل شخص ما كا رأيت القبلة الأولى مرة على شاشة السينما أو في التلفزيون ؟ وإن ولدىّ يعبران عن هذا بـ (القبلة التلفزيونية) ويريان أنهما محظوظان لأنهما استطاعا ملاحظة وجود قُبَل تلفزيونية وأنواع أخرى ، ومعظمنا لم يقم بهذا التمييز حين جلوسنا في غرف مظلمة ، أو في مسارح كما يفعل الأطفال ، إن قبلة الوسط الفني أصبحت صورتنا للتقبيل لأننا لم نر كل ذلك التقبيل الحقيقي . وبعد ذلك نجد أنفسنا نقوم بذلك النوع من القبل) [٢] .

وكثير من مشاهدي التلفزيون يعترفون حقيقة بالموحيات الإباحية التي تكمن وراء كثير من صور الدعاية للمنتجات التي تتزاحم على الشاشة الصغيرة وتحشى بها الأدمغة . فهذا العطر الباريسي المثير لشهوة الرجال تتضمخ به تلك المرأة التي تسير في الشارع على غير مرأى من الرجال ، فإذا ما تخطتهم وبعدت عنهم نمَّ عنها عطرها فنبه إليها نظراتهم الجائعة التي تتبعها خطوة خطوة ، وحركة حركة . أليس في ذلك إيحاء هادف ؟ أم أن الأمر في نظر بعض الناس لايعدو كونه إغراء بالسلعة تحقيقاً لغرض تجاري بحت ؟ نحن لا ننكر

---

(١) الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢٢٠ ج ٢ .

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ١٩٦ .

الهدف التجاري للإعلان ،وهو تحقيق الربح عن طريق دفع المستهلكين لشراء هذا الصنف والثقة به .

ولكن ليس بمستطاع أحد أن يدافع عن الآثار المدمرة للأخلاق الناجمة عن مثل هذا الإعلان ، أليس في هذا الإعلان وأمثاله دعوة فاضحة للفتيات المراهقات أن يحتذين خطا تلك الممثلة المأجورة التي قامت بأداء الدور ، وشرحت الوسيلة التي يجذبن بها الرجال ، ويفسدن اتزانهم المعهود ؟ إن هذه المرأة التي تقوم بهذا الدور الدعائي هي مما يسمى (الوسط الفني) الذي تجهد أجهزة الإعلام والمؤسسات المساندة لها في تقديمه للمشاهدين والمستمعين على أنه المثال القدوة لكل من يريد أن يحيا سعيداً ترمقه المقل ، وتهفو إليه القلوب ، وتهوي إليه الأفئدة .وليس خافياً على مطلع أن هذا الوسط يعتبر أكثر طبقات المجتمع شقاء ، وتفككاً ، وتعرضاً للأمراض النفسية والجسمية ، فضحكات أهله صناعة ، وبسماتهم أوامر من المخرجين ، وأزياؤهم ملك لشركات الإنتاج . ومن أتيح له مشاهدة تصوير أحد الأفلام أدرك تماماً ما عليه هذا الوسط من شقاء وتعب وأوهام ، وما نقرأه بين الحين والآخر عما يدور في أقبيه الفن يدعونا أن نحمد الله على العافية ،ونرجوه سبحانه أن يهديهم الصراط المستقيم .

ويشير (ب. فوجدولاس) إلى أن المعلومة المرئية التي يتلقاها المشاهد من خلال السينما أو التلفزيون أو الفيديو تثير في المشاهد المتعلم المثقف ، والمشاهد الأقل تعليماً وثقافة ، ردود فعل إذ أنها تحرك المستويات السفلية للنفس على حساب المستويات الأكثر عقلانية ، وأكثر من كل هذا وذاك فإن هذه المعلومات المصورة تتميز بقدرتها على الإبهار ، وعلى إضعاف مقاومة الإنسان تجاه فكرته عن العالم الذي حوله [١] ولا عجب في ذلك لأن تحريك الدوافع

(١) مجلة الثقافات ، ص ٢٤٠ ، العدد الثاني ١٩٨٣ الطبعة العربية .

الدنيا في النفس والجسد أسهل من تحريك الدوافع السامية وأسرع كما تبين لنا من قبل ، ولأن المدخل إلى كل شر قد يكون من بوابة الجنس أو ما شاكله من الدوافع السفلية في تركيب الكائن البشري .

الآثار الاقتصادية للفيديو والتلفزيون

ما من شك في أن للتلفزيون والفيديو أثراً خطيراً على اقتصاد الفرد والجماعة ، فهما أصلاً سلعة ليست برخيصة ، وابتياعهما يعطي دافعاً قوياً للنظام الاستهلاكي كما يرى جيري ماندر .

الخطوة الأولى نحو الاستهلاك الإسرافي :

لعل الأسر التي تقتني مثل هذه الأجهزة تشعر منذ أن تقوم بدفع ثمنها بانتقالها إلى مرحلة جديدة في نمط جديد للحياة اليومية ، ومادامت اللحظات الأولى لامتلاك الجهاز تقترن بدفع مبلغ من المال ليس باليسير بالنسبة لمعظم الأسر على امتداد وطننا الإسلامي الكبير . فإن هذا يعني ـ بالطبع ـ تدريب هذه الأسر على اقتحام مجال الإسراف الذي تبدو أهم ملامحه في تلك الفوضى التي لا تعرف توازناً بين الحق والواجب ، والأهم والمهم ، والضروري والكمالي .

فمنذ اللحظات الأولى لاقتناء الجهاز تأتي لوازمه ومقتضياته ، وتبدأ الأسرة رحلتها الجديدة في الحياة ، وتمضي في تغيير ذاتها يوماً بعد يوم موسعة صدرها ، وفكرها ، وجلدها ، لحاجات جديدة لم تكن لتدور في خلدها ، بل هي في غنى عنها .

والفيديو سلعة جديدة وهي مرتفعة الثمن ، والتلفزيون سلعة أيضاً ليست مجانية ولا قليلة الثمن ، وثمنها يشكل عبئاً ثقيلاً على السواد الأعظم من الأسر المسلمة التي تكون عادة في أشد الحاجة لمثل هذه المبالغ لتأمين ضرورات حياتها .

فتعالوا بنا إلى بعض هذه الأسر التي تقتني تلفزيوناً أو فيديو لنشهد عن كثب المواضع الضرورية التي كان ينبغي أن تتوجه إليها هذه الأموال بدلاً عن شرائها الذي ضرره أكثر من نفعه !!! فمن المألوف في مثل هذه الأسر أن أكثر

مساكنها تحتاج إلى مرافق ضرورية شرعية للأسرة ،ولكنها لا تجد المال الذي يمكن توجيهه لهذه الغاية .

أليس من الأجدى في مثل هذه الحالة أن نوجه ثمن التلفزيون والفيديو لتدارك النقص أو ترميم المنهار مما يساهم في إسعاد العائلة وتجنيبها بعض متاعب الحياة ؟

أليس إذا وجهنا هذه المبالغ لتزويج ابن للأسرة أو ابنة ، أوقمنا بدفعها قسطاً أولياً ثمن أرض تفيد منها الأسرة مستقبلاً ، أو اشترينا به آلة خياطة تعمل عليها البنات في البيت أو الزوجة ، أو لو اشترينا آلة حياكة . أليس ذلك أجدى وأنفع من بذلها لأدوات لا تغني عن هذه الحاجات ، ولا تعود بنفع ذي بال على الأسرة ؟

ألم يكن بالمستطاع توسعة مطبخ المنزل ، أو جعل دورة المياه لائقة بالإنسان المسلم لتظل طاهرة نظيفة ، أو توسعة غرفة نوم ، أو إضافة سرير جديد للأسرة لنفرق بين الأبناء في المضاجع ، ألم يكن بعض ذلك أجدى وأنفع للأسرة المسلمة في دينها ودنياها ؟ ألم يكن بالإمكان اقتناء مكتبة منزلية متكاملة من الكتب المفيدة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب والاقتصاد وكتب الأطفال وقصصهم وغير ذلك مما يفيد جميع أفراد الأسرة ، ويأخذ بأيديهم إلى مراقي الحياة ذات القيمة والمغزى ، ليبقى كل هذا بعدئذٍ كنزاً مدخراً ؟

أليس حريا بنا ، إذا كان كل ذلك محققاً لدينا ولا نقص لدينا في أسباب الحياة الدنيا ، أن نتوجه بهذه الأموال لذوي قربانا ممن يحتاجون إليها في ضروريات حياتهم مما يساعدهم ذلك في دينهم ودنياهم ؟ فإذا كان ذوو قربانا ممن أنعم الله عليهم وأغناهم عنا وعن غيرنا من خلقه ، أليس بالمستطاع أن

نرصد هذه الدراهم لغريم أو محتاج أو معسر أو فقير ، والإسلام يعلمنا أنه : « من كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ... » .

ولو ذهبنا نعدد وجوه الإنفاق لوجدناها تستغرف كل مناحي الحياة ، وتشمل كل بني آدم ، بل كل ما ومن دب على الأرض .

وإني لأتعجب من المسلم الذي يمتلك المنزل ذا الغرف الكثيرة العدد ، والتي تفوق حاجة أسرته ، وأخوه المسلم يعيش مع زوجته ، وأولاده في غرفة واحدة ، أو عشة متهالكة ، كأنهم أكداس !! أيهنأ له عيش ، وقد أقام الله الأخوة على أسس من التكافل المعاشي ؟ فكم من أسرة مسلمة تمتلك العمائر والمنائر ولها إخوة في الدين لا يجدون من المسكن ما يساعدهم على القيام بالتوجيهات الدينية !! وكم من أسرة مسلمة تمتلك من الثروات مالا يعد ولا يحصى ، وكثير من أبناء المسلمين لايجدون سبيلاً إلى زواج يعفون به أنفسهم ويدرأون عنهم وساوس الشيطان ، ولا تتاح لكثير منهم فرصة الالتحاق بمعهد أو جامعة يتلقون فيها علوماً تنفعهم في دينهم ودنياهم ؟ ولو استغنت هذه الأسرة الغنية عن بعض ترفها ومنه التلفزيون والفيديو ، أو تذكرت ولو للحظة واحدة أنها سوف تسأل عن حق مال الله المضيع ، ولو اعتبرت بكل الذين سبقونا في الرحيل عن هذه الدنيا وتفكرت في الذي حملوه من دنياهم لما اثّاقلت إلى الأرض ، ولأسرعت إلى إشاعة الخير في إخوانها من المؤمنين ولو ببعض فضول أموالها .

وليعذرني القارئ الكريم على هذا الاستطراد ولا يفهمن من ذلك أني ألقي بتبعة ذلك التقصير كله في الحقوق والواجبات على التلفزيون والفيديو ،ولكنهما على أية حال أحد الجوانب المهمة في هذا الموضوع لأنها اليوم منتهى غاية اللاهين عن ذكر الله ، المضيعين للحقوق التي فرضها الله على

المؤمنين ووزعها فيا بينهم .

التلفزيون والفيديو يحرضان على الاستهلاك :

يعتبر الفيـديو والتلفزيون محرضين قويين على الاستهلاك بما يمتلكانـه من الثقة لدى معظم المشاهدين ، وبما يبثانـه من البرامج المعـدة خصيصاً لتوجيـه الجمهور ودفعه إلى الاستهلاك ، وما البرامج الـدعـائيـة سوى الـدليل على ذلـك وقد ألمحنا من قبل إلى أن اقتناء الجهازين أو أحـدهمـا يعـد إشـارة واضحـة إلى تخطي الأسرة حدود الاقتصـاد في المعيشـة إلى الانغماس في حمى الاستهلاك التي يعمل منتجو السلع على تعميها وإشاعتها .

التلفزيون والفيديو والديون الخارجية :

إذا كان الفيـديـو والتلفـزيـون يدعوان إلى زيـادة الأعبـاء على أربـاب الأسر ،وخـاصـة أولئـك الكادحين المتعبين الـذين يمثلـون السـواد الأعظم من الشعوب الإسـلاميـة فـإن هـذا ينعكس بـدوره على الميزان التجـاري لـدولهم ، ويضعهم تحت رحمـة الـدول الاستعمارـيـة الغنيـة التي تقـوم بتقـديم القروض الربوية لحكوماتهم مما يضاعف العبء ويثقل كاهل الأمة ويدخلهم في متـاهـة الولاء للغرب أو الشرق تحت مسميات خادعة كاذبة .

إن أكثر بلاد المسلمين تنوء بالديون الثقيلة لصـالح الـدول العظمى ، ومـا نسمعه اليوم عن مقدار ديون حكومات الشعوب المسلمة شيء مخيف حقـاً ، فهو يبلغ عـادة عشرات الآلاف من ملايين الـدولارات ، والتي تحـاول أجهزة إعلام هذه الحكومات عادة التخفيف من هول المصاب حين تستعمل التعبير الجـديـد على أسماعنا (المليار) وهو يساوي (ألف مليون) .

فلو أننا وجهنا المبـالغ الطـائلـة لأثمـان أجهزة التلفزيون والفيـديو في بلاد المسلمين لإنشاء المشاريع البناءة لضربنا عصفورين بحجر واحد كما يقال :

١ ـ زيادة الإنتاج بإنشاء المشاريع الزراعية وغيرها وتطوير ما لدينا منها .

٢ ـ تخفيض الاستهلاك ، وذلك بانحسار الموجة الداعية إلى كثرة الاستهلاك وسد الباب على أنوع جديدة من السلع الاستهلاكية غير الضرورية كالعطور الباريسية ، أو الجبنة الهولندية أو أغاني العاهرات ... إخ .

إن بلداً واحداً من بلاد المسلمين كمصر مثلاً يقع تحت عبء ثقيل من الديون الخارجية للدول العظمى يقدر بعشرات المليارات من الدولارات ، ولو أجرينا حساباً تقريبياً لثمن ما يمتلكه الشعب المصري وحده من هذه الأجهزة لوجدنا العجب العجاب ففي مصر حسب التقديرات الأولية ولغياب الإحصاء الدقيق ، مالا يقل عن :

أ ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ عشرة ملايين جهاز عادي أبيض وأسود .

ب ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٥ خمسة ملايين جهاز تلفزيون ملون .

ج ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ مليوني جهاز فيديو .

ولو أجرينا عملية حسابية على متوسط ثمن هذه الأجهزة مع ملحقاتها لوجدنا الآتي :

التلفزيون العادي : ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ × ٢٠٠ جنيه مصري = ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ ملياران اثنان من الجنيهات المصرية .

التلفزيون الملون : ٠٠٠ ٠٠٠ ٥ × ٤٠٠ جنيه مصري = ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ ملياران اثنان من الجنيهات المصرية .

أجهزة الفيديو : ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ × ٢٠٠٠ جنيه مصري = ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ أربعة مليارات جنيه مصري .

فيكون مجموع أثمان هذه الأجهزة ٢ مليار جنيه + ٢ مليار جنيه + ٤

مليارات جنيه = ٨ مليـارات جنيـه مصري وهـذا المبلغ كما نرى لايستهـان بـه وهـو بـلا شـك جـزء من الـديـون المترتبـة على مصر لأن هـذه الأجهـزة كلهـا مستوردة بالعملة الصعبة .

ولـو أضفنـا إلى هـذه المبـالـغ رؤوس الأمـوال المستخـدمـة في تجـارة هـذه الأجهزة وملحقاتها ومستوجباتهـا لأدركنـا مـدى ذلـك المـال المسخر في أمور لا تزيـدنـا قوة ولا هيبـة في عيون أعـدائنـا هـذا فضلاً عن الأعـداد الهـائلـة من العاملين في حقل هذه التجارة مما يستوجب من العقلاء فينا التنبيـه إلى مـدى الخطر الناجم عن ذلك .

إن ثمن الفيـديـو الـواحـد يستصلـح مـالا يقـل عن ١٠ عشرة دونمـات من الأرض الصحراوية في مصر وهي تعـادل ٢٫٥ فـدان تقريبـاً . إن ثمن الفيـديو الواحد يؤمن الحياة الكريمـة لأسرة مسلمـة ويزيـد من رقعـة الأرض الزراعيـة ويساعد على زيادة الدخل القومي ، ويخفف من الأعبـاء المترتبـة على خزينـة الدولة ، ويقطع الطريق على مروجي الـدعوة إلى تحـديـد النسل في مصر وفي غيرها من بلاد المسلمين .

ولا يخفى على أحد تلك الطاقة الكهربـائيـة الهـائلـة التي تستهلكهـا هـذه الأجهزة والتي تكفي لتشغيل عشرات بل مئات المصانع والمعامل مما نحن بحاجة مسيسة له .

وهكذا تبين لنا بشكل واضح أن لجهازي الفيـديو والتلفزيون أثراً واضحـاً سلبياً في اقتصاد الفرد والجماعة ، ومن الخير لنـا ، أفراداً وأمـة ، أن نقـدم الأهم على المهم ، والضروري على الكمـالي ، والنـافـع على الضـار ، وأن لانصـدق أن مقالة اللحاق بركب التقدم تعني الاستمساك بأسوأ ما لدى الأمم من التطلعـات السفلية التي ما هبت رياحها على قوم إلا حـاولت أن تقتلع منهم جـذور الخير والطهر والكرامة .

الفيديو بعيون المفكرين

الفيديو هذا الخطر القادم :

طرح الشاعر المصري الرقيق (فاروق جويدة) على صفحات جريدة الأهرام القاهرية قضية الفيديو للحوار . قال الشاعر تحت عنوان (الفيديو هذا الخطر القادم) : (منذ سنوات ليست بالبعيدة تسرب إلى بيوتنا زائر جديد اسمه أشرطة (الكاسيت) ويومها لم يكن أحد فينا يتصور أن يصبح الكاسيت أكبر تجارة في مصر الآن تحمل معها عشرات الأصوات القبيحة والكلمات الهابطة التي أفسدت أذواق أجيال كاملة .

واليوم يتسلل إلى بيوتنا زائر جديد اسمه (الفيديو) وقد يسأل البعض وأين تكون مشكلة (الفيديو) من مشاكل التموين والكتاب والمواصلات ومجاري القاهرة ؟ والحقيقة أن مشكلة (الفيديو) سوف تتضح آثارها في المستقبل القريب إذا لم تكن قد بدأت بالفعل خاصة إذا أدركنا أن مئات بل آلاف المقاهي في ريف مصر ومدنها وقراها الآن تنتشر فيها أجهزة الفيديو التي تعرض أفلام الجنس بعيداً عن رقابة وزارة الثقافة ومصنفاتها الفنية .

وإذا كانت الرقابة تمنع الأفلام في دور السينما ، أو تحذف بعض مشاهدها فإن أفلام الفيديو تتسرب دون أن يراقبها أحد ، بل إن عشرات الأفلام الممنوعة رقابياً تباع على الأرصفة وفي ظل نسبة أمية تتجاوز ٧٥٪ تصبح المشكلة أعمق وأخطر ، فما ذنب الفلاح المصري الذي لم يتعلم القراءة والكتابة لكي نحمله مرة واحدة عبر أجهزة الفيديو ليشاهد أفلام الجنس التي أنتجتها هوليود وباريس وهونغ كونغ ، والسؤال الآن ....

هل هنا رقابة على أفلام الفيديو التي تدخل مصر ؟ هل هناك متابعة لمحلات البيع والتأجير في المدن الكبرى والمحافظات وهي تنتشر الآن بالآلاف ؟

وهل هناك إحساس بالمسؤولية تجاه المقاهي التي تفتح أبوابها بعد منتصف الليل لتقدم لزوارها في المدن والقرى وجبة شهية من أفلام الجنس ؟

إن الفيديو يمثل اليوم ظاهرة من ظواهر العصر الذي نعيش فيه ولا شك في أن لهذه الظاهرة جوانبها الطيبة ثقافياً وعلمياً وترفيهياً ، ولكننا في هذه القضية نحاول أن نقترب من الجوانب الضارة وهي بلا شك ليست بسيطة . ومن أراد أن يعرف حدودها من الأجهزة المسؤولة في وزارتي الداخلية والثقافة فليذهب إلى المقاهي التي تعرض عشرات الأفلام الرخيصة ولا يمنعها أحد من أجل هذا نطرح هذه القضية للحوار) [١] .

الثقافة بين الفيديو والكتاب :

واستجابة لدعوة الشاعر جويدة كتب الدكتور عاطف العراقي رئيس قسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة يقول : (نحن في عصر أغلب ما فيه يتسم بالبعد عن الطابع الإنساني والبشري وكأننا اتفقنا على مؤامرة ضد الإنسان ، يقوم بها الإنسان نفسه كالقطة التي تأكل أولادها ، قد يقال إن أجهزة الفيديو يديرها الإنسان ، وهو صانع البرامج التي يتم تسجيلها عن طريق الفيديو .

وإذا كانت البرامج تعد برامج ثقافية ، فهنا يعد الفيديو ضرره أكثر من فوائده ، فلا ثقافة بدون الكتاب ، وسيظل الكتاب إلى أبد الآبدين هو سيد الموقف إذا أردنا الثقافة الجادة ، الثقافة الأكاديمية ، أما إذا أردنا بها الثقافة السطحية ، ثفاقة القشور ، ثقافة أشباه المثقفين فهناك تكون فوائد الفيديو .

وليصدقني القارئ إذا قلت له إن الفيديو كالتلفزيون من حيث مستقبل الثقافة وحاضرها . انظروا إلى أحوال من يقال عنهم إنهم من المثقفين عن

---

(١) الأهرام ٢٣ / ٨ / ١٩٨٤ .

طريق التلفزيون ، إنهم في حقيقة الأمر ليسوا مثقفين ، بل أشباه مثقفين .

إن من يحاول البحث عن الثقافة عن طريق الفيديو ، ويتصور أن الفيديو سيكون وسيلة ثقافية جادة ، فوقته ضائع عبثاً ، إنها ثقافة ترضي السذج من الناس الذين يقفون عند المسطح والظاهر ولكنها ليست ثقافة بالمعنى الدقيق لكلمة (ثقافة) .

لقد أجريت دراسات حول أكثر من مخترع من المخترعات وقد ظهرت تلك الدراسات في الدول الغربية نفسها ، فنجد أن أكثر من دراسة على سبيل المثال حول خطر الكومبيوتر على الانسجام العائلي ، ونجد أكثر من دراسة حول أخطار التلفزيون ، والفيديو أيضاً .

إن الفيديو شأنه في ذلك شأن التلفزيون إذ يجعل الفردمنا في موقف سلبي ، فهو يشاهد الصور التي تحدث أمامه ، ولا يكون في موقف إيجابي ، بل إن الفيديو في حالة انتشاره سيكون وسيلة للقضاء على الإبداع والخيال ، ولا يمكن أن ننتظر إبداعاً من فرد يمثل الموقف السلبي ، موقف القابل لما يشاهده من مجموعة من البرامج المسجلة عن طريق الفيديو .

والفيديو فيما أرى من جانبي يعد خطراً على الثقافة في الحاضر والمستقبل معاً ، بل إن خطره يتجاوز بمراحل خطر التلفزيون ، إن البرامج الثقافية في التلفزيون قد تخضع لنوع من المراجعة ،وقد يختار المتحدثون في تلك البرامج بكل دقة وموضوعية ، وأنا أقصد التلفزيون ببرامجه الثقافية في الدول الغربية ، ولا أقصد ما يقال عنه برامج ثقافية في تلفزيون مصر والعالم العربي ، لأنه لا صلة بين التلفزيون في عالمنا العربي والثقافة الجادة من قريب أو من بعيد .

أقول إن البرامج الثقافية في التلفزيون إذا كانت تخضع للمراجعة ، بل بعد إذاعتها يمكن للمشاهدين التنبه إلى ما قد يقع فيها من أخطاء ، فإن الحال

بالنسبة للفيديو ليس كذلك ، فقد توجد أشرطة كثيرة ، بل هي موجودة فعلاً فيها كمٌّ كبير من الأخطاء ، ومن الصعب تلافي تلك الأخطاء .

فالفيديو إذن فيما أرى يعد خطراً على ثقافة الجيل الحاضر ، وثقافة الأجيال التي ستأتي مستقبلاً ويوم أن تتلقى تلك الأجيال ثقافتها عن طريق الفيديو ، فعلى الثقافة السلام)[١] .

الفيديو مشكلة أخطر من مشكلة المخدرات :

واعتبر الأستاذ صلاح طاهر الفيديو أشد خطراً من المخدرات فقال : (إن مشكلة الفديو في عصرنا الحاضر بمستوياته (ليست الهابطة وحسب) ولكن بمستوياته المدمرة للبناء السوي للفردوالجماعة على السواء .

إنها مشكلة أخطر من مشكلة المخدرات ، حيث توضع بذور الهدم في العقول على كل المستويات والأعمار وتنمو داخل تلك النفوس التي تواظب على منهلها السام ، فينشأ هؤلاء الأفراد نشأة غير سوية ، ويتصرفون تصرفاً غير حضاري ، ويكونون مجتمعاً مريضاً مستغرقاً في غيبوبة الغرائز ، في مستوياتها البالغة الهبوط بكل مغرياتها المخدرة .

ويمكننا أن نتصور كيف يكون هذا النوع من المجتمع الذي ينجذب إلى هذا الطراز من التسلية المدمرة للروح وللفكر وللحضارة . والخطورة هنا هي كيف يمكن تصحيح هذا الاتجاه الرهيب في الإشارة إلى تلك الأنواع من الفيديو وكيف يمكن التحكم فيها ، إنها قضية خطيرة تحتاج إلى تضافر الجهود في مختلف الميادين على أساس من الفهم والوعي الصحيح السليم ،ونحن بصدد بنائنا الحضاري الآن)[٢] .

---

(١) الأهرام ٦ / ٩ / ١٩٨٤ .

(٢) الأهرام ١٣ / ٩ / ١٩٨٤ .

حقائق عن الفيديو :

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ حسن علي مقدم البرامج الثقافية في الإذاعة المصرية يقول : (أرقب عن كثب ، هذه الأيام ، ما ينشر وما يقال عن هذا القادم العجيب .. الفيديو ! وقبل أن أتحدث عنه سأورد خبرين نشرتها إحدى الصحف القومية في مصر .

الأول ـ ملخصه .. أن ناظر إحدى المدارس ذهب إلى صاحب مقهى يرجوه ألاَّ يقدم أفلام فيديو في الصباح لأن المدرسة خلت تماماً من التلاميذ !! ولما لم يستجب له صاحب المقهى طلب معاونة البوليس .

الثاني ـ أن أحد الآباء الذين يقتنون جهاز فيديو عاد متأخراً مساء يوم ، فوجد أولاده جميعاً يشاهدون فيلماً من أفلام (البلو سكس) أفلام الجنس الكامل ، فثار وحطم الجهاز .

هذان الخبران ـ في تقديري ـ هما ناقوس خطر يدق للآثار السيئة الناتجة عن سوء الاستخدام وسوء التوظيف للامكانيات التكنولوجية الحديثة ، ثم هل يمكن القول إن جهاز الفيديو جاء لهذه الأغراض الرخيصة .

ونعجب أشد العجب حين تطالعنا الإحصاءات الرسمية عن عدد أجهزة الفيديو في دول العالم الثالث ومن بينها الدول العربية . انظر مثلاً إلى عدد أجهزة الفيديو في دول الخليج السبع (الإمارات ـ السعودية ـ الكويت ـ العراق ـ البحرين ـ عُمان ـ قطر) تجد أن في هذه الدول خمسة ملايين جهاز فيديو ، أي ما يوازي بالضبط عدد الأجهزة الموجودة في الولايات المتحدة ،ويفوق عدد الأجهزة الموجودة في كل من فرنسا وبلجيكا وبريطانيا مجتمعين ويزداد العجب حين نعلم أن هذه الدول المنتجه للفيديو لا تستخدمه إلاَّ في أضيق الحدود ، وفي المعاهد العلمية ومعاهد البحوث ، والمعامل ،

والكليات العلمية .. إلخ ، ونحن نشاهد عليه الساقط من الأفلام العربية وأفلام الجنس .. !

ثم تأمل وقارن : يوجد في فرنسا ١٠ أجهزة فيديو لكل ألف من السكان ، بينما في السعودية ٧٥٠ جهاز لكل ألف ، وفي الكويت ٤٩٠ جهاز لكل ألف من السكان أيضاً) (١) .

الفيديو خطر يتسلل بنعومة إلى بيوتنا :

وشارك الدكتور عبد العزيز حمودة في هذا الحوار بقوله : (هناك أخطار تتمثل قدرتها التخريبية في نعومتها ،وفي عدم إدراك الناس لخطورتها أصلاً ، ومن أكبر الأخطار التي تهدد حياتنا الثقافية في السنوات الأخيرة خطر ناعم يتسلل إلى كل بيت وينضم إلى كل أسرة ، وهو جهاز الفيديو . ومن تحصيل الحاصل بالطبع أن نقول إن الخطر لايكمن في جهاز الفيديو ذاته كواحد من انجازات التكنولوجيا الحديثة والتي تتحرك في وثبات أكبر بكثير من أن يلاحقها الإنسان البسيط وخاصة في العالم الثالث .

وفي نفس الوقت فإننا يجب ألا نخدع أنفسنا لنعلق المسؤولية كاملة على الرقابة على المصنفات الفنية مثلاً ، فليس باستطاعة أية رقابة في العالم أن تمنع الغزو الثقافي من الخارج أو الداخل منعاً تاماً ، ويكفي أن نتصور أنه يكفي تسرب نسخة واحدة من فيلم مّا ليطبع منه في مسكن بسيط عشر نسخ في اليوم على الأقل تتضاعف بصورة مذهلة في بضعة أيام لنعرف أن الرقابة الحقيقية تكمن داخلنا نحن من ناحية ، وداخل الصمود الثقافي القومي من ناحية أخرى) (٢) .

---

(١) الأهرام ١٣ / ٩ / ١٩٨٤ .

(٢) الأهرام ٢٠ / ٩ / ١٩٨٤ .

القيم الإسلامية بين الفيديو والتلفزيون

يذخر الإسلام بمجموعة لا تحصى من القيم الرفيعة ، التي منحها الله هذه الأمة القائدة الرائدة ، وكلفها بالتمسك بها ، وإذاعتها ، والدعوة إليها ، فما من ناحية من نواحي الحياة ، ولا طرف من أطرافها إلاّ له نصيب من هذه القيم حتى ليستطيع المرء ، من غير أن يجانبه الصواب أن يقول بأن هذه القيم تستغرق الحياة بما فيها من قول وعمل ، وفكر وسلوك ، وعقيدة وعبادة ، وسلم وحرب ، وفقر وغنى ، إلى ما هنالك من نواحي متعددة يصعب حصرها ، وتجهد العقول في تحديد نهاية لها . فما هو نصيب هذه القيم ، وما حظها من برامج التلفزيون ، وأفلام الفيديو ، أم أن ما يحدث في الواقع مغاير تماماً لهذه القيم الرائعة ؟

إن المتتبع لبرامج التلفزيون في معظم البلاد الإسلامية ليصاب بخيبة أمل مريرة لما يشاهده من معاول الهدم التي تتوجه إلى القيم الإسلامية لتقيم على أنقاضها قيماً غريبة نكدة تفترس الخلق والدين ، وتعبث بلبنات تلك الحضارة الشامخة التي أقامها الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً ، وأرسى قواعدها شرقاً وغرباً ، فباتت ولها جذور عميقة الغور في تلك النفوس التي ما فتئت منذ وقف بلال مؤذناً بالنداء الخالد : الله أكبر ، تستمع إليه صباح مساء ، موقنة بأنه لاقيمة لحياتها ولا لوجودها ، بل لا معنى لدبيبها فوق الأرض إن لم تكن مسلمة عابدة ، تعتز بانتمائها لأشرف الدعوات ، وبانتسابها لخير الأمم .

فهل باستطاعة المؤسسة التلفزيونية في العالم الإسلامي أن تنهض حقيقة بالدور الذي يفرضه عليها الإسلام وهي على ما هي عليه من الواقع الذي ما يزال بعيداً جداً عن قيم الإسلام وعقائده وتصوراته ؟

إن بعضاً من برامج التلفزيون تفيد المؤمنين فتزيدهم إيماناً على حين نجد

برامج أخرى تمنح اللصوص والأفاكين حذقاً في مهنتهم وتقدماً في مسيرتهم ، وهذا ما لا يُقبَل عند التصدي لبناءٍ اجتماعي صحيح يقوم على تنمية الاتجاهات الحسنة الصالحة ، وتقويم الاعوجاج ، ومنح الثقة لمن فقدوا الأمل في مقدرتهم على الحياة النظيفة في ظلال الإيمان والإسلام .

إن افتتاح برامج التلفزيون واختتامها بآيات من القرآن الكريم لايغفر أبداً لتلك البرامج الأخرى التي تفوح منها روائح الفسق والعهر والتفلت ، لما تحدثه في نفوس المشاهدين ، وعقولهم وسلوكهم من التخريب المؤكد الذي نلمس روحه تسري من خلال ما نسمع كل يوم من فجور وانتهاك للحرمات ، وسرقة للأموال ، وزنا ، واغتصاب ، وقتل بشع لم يستثن حتى الأمهات والآباء من الموت على أيدي أبنائهم وفلذات أكبادهم .

الإعلام المرئي وتحديد القيم :

لقد غدا التلفزيون محدداً للقيم التي ينبغي علينا الإيمان بها والحرص عليها ولو كانت هذه القيم أخسَّ ما سجله تاريخ البشرية من الصفات المرذولة الممقوتة التي كانت تطارد أينما حلت لأنها سبة في جبين الإنسان الذي كرمه الله ، وعلّى منزلته بين الخلائق .

ومع ذلك فإن التلفزيون يقدمها على أنها المثل المؤدية للنجاح والسعادة والثراء .

فالنفاق حل مكان الكياسة والفطنة ، والغدر أضحى أولى من منزلة الوفاء ، والوقاحة أقيمت على أنقاض الشجاعة ، والحيلة والمخادعة صارت أجدى من العمل والمجالدة ، بل كل شيء حسن ، برز نقيضه بعد أن ألبسوه ثوباً براقاً يشد إليه الأنظار ليكون الغاية التي يحيا الإنسان لتحقيقها .

فعندما يصور التلفزيون شخصيات معينة ، ويبين مشاعرهم ، ويقدم

قيمهم بأسلوب درامي ، فإن الأطفال ، بل الكبار أيضاً ، يكونون على استعداد لاستيعاب الأفكار والقيم عاطفياً ، ففي المسلسلات التلفزيونية نلاحظ أن الشرير أو الوغد يحصل على كافة المزايا : الأرض والمال والمنازل والحدائق والنساء ، وكل ذلك نتيجة لاعتداءاته وغلظته ، فالنمط السلوكي البراق ـ إذن ـ هو النمط المعادي .

ويؤدي التعرض المستمر لبرامج التلفزيون وأفلام الفيديو ، إلى تكوين نظرة كلية شاملة للحياة وتقويم غير مرغوب فيه لها ، فالنظرة الموضوعية للحياة ، والحلول طويلة الأجل ـ وهي الحلول العلمية عادة ـ تصبح عديمة الجدوى ، في حين أن العنف هو الحل الأمثل لمشكلات الحياة ، وبذلك يتحول التلفزيون إلى مدرسة لتعلم السلوك العدواني [١] لأنه يغرس في المجتمع قيماً تغاير تلك القيم التي ارتضاها الله لخلقه لتستقيم بها حياتهم ، وتستمر مسيرتهم على هدى من ربهم .

ويتحدث الدكتور نور الدين محمد عبد الجواد عما شاهده من برامج تلفزيونية في دول الخليج العربي ، فيقول : (إن الملاحظات المبدئية تؤكد أن العديد من الأفلام والبرامج التي تعرض على الشاشات الصغيرة في العديد من الدول الخليجية تتنافى وقيمنا الإسلامية ، بل تتنافى وأهدافها هي . لقد شكا العارفون في الدول المصدرة (للأفلام) من تأثير هذه الأفلام على سلوك أطفالهم لأنها مثيرة للعنف ، فكيف نقبلها نحن وكيف نعرضها على شاشاتنا الصغيرة لتنفذ منها إلى عقول الصغار والكبار معاً ؟ ثم كيف نقبلها نحن ، والعنف في ثقافتنا غير العنف لديهم ؟ العنف لديهم مرتبط بفلسفتهم المادية ، والعنف لدينا يحدد الإسلام أشكاله ومفهومه ، ففي الإسلام : السلام ، المودة ، الرحمة، ومساعدة الضعيف والمحتاج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ.

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٣٢ .

ولا يأمرنا الإسلام بالرفق بالمسلمين وعامة البشر فحسب بل يأمرنا بالرفق بالحيوان أيضاً ، ففي كل ذات كبد رطبة أجر .. فأين هذا كله من أفلام المصارعة ، ورعاة البقر ، والقذف بعبارات واضحة أو بطريقة خفية ؟ أعتقد أن البرامج الطافحة بالعنف ، ومنها أفلام المصارعة وبعض المسرحيات ، أعتقد أن كل ذلك يتنافى وأهداف الإعلام في العديد من الدول الخليجية ، ومنها المحافظة على المبادئ الأخلاقية والذوق والجودة النوعية للبرامج الإذاعية بحيث تتفق مع روح الشريعة الإسلامية)[١] فإذا كانت هذه هي حال المؤسسة التلفزيونية في دول الخليج ردء بيت الله الحرام وسياجه فما بالك أخي القارئ بما عليه المؤسسة التلفزيونية في غيرها من بلاد العرب والمسلمين !!؟ إن برامج التلفزيون في دول العالم الإسلامي تتطلب من الإنسان أن يكون له قلبان في جوفه : واحد للخير ، والآخر للشر ، ونحن نعلم بأنه : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾[٢] بل هو قلب واحد عليه أن يتلقى الخير ويعرض عن الشر ، إذ (لايملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر ، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث ، ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع .. فهذا الخليط لايكوّن إنساناً له قلب ، إنما يكون مزقاً وأشلاء ليس لها قوام ! إنه قلب واحد ، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه ، ولا بد له من تصور كلي واحد للحياة وللوجود يستمد منه ، ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم ، ويقوم به الأحداث والأشياء وإلا تمزق وتفرق ونافق والتوى ، ولم يستقم على اتجاه)[٣] .

---

(١) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ص ٢١٢ ج ٢ ، إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج .

(٢) الأحزاب آية ٤ .

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ص ٢٨٢٣ .

الدعاية التلفزيونية والقيم الإسلامية :

إن أكثر فقرات البرامج التلفزيونية جذباً للانتباه هي الدعاية ، ومن خلال هذه الدعاية يمكن النفاذ إلى قلب المشاهد وعقله . وقد أدرك أصحاب المصالح الظاهرة والمستترة الدور الخطير الذي تؤديه لهم أساليب الدعاية التلفزيونية فراحوا يغدقون الأموال على الشركات والمكاتب المتخصصة بهذا اللون رغبة في الوصول إلى قلب المشاهد وعقله ، ومن الأمور المحزنة اللافتة للنظر أن معظم عمل هذه الشركات والمكاتب يقوم على استخدام المرأة واستغلالها والهبوط بها إلى مرتبة دنيا في عالم المخلوقات ، ولم تسلم المرأة أن تلصق صورتها على عبوات أصبغة الأحذيه ، أو أن توضع في سلال النفايات !! . فأي استهتار وخزي للمرأة يفوق هذا الخزي والاستهتار ؟ وهي التي كرمها الله حين كرم بني آدم ذكوراً وإناثاً إذ قال : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[1] والعجيب في هذه القضية أن هذا التحقير الشنيع للمرأة يأتي على أيدي دعاة تحررها وأدعياء مساواتها بالرجل !!

إن صورة المرأة على شاشة التلفزيون ليست دائماً الصورة الكريمة ، بل هي في أغلب البرامج صورة تدعو إلى الاشمئزاز والألم ، فهي في المسلسلات والأفلام متآمرة على زوجها والغة في شرفه وماله ، أو مستضعفة منهوكة، أو غير ذلك من الصور الهابطة بها إلى دركات الذل والهوان .

والإسلام يرشد المرأة إلى خير ما ينفعها ويحفظ شرفها ، فينهاها عن الخروج من بيتها وقد ذرَّت العطر على جسدها ، وتمسحت بالطيب ، صوناً لها عن أن تلوكها الألسن ، وتزدري سيرتها النفوس . ونحن نعلم أن ما رسمه

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

الإسلام للإنسان ، ذكر وأنثى ، لهو الخير والحق وما عداه هو الشر المستطير ، فقد أخرج الترمذي عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا ... يعني زانية .. » [١] وأخرج الترمذي أيضاً عن ميمونه بنت سعد عن رسول الله ﷺ قوله : « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » [٢] وقد نهى رسول الله ﷺ المرأة عن الخروج من بيتها مستعطرة حتى للصلاة في المسجد ، وأعلمها أن الله لايقبل صلاتها حينئذ ، فقد أخرج أبو داود أن أبا هريرة لقي امرأة وجد منها الطيب فقال لها : ياأمة الجبار .. إني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول : « لايقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة » [٣] .

هذا ما أراده الإسلام للمرأة حفظاً لكرامتها ، وصوناً لسمعتها ، وإعانةً لها على التمسك بدينها والفوز برضى الله والجنة . فهل تساعد المؤسسة التلفزيونية

---

(١) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح (كتاب الأدب باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة) قال الألباني في تعليقه على المشكاة نحوه .... دون قوله « كل عين زانية » .

(٢) مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » .

رواه الترمذي عن ميمونة بنت سعد مرفوعاً في كتاب الرضاع باب ما جاء في كراهية خروج النساء في الزينة وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٢٤٠) .

(٣) عن أبي هريرة قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ينفخ ولذيلها إعصار ، فقال : يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : وله تطيبت ؟ قالت : نعم . قال : إني سمعت حِبّي أبا القاسم ﷺ يقول : « لا تقبل صلاة لا مرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غلسها من الجنابة » رواه أبو داود (كتاب الترجل باب في طيب المرأة للخروج) رقم ٤١٧٤ وأخرجه النسائي (٢ / ٢٨٣) وابن ماجه (٤٠٠٢) والبيهقي (٣ / ١٣٣) وصححه الألباني . راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٣١ .

في عالمنا الإسلامي ، المرأة المسلمة على هذا السلوك النير الطاهر الذي يجعل منها صانعة أبطال ، وقدوة نساء عصرها ؟ إن المراقب الواعي لما عليه مؤسسات الإعلام المرئي في ديارنا ليتفتت قلبه ألماً وحرقة للصورة التي يُسعى إلى غرسها في نفوس فتياتنا ونسائنا على أنها الصورة المثلى للمرأة العصرية التي لا تقل عن الرجل مقدرة واستعداداً للنهوض بشتى الأدوار والأعمال استدراجاً لأمهاتنا وزوجاتنا وبناتنا وأخواتنا للسير في دورب شيطانية تنتزع منهن أغلى ما يمتلكنه من الحياء والطهر والشرف ، ولينشغلن عن صناعة الحياة الإسلامية التي من ثمراتها الأبطال العظام الذين يجاهدون في الله حق جهاده ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، يسعون على الأرامل واليتامى ، ويعطون الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ، ولا يبخسون الناس أشياءهم .. لايتشاءمون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، هؤلاء صنائع المؤمنات ، القانتات ، العابدات ، اللائي عرفن سموَّ مهمتهن ، واطمأنن إلى إكرام خالقهن لهن ، فرضيت نفوسهن بأن يكن أوفى عاملات مخلصات يحسنَّ إنشاء الأجيال على هدي من شريعة الله وتوجيهات نبيه ﷺ .

ومن المؤسف حقاً أن المؤسسة التلفزيونية في عالمنا الإسلامي في واد ، والقيم الإسلامية الرفيعة في وادٍ آخر ، فقد كان على المؤسسة التلفزيونية ، بمقتضى ما يحمله الإسلام للمؤسسات التي تقوم على أرضه أن تكون إيجابية مع قيمه الرفيعة ، ولكنها نكصت عن هذه المهمة وأعفت نفسها من الدور المنوط بها ، وياليتها بقيت عند هذا الحد الذي جعلها سلبية تجاه هذه القيم وهو ما يدعى ظلماً بأنه حياد ، ومن المعلوم أنه لاحقيقة لوجود الحياد في هذا العالم ، ولكنها تحولت في بعض بلاد المسلمين إلى إيجابية مع الباطل وعملت على شن حرب شعواء على قيم الإسلام كالإحسان والصدقة وكأن الإحسان والصدقة مسؤولان عن ظاهرة الفقر في بلاد المسلمين مع أنهما وسيلتان من وسائل

الإسلام العديدة التي تحارب الفقر ، وتطارد فلوله . وكفى دولة الإسلام فخراً ، يوم كان للإسلام دولة ، أنها الوحيدة التي استطاعت أن تمحو شبح الفقر عن الأرض التي كان يحكمها نظام الإسلام ، ولم يسجل التاريخ قبلها ولا بعدها مثل هذا النجاح الذي تلهث خلفه كل سلطات الأرض دون أن تظهر علامات تدل على قرب الوصول إلى هذه الغاية .

ونعود من جديد إلى النظر في مسألة استعطار المرأة وخروجها وهي على ذلك بين الرجال الأجانب ، لنرى كيف تدعو برامج التلفزيون إلى عكس ما يأمر به الإسلام ونقيضه ، ولنأخذ مثلاً على ذلك صورة دعائية لنوع من أنواع العطر ، فقد ظهرت على الشاشة امرأة تسير في شارع وكان في الشارع رجال منهمكون فيما يشغلهم عن النظر إلى المارة سواء كانوا رجالاً أو نساءاً ، وما إن مرت هذه المرأة بالقرب منهم حتى نبههم طيب عطرها إليها فكان سبباً في ابتعاث اهتمامهم بها ومتابعة خطواتها إذ أسرتهم بعطرها ، لقد بدا الأمر مجرد دعاية لعطر مّا ، ولكن ما وراء هذه الدعاية شيء كثير أقله أنها دعوة إلى فتياتنا ونسائنا أن يفعلن فعل هذه الممثلة المأجورة فيستعطرن ويتعرضن للرجال إثارة لغرائزهم ، ودفعاً لاهتمامهم بهن والوقوع في براثنهن ، أليس في هذا ما يناقض تماماً قيمة جلية من قيم الإسلام ؟ إن التلفزيون يكاد يقول : إن هذه الحياة هي الحياة المثلى للفتيات المسلمات حتى يكنَّ من بنات عصرهنّ ، فلا يضيعن شيئاً من لذائذ الدنيا ومفاتنها ، إن هذا لفتنة عمياء لبناتنا في دينهن ، وصرف لهن عن عقيدتهن ، وتصوير زائغ عن الحق يقرر أن العطر فقط يكون لتخرج به المرأة لاصطياد اهتمام الرجال ، واجتذاب نظراتهم ، مع أن العطر مما حبب إلى النبي ﷺ ، فلتستعطر المرأة المسلمة ولكن لزوجها وفي بيتها .وهكذا كانت المرأة المسلمة يوم صنعت من بيتها جنة فيها ذكر وعطر ، أما هؤلاء النساء اللواتي يخرجن مستعطرات بين الرجال

الأجانب فقد خصّصن لأزواجهن روائح الثوم والبصل والزيت ،وللرجال الغرباء النظافة والطيب وحسن الهندام ، أولئك النساء الفضليات عملن بتوجيهات النبي ﷺ فكن طاهرات مطهرات ، أشعن في بيوتهن حيوية ونشاطاً وسعادة وأما هؤلاء النساء فقد عملن بتوجيهات التلفزيون والشيطان فكن في بيوتهن متبذلات لأزواجهن ومحارمهن وقد علتهن روائح تزكم الأنوف ، وإذا ما خرجن إلى الشوارع ذررن العطر ، وزججن الحواجب ، وكحلن المآقي ، وصبغن الوجوه ، وجعلن رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، فاستشرفهن الشيطان حتى أضحين من جنوده :

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك بـــه
وهن أضعف خلـــق الله إنســـانـــاً

وإذا نظرنا إلى الحجاب ، وهو أحد القيم الحافظة لمكانة المرأة في المجتمع الإنساني (والصدفة التي لا تحجب اللؤلؤة ولكن تربيها وتحفظها) [1] لوجدناه على شاشة التلفزيون مزقاً عليها آثار ضغائن وأحقاد جاهلية صليبية يهودية ، فالسفور هو السمة المميزة لنساء التلفزيون ، ولا مكان لمحجبة مهما كان شأنها على شاشته ، بل ما حاجة التلفزيون للمحجبات وجل برامجه لا تحتاج لهذا الصنف من النساء ، فالمذيعة سافرة وقد ارتدت أبهى ملابسها وأكثرها فتنة وأكثرها كشفاً للنحور والصدور وأصرخها لوناً ، وخاصة بعد أن عم البيوت التلفزيون الملون ، وإذا ما انتقلت الصورة إلى الممثلات ومأجورات الفقرات الإعلانية فحدث ولا حرج ، إذ هنا يظهر التمادي في الباطل ،والخروج على تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، حتى لكأن الله ما أنزل آيات الحجاب إلا لتحفظ في الصدور أو بين دفتي الكتاب ولم ينزل الله كتابه إلاّ ليكون دستوراً يعمل

---

(١) مجلة الرأي ، ١٩٨٦ ، كلية الآداب جامعة عين شمس ص ٢٢ .

به في كل شأن من شؤون الحياة مهما دقّ أو عظم .

إن ما يشاهد على شاشات التلفزيون من مظاهر العري للمرأة والرجل على السواء إخلال بالتربية المستقيمة المتوازنة التي تقوم على غرس معاني الفضيلة والرجولة في المجتمع ومنافاة صريحة لقيم الإسلام وتعاليمه ، لأن الله سبحانه يأمر بالحشمة والستر حين ينادي نبيه أن ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾[1] وهو كما نرى أمر صريح في فرضية الحجاب والستر والحشمة لكل مسلمة . فالمسلمة بغير الحجاب تظل معرضة للأذية من العابثين سواء كان الأذى معنوياً أو حسياً ، وبذلك يكون الحجاب شارة لها ، وسمة تميزها عن أولئك اللواتي لاحرمة لهن ولا احترام . ولكن المؤسسة التلفزيونية لا تقيم وزناً لهذه الأوامر الصريحة فتأتي لنا بما يغري فتياتنا على التفلت من الحجاب والستر وتحرضهن على التعري ومخالفة أوامر الدين . إن ما يظهر على الشاشة المرتعشة تدريب لنا على قبول الانحراف ، والتعايش معه ، والتدرج على الانغماس فيه والانخراط في سلك أهله .

وهكذا ، نجد أن المسلم يحيا مع التلفزيون بقيم تغاير القيم التي أرساها الإسلام في الأرض لتكون معياراً يقيم الإنسان بمقتضاها ، ويلتمس له المكان اللائق به في عالم الرقي والفضيلة ، أو عالم الانحطاط والرذيلة . ولو تحدثنا عن مجمل القيم التي تتوجه بها المؤسسة التلفزيونية إلى المسلمين خاصة والمشاهدين عامة لطال بنا الحديث بدءاً من تربية الطفل وانتهاءً بالعلاقات التي يجب أن تسود بين الأمم على اختلاف مذاهبها ومشاربها وعلى الأخص علاقة المسلمين بأعدائهم ومناوئيهم والمتربصين بهم .

---

(١) الأحزاب : ٥٩ .

الإعلان التلفزيوني والقيم الوافدة :

إن ما تبثه محطات الإرسال التلفزيوني يغاير إلى حدٍ بعيد قيمنا وأخلاقنا الإسلامية ، وتقاليدنا التي ترعى الجانب الأخلاقي النابع من شريعتنا (ومهما كانت دقة وصرامة ووعي إدارات الرقابة - إن وجد ذلك الوعي - إلا أنها عاجزة أمام تسلل قيم مجتمع بأكمله يختلف عن قيم وأخلاق مجتمعنا .. فلنفتح جهاز التلفزيون ولنر .. هذا إعلان عن طفل يعطيه شقيقه زجاجة مياه غازية ليحتفظ له بها ويحذره من شربها ، فما إن يستدير الأخ حتى يشربها الطفل الصغير ، وعندما يعود أخوه ليسأله يجيبه ببساطة إنها تبخرت .. أي أخلاق وقيم يهدمها إعلان مثل هذا وإعلان آخر يبدأ بانفجار حاد ثم صوت يقول لك : انسف حمامك القديم واستبدل به حماماً آخر من .. وإعلان ثالث عن اكتمال الرجولة بعطر كذا ، وبهجة الأنوثة لو استخدمت صابون كذا ...

وسيل من الإعلانات والمسلسلات كلها تبث وترسي قيم مجتمع يختلف عنا فقيم الفردية ، ووحدة الفرد وذاتيته ، والمنافسة ، والاستهلاك ، ودرجة الاستهتار الذي يسمونه (تحرراً) كل هذه القيم قيم مجتمع غربي وصل فيه تعقد المصالح الاقتصادية إلى درجة أملت عليه أن يرسي قيما جديدة تتفق مع مصالحه الاقتصادية)[1] ، وتنبع من تصوراته الخاطئة المنحرفة عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، إن تربية الكلاب في المنازل لا بغرض أو حاجة شيء مألوف في الحياة الغربية ، على الرغم مما تجلبه من الأمراض للإنسان ، ولكن اقتناء الكلاب في الشريعة الإسلامية يكون لغرض ذي بال كالحراسة مثلاً أو الصيد أما أن يربى لغير غاية معتبرة فلا يجوز ومع ذلك فإن أفلام التلفزيون تدعونا إلى اقتناء الكلاب على الطريقة الغربية بما تعرضه

---

(١) ريم كيلاني : مجلة العربي ، العدد ٣١٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٥ .

علينا من المشاهد التي ينام فيها الكلب على أسرة الغربيين ويعايشهم كواحد منهم دون أن يثير فيهم ذلك غير الغبطة والفرح والسرور .

وقد توجهت صحيفة النور القاهرية إلى الفريق الطيار محمد سعد الدين الشريف رئيس الاتحاد العام للكشافة والمرشدات في مصر ، بالسؤال عن مدى إسهام أجهزة الإعلام في تربية الشباب تربية حسنة ترضي الله تعالى فأجاب : (آسف أن أقول : إن وسائل الإعلام والتلفزيون خاصة لا يسير على النهج الإسلامي ، بل في كثير من الأحيان يعمل على إفساد الشباب ، وهناك الكثير الذي يذيعه عليهم فيفسدهم) [١] .

---

(١) صحيفة النور القاهرية العدد ١٣٦ ، ١٧ / ١٠ / ١٩٨٤ .

مواقف أمام المحنة التلفزيونية

من الطبيعي أن لايبدأ الدفاع عن النفس قبل استشعار الخطر عليها ، ومن البدهي أن تتعدد آراء الناس حول القضية الواحدة ، وليس بمستغرب أن تتقارب الآراء أو تتلاقى ، مهما اختلفت مصادرها ، حول أساسيات البناء الإنساني ، وذلك بفضل مافي نفوس البشر جميعاً من الاشتراك في أوليات الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

ولا عجب في تلاقي رأي لمسلم انطلق فيه مما يمتلكه من عقيدة صحيحة وفطرة سليمة ،مع رأي رجل غربي أو شرقي ، ليس مسلماً استقى إحساسه ومعرفته في ذلك من خلال ما في أعماقه من الفطرة الربانية ، ولا يجمحن بنا الغلو إلى استنكار هذا الرأي ، إذ لو لم يمتلك الملاحدة والكفرة رصيداً من الفطرة الربانية الكامنة فيهم لما آمن منهم رجل واحد ، فها نحن نسمع بين حين وآخر ، بل في كل حين ، أنباء عن اعتناق رجال منهم الإسلام ، واتخاذهم إياه منهجاً ودستوراً وذلك لاستيقاظ ما لديهم من ذخائر الفطرة الربانية التي تظل في الإنسان حجة عليه حتى يؤمن فإذا آمن كانت حجة له .

وهكذا يصرخ العلماء والتربويون والآباء ، شرقاً وغرباً ، اليوم ، في وجه الإعلام المرئي لإدراكهم أن الخطر الذي تشكله أجهزته كالتلفزيون والفيديو والسينما لم يعد خافياً على أحد ،.فآثار ذلك ماثلة للعيان في كل مكان تسللت إليه هذه الأدوات التي استخدمت استخداماً سيئاً يعمل على إتعاس الإنسانية ، ويحملها من الهموم ما تنوء به وتجأر بالشكوى منه .

آ ـ صيحات خطر :

وقد أبدى أفراد المجتمع أيضاً ، في كثير من بلدان العالم قلقاً كبيراً نحو تأثير التلفزيون على أبنائهم ، ولذلك نشأت حركة لتقويم تأثيره في شخصية أبنائهم

وسلوكهم ، وكان الخوف الرئيسي الذي يراود المسؤولين أن الأطفال قد يصبحون أكثر سلبية ، أو قلقاً أو خضوعاً أو انحرافاً ، نتيجة لمشاهدة التلفزيون [١] ، ولعل إحجام كثير من المفكرين والكتاب في العالم الإسلامي عن نقد البرامج التلفزيونية هو ما وقر في أذهانهم من ارتباط هذه البرامج بالسياسات العليا للسلطة فآثروا السلامة ، وعملوا بقول ذلك الشاعر في عصر الانحطاط :

إذا صحبت الملوك فالبس من الوقار أعز ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

ففي جمهورية ألمانيا الغربية يشعر المربون بالقلق لازدياد انتشار الفيديو ، والدور الذي يلعبه في ميدان الإعلام والتسلية ، خاصة بعد أن أدرك خبراء الإعلام أيضاً أن الأطفال الألمان يقضون أمام التلفزيون وقتاً أطول مما يقضونه في المدرسة .

وفي الوقت نفسه يلاحظ المربون ، والآباء والأمهات أيضاً ، ازدياد الاضطراب والسلوك غير المناسب لدى الأطفال والأحداث في إطار تضخم استهلاك الفيديو لديهم ، ويقول ديتر شبيك ، رئيس مركز المشورة الاجتماعية في منطقة الراين : إننا نستقبل الأطفال الذين يعانون من اضطراب في السلوك ، بمعدل طفل كل يومين ، بعضهم يستيقظ من نومه منزعجاً ، والبعض الآخر يتصرف بقسوة وعنف في المدرسة والمنزل ، ويرجع ذلك إلى مشاهدتهم أفلام العنف في التلفزيون كما تشكو المربية (أوته سيلدرث) في الموضوع نفسه فتقول : إن تلاميذ المدارس الابتدائية يتشاجرون ويتضاربون فجأة مع زملائهم ويظهرون سلوكاً عدوانياً .

---

(١) الدكتور عبد الرحمن عيسوي : الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي .

وقد عالج الموضوع العالم الألماني (كلاوس هيجنر) أستاذ فرع المعلومات في جامعة بريمن في كتابه الذي نشره في سويسرا عام ١٩٨٢تحت عنوان : (الأزمة التربوية الحديثة) فدعا إلى ضرورة الاستفادة من وسائل الإعلام السمعية والبصرية ، بحيث توجه الأطفال والشباب إلى ما يعود عليهم بالنفع والمعرفة ، والمشكلة التي ما زالت إلى الآن معلقة ، وهي كيفية الحد من إدمان المشاهدين للبرامج التلفزيونية ، وأفضل الطرق التي يمكن اتباعها للإفادة من الأجهزة التلفزيونية والفيديو في المدارس بصورة هادفة (١) .

وفي بريطانيا منظمة علمية تحمل اسم (مجلس الإرشاد الأسري) أعلنت بعد دراسات عديدة أن مسلسل (دالاس) كفيل بإفساد القيم الأسرية والاجتماعية لدى المجتمع البريطاني المحافظ فالعائلة التي تحمل اسم دالاس تظهر قيماً وسلوكيات ضارة ، فالأسرة تتعامل مع الزواج وكأنه سيارة مستعملة مشتراة من سوق السيارات القديمة .. فإذا سئم المرء موديلاً معيناً سهل عليه التخلص منه لشراء سياره أخرى مستعملة أيضاً . وخطورة هذا المسلسل تكمن في أن الناس يتعايشون مع شخصيات المسلسل ، ويتشربون قيمهم وأحكامهم تجاه المواقف من خلاله ، وهذا يعرض القيم البريطانية للخطر!! (٢) .

تقرير لمجلس الشورى المصري حول التلفزيون والفيديو :

ناقش مجلس الشورى المصري قضية السياسة الثقافية في مصر ، من خلال التقرير الذي أعدته لجنة الخدمات عن السياسة الثقافية ، وقد حذر التقرير من الأثر الخطير الذي تحدثه برامج التلفزيون في الشعب ، وطالب بضرورة إعادة النظر في البرامج الثقافية ، وبرامج الدراما ، والبرامج الترفيهية التي

---

(١) الأهرام القاهرية ٢٤ / ٧ / ١٩٨٤ .

(٢) أخبار اليوم القاهرية ١٩ / ٥ / ١٩٨٤ .

تحفل بما لايليق تقديمه لشعب متدين يعتز بقيمه وأخلاقياته ، من حركات فاضحة وألفاظ تخدش الحياء ، إضافة إلى ما يعرض أحياناً من أفلام تتضمن مناظر مسفة من الرقص إلى تعاطي الخمر !! وأن بعض الحلقات الأجنبية التي يعرضها التلفزيون قائم على العنف أو الجنس بطريقة صارخة هدامة .

وقال التقرير في حسم : ما دمنا نتحدث عن الإذاعة المسموعة والمرئية فلا بأس في أن يلحق بها الكاسيت والفيديو كاسيت ، هاتين الأداتين اللتين كان المأمول أن يكون فيهما خير كثير ، فإذا بها تنقلبان ليصبح فيهما شر مستطير ومصدر الخطورة فيهما أنها تنتجان في مصر دون ضوابط رقابية على شركات الإنتاج أو الأفراد المنتجين خلسة ، وأن الشرائط التي تنتج في الخارج تتسرب إلى داخل البلاد في سهولة ويسر ، مع سهولة طبع أفلام الفيديو كاسيت وتهريبها وعدم قدرة الجهات المعنية على ملاحقة نوادي الفيديو ، وضبط المخالفات الصارخة التي تقوم بها بعض هذه النوادي .

وأضاف التقرير : أن النتيجة الحتمية كانت انتشار أجهزة الفيديو في المنازل والأماكن العامة والمقاهي في الريف والمدن ، وتقدر الإحصائيات عدد أجهزة الفيديو التي دخلت مصر من منفذ مطار القاهرة وحده في موسم حج ١٩٨٣ بمقدار ٩٢٠٠٠ اثنين وتسعين ألف جهاز ، كما تشير بعض التقديرات أن عدد أجهزة الفيديو في مصر يزيد على مليون جهاز ، وحذر التقرير من أن الإقبال على الفيديو يتزايد يوماً بعد يوم نظراً لحرية المشاهد في اختيار نوع المادة التي يرغب فيها ، وفي الوقت الذي يشاء ، ونظراً لوفرة الأشرطة وسهولة شرائها أو استئجارها ، أو استعارتها ، وسهولة التسجيل مما يبثه التلفزيون [١] .

---

(١) نقلاً عن صحيفة الأخبار القاهرية ١٩ / ٢ / ١٩٨٥ .

وفي السنوات الأخيرة قامت مجموعة ثائرة من علماء النفس والمربين والآباء والأمهات تتحدث عن الحاجة لإظهار سلوك إيجابي في البرامج التلفزيونية ، كالمحبة ، والاهتمام بالآخرين ، والمشاركة الوجدانية ، والعاطفة الإنسانية ، وأبدوا أسفهم لإصرار التلفزيون على تقديم السلوك غير الاجتماعي في برامجه ، ولإضاعته صواب الجماهير التي اختلطت عليها الأمور . يقول جيري ماندر : (ربما شاهدت الممثل يقوم بدور الطبيب في أحد الإعلانات ، يتكلم بجدية وخبرة وثقة ، وتعلم أنه ليس إلا ممثلاً ، ولكنك تسمح له بالدخول في رأسك ، ويصبح موثوقاً لديك .. إن وسائلنا الفكرية لايمكنها إنقاذنا فالصورة تدخل على أي حال وتبقى هناك بشكل دائم ثم لا تستطيع أن تميز بين الصورة التي نملكها شخصياً ، وبين تلك التي تأتي من أماكن نائية ، لقد تم اتحاد الخيال والواقعية وفقدنا السيطرة على تصوراتنا الخاصة ، وبالتالي السيطرة على عقولنا)[1] .

ومن الجريمة أن ندفع بأبنائنا إلى التعلق بممثلين وممثلات ليصبحوا القدوة لهم فكم من ممثل وممثلة سقط القناع عن وجوههم القميئة فبدوا على حقيقتهم قوادين ولصوصاً وتجار مخدرات ، وإننا لنتساءل : أليس من العبث المهلك أن يظهر على الشاشة ممثل اعتاد الأطفال رؤيته يقوم بأداء أدوار الإجرام والخيانة واللصوصية والخسة ، ثم نراه يظهر في فيلم آخر يمثل دور البراءة والطهر والرحمة ؟ فما الذي يفعله هذا العبث في نفوس الصغار وعقولهم ؟ إنه يغرس في هذه النفوس البريئة ويثبت في عقول أطفالنا إمكان الجمع بين هذه الصفات المتناقضة ، وأنه لابأس من الجمع بين المستحب والمكروه ، والحلال والحرام ، والأمانة والخيانة ، وأنه علينا أن لا نتقزز من السيرة العفنة لهؤلاء الناس !!!

---

(٢) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢١٨ .

ومما يزيد الأمر ألماً اعتماد المؤسسة التلفزيونية في البلاد الإسلامية ، إلى حد كبير ، على محاكاة البرامج الأجنبية التي يتململ منها عقلاء أهلها ، حذو النعل بالنعل ، مما ينتج عنه إصابتنا بعدوى اللاأخلاقية والإباحية التي أصبحت علامة تميز بها أولئك ، ومع ما هم عليه من شبه الإجماع على هذا النمط من الانحرافات إلاّ أنه يتخللهم الكثير من المصلحين الذين يرفعون أصواتهم عالياً احتجاجاً ، في الوقت الذي يكاد يخلو فيه مجتمعنا من أمثال هؤلاء .

لقد جعل المسيطرون على المؤسسة التلفزيونية من التلفزيون زنزانة فكر ، وسجن آمال ، وكان حرياً بهم أن يتخذوه بوابة إلى العالم الفسيح .

وقد يكون لأية أداة تستعمل في المنزل احتمالات سيئة أثناء الاستخدام أو بغيره ، فأنبوبة الغاز قد تنفجر ، والتيار الكهربائي يحمل معه احتمالات (التماس) وإحداث الحريق ، وسكين المطبخ قد يستعمله الطفل في أذى أخيه أو نفسه .. إلخ .. ومع ذلك فإن هذه الاحتمالات أو تلك لا تستدعي البتة الإحجام عن استعمالها واستخدامها في بيوتنا لأنها قضية احتمالية فهي محكومة بقدر الله . أما مسألة التلفزيون فإنها شيء آخر تماماً ، إذ لانملك معه الدفاع عن أنفسنا وذواتنا أمام الشحنات التربوية التي تتغلغل في أعماقنا وأعماق أبنائنا . وهنا مكمن الخطر ونذير الشر .

ب ـ الدعوة إلى الإقلال من ساعات المشاهدة :

لم يكتف العلماء والمفكرون بإطلاق صيحات الخطر ،والتنبيه إلى الآثار السلبية للفيديو والتلفزيون حتى أخذ بعضهم في رسم المنهج العملي للتخفيف من هذه الآثار عن طريق الإقلال من ساعات المشاهدة ، أو الامتناع لفترات معينة عن تشغيل الجهاز .

ومن هذا المنطلق قام الباحث الأمريكي (جوميلينز) بتسجيل دراسات

طريفة قام بها مجموعة من علماء الاجتماع في أحد المعاهد المتخصصة في الولايات المتحدة ، وتدور هذه الدراسة حول حرمان أسرة أمريكية من مشاهدة التلفزيون لمدة أسبوع كل شهر ، ومدى تأثير هذا الحرمان على نشاط وسلوك هذه الأسرة . وتتكون الأسرة المختارة من الوالد (تيري زمرهال) ٤٣ عاماً ، وزوجته (كارين) ٤٠ عاماً وأربعة أبناء تتراوح أعمارهم بين (٣) إلى (١٢)عاماً ، وقد جاءت نتائج البحث على الصورة التالية :

١ ـ انخفضت حدة الخلافات ، كما انخفض الميل للسلوك العدواني والعنف وتوتر الأعصاب بين أفراد الأسرة ، وبدلاً من الخلافات حول القناة المختارة وبرامج كل قناة ، ومشاهدتها لعدة ساعات ساهم الأبناء في بعض الأعمال المنزلية المفيدة واستغلال أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع المادي والصحي .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد أصبح الأبناء يخلدون للنوم في أوقات مناسبة دون ضغط من الوالدين بدلا من السهر لمشاهدة الحلقات والمسلسلات ، ومناقشة المواقف المثيرة فيها .

٢ ـ أصبحت القراءة هي الهواية المفضلة لجميع أفراد الأسرة ، ويقول تيري الوالد إنه افتقد مشاهدة البرامج التلفزيونية التي يفضلها كثيراً خلال أسبوع الحرمان ، خاصة في عطلة نهاية الأسبوع نظراً لشعوره بالحاجة إلى وسيلة ترفيهية سهلة بعد نهاية أسبوع عمل حافل بالأعمال الشاقة ،ولكنه استطاع التغلب على هذا الشعور بقراءة بعض المجلات الفنية والثقافية والاقتصادية وأخبار رياضة كرة القدم ، وهي رياضته المفضلة .

أما كارين الوالدة فتقول : حاولت تعويض طفلتينا الصغيرتين (ثلاث وخمس سنوات) وهما في الحضانة عن التلفزيون ، وذلك بمشاركتها اللعب

وقراءة قصص الأطفـــال لهما ،وكنت أشعر أنها تستمتعـــان بـوقتها أكثر من مشاهـدة التلفزيون ، ويعلق علماء الاجتماع على ذلـك بقـولهم : إن الأطفـال والبراعم الصغيرة يستثمرون خيالهم عنـد الاستماع إلى القصص فيصورون لأنفسهم شاشة من الخيال بدلاً من شاشة التلفزيون ، ومن ثم تظل هذه القصص عالقـة بأذهانهم مما يؤدي إلى تنمية خيالهم وبالتالي قدرتهم على الخلق والإبداع .

٣ ـ توفير الوقت لقيام أفراد الأسرة بالتمرينات الرياضية المناسبة والمفضلة لكل منهم والتي تضمن لهم الصحة والحيوية ، والنشاط الجسماني والتوازن النفسي في عالم سريع الإيقاع مما يستلزم ممارسة الريـاضـة لتقويـة الجسم وتنشيطـه . ويستطرد الوالد تيري حديثـه قـائلاً : لقـد تمكنت من اصطحـاب أبنـائي إلى حمـام السبـاحـة خـلال هـذا الأسبـوع بـالإضـافـة إلى ممـارســة الراكيت وكرة السلة ،ورياضة الهرولة .

٤ ـ مسـاهمـة جميع أفراد الأسرة في الأعمـال المنزليـة المختلفـة بـانتظـام دون إبطاء أو إهمال أو كسل . فالوالد يقوم ببعض أعمال المنزل عند انشغال زوجته بـأعمـال أخرى ، والأطفـــال يســاهمـون في تنظيف المنزل بمحض إرادتهم وليس نتيجـة ضغـط من الوالـدين وهكـذا تتفرغ الـزوجـه لطهي الطعـام وحيـاكـة الملابس لأسرتها ، والإشراف على تحصيل الأبناء لدروسهم ، وهكذا سادت روح التعاون والمحبة الجميع بدلاً من المشاهدة التلفزيونية الصامتة .

٥ ـ تمكن الأبناء خلال هذه الأسبوع من تكوين صداقات مخلصـة . يقول الابن الثاني تيدي زمرهال (١١) عامـاً : بـدلا من مشـاهـدة الأفلام الهـابطـة والمسلسلات غير الهـادفـة التي تـدور حول نفس الموضوع قمت بممارسـة هوايـاتي المفضلة والمفيدة مع أصدقائي المخلصين ؛ فتوطدت بيننا أواصر الصداقة والمحبة .

آراء أخرى حول البحث :

أثبتت هذه التجربة نجاحها إلى أبعد الحدود ، وأبدى جميع أفراد الأسرة استعدادهم لتكرارها لما لها من فوائد حيوية ، فبدلاً من التهام التلفزيون أغلب أوقات الأسرة ، أصبح من الممكن استثمار بعض هذا الوقت في أمور هامة . يقول الوالد تيري : كانت هذه التجربة قاسية أحياناً لكنها مفيدة أغلب الأحيان ، وأعتقد أن هذا التغيير لازم ومطلوب في سبيل الأفضل ، وعدم إهمال القراءة ويستطرد الوالد قائلاً : لم نفكر ولو للحظة واحدة في التراجع ، وذلك أثناء تطبيق التجربة ، طالما يوجد بديل حيوي بدلاً من مشاهدة البرامج التلفزيونية غير المفيدة .

وتقول الوالدة كارين : لقد أظهرت هذه التجربة أنه من الممكن أن يستغني أفراد الأسرة عن التلفزيون لبعض الوقت ، وهكذا يسود الهدوء والسلام المنزل ، وتنقرض الخلافات والمشاحنات العائلية ، ومن ثم تتضح الرؤية ويتحول الاهتمام كله لمعالجة أوجه القصور ومحاولة دفع كل فرد من أفراد الأسرة نحو انطلاقة جديدة ، لذلك فهي تقترح أن تطبق كل أسرة هذه التجربة التي أثبتت نجاحها مرة كل شهر خاصة خلال أشهر دراسة الأبناء .

وقد أثبتت إحدى الإحصائيات أن حوالي ٧٥٪ من أفراد العائلة يشاهدون التلفزيون مساءً بينما تنخفض هذه النسبة إلى ٤٥٪ صباحاً .

وعموماً فإن المسلسلات التلفزيونية المتتالية ، والبرامج الروتينية المتكررة تربط المشاهد في ساعات محددة يومياً ، وتفرض عليه أسلوباً خاصاً في الحياة ، فيتحول المشاهد إلى آلة ميكانيكية تسير على وتيرة رتيبة ، وبمرور الوقت تؤدي هذه الروتينية إلى إضعاف درجة تركيزه وانتباهه للبرامج من ناحية وسيطرة هذا الجهاز على حرياته الشخصية من ناحية أخرى ، وفي هذه

الحالة يجب على الأم توجيه أفراد الأسرة ودفعهم للانطلاق من هذه القيود السقيمة .

ويقترح الباحث (جوميلينز) بجانب الاستمرار في هذه التجربة تحديد ساعات مشاهدة التلفزيون خلال الأسابيع الثلاثة الباقية من الشهر بحيث لا تسرق وقت أفراد الأسرة كله حتى يجد الأبناء الفرصة والوقت الكافي للخلق والإبداع بدلاً من الجلوس أمام التلفزيون ساعات طويلة دون ممارسة أي نوع من الهوايات [١] .

وقد ناشد هيلموت شميدت مستشار ألمانيا الغربية الآباء والأمهات أن يغلقوا أجهزة التلفزيون على الأقل يوماً واحداً خلال الأسبوع . وقد رفض رئيس جمهورية فنزويلا أن يسمح بإدخال التلفزيون الملون إلى بلاده ، زاعماً أنه سيكون دافعاً جديداً لزيادة الروح الاستهلاكية المقوتة ، ورغم أنه اعترف الاّ فائدة ، فلا بد أن يصل التلفزيون الملون إلى بلاده ، إلاّ أنه هنأ نفسه على قدرته على تأخير وصوله لمدة خمس سنوات [٢] .

ج ـ الدعوة إلى إلغاء التلفزيون والتخلص منه :

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لايمكن التخلص من الآثار السلبية للتلفزيون إلا بالتخلص من الجهاز ذاته . ويعتمدون في رأيهم هذا على أن طبيعة التلفزيون التقنية ترفض أي إصلاح لبرامجه ، فكما أن العنف كامن في الأسلحة فإن الشر والإفساد كامن أيضاً في التلفزيون ذاته كجهاز . ويبدو أن الكاتب الأمريكي (جيري ماندر) أكثر تحمساً لهذا الرأي الذي عقد له كتاباً كاملاً أسماه (أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون) كان خلاصة تجربة له استمرت

---

(١) نقلاً عن صحيفة الأهرام ٦ / ٧ / ١٩٨٤ .

(٢) مجلة الثقافات العدد الثاني ١٩٨٣ ص ٢٣٨ إصدار منظمة اليونسكو الطبعة العربية .

خمسة عشر عاماً عاشها في حقل الإعلام دفعته إلى تسجيل هـذه التجربـة بشيء من التفاعل الحقيقي الصادر عن الإحساس الفعلي الـذي عـانـاه خلال خوضـه العمل الإعلامي كمدير دعـايـة ـ وهي لب الإعـلام ـ وعـلاقـات عـامـة لمـدة طويلة .

يقول جيري مـانـدر : (ربما لا نستطيع أن نفعل أي شيء ضد الهندسة الوراثيـة والقنـابل النيوترونيـة ، ولكننـا نستطيع أن نقول (لا) للتلفزيون ، ونستطيع أن نلقي بـأجهزتنـا في مقلب الـزبـالـة حيث يجب أن تكـون .. إن التلفزيون لايتقبل الإصلاح عادة ، إن مشاكله كامنة في التقنية نفسها تماماً كما أن العنف كامن في البنادق ، ولا يستطيع خبراء التلفزيون تغيير مـا يمكن أن يخلفه الجهاز من تأثيرات على مشاهديـه ، هـذه التـأثيرات الواقعـة على الجسـد والعقل لا تنفصل عن تجربة المشاهدة . وبـالنسبـة للتـأثيرات السيـاسيـة ، فلو بدّلنا السيطرة التجارية للتلفزة بسيطرة حكوميـة كما في السويـد أو الأرجنتين أو روسيا ، فإن هذا لن يغير العلاقات السياسيـة الأسـاسيـة توحيـدالتجربـة ، والواحـد يتكلم إلى العـديـد ، والتـدريب الحتمي على قبول الأوتـوقراطيـة التي تولدهـا هـذه الشروط)[1] ويضيف الكاتب قـائلاً : (إنني لا أتخيل إلا عـالمـاً مليئاً بالفائدة عندما أتخيل عالماً بدون تلفزيون ، إن مـا نفقـده سيعوض عنـه أكثر بـواسطـة احتكاك بشري أكبر ، وبـواسطـة إنـارة أكبر للعقـول ، وبعث جديد للبحث والنشاط الذاتي)[2] .

واقترحت عالمة الاجتماع (جوان اندرسون ويلكينز) برنامجاً للامتنـاع عن مشاهدة التلفزيون يستغرق أربعة أسـابيع وذلـك في كتـابهـا : « كيف تتغلب على عادة مشاهدة التلفزيون » .

---

(١) جيري ماندر : أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥ .

في الأسبوع الأول : على الإنسان أن يراقب نفسه ، ويكتب عدد الساعات التي يجلس خلالها أمام شاشة التلفزيون والبرامج التي يراها .

وفي الأسبوع الثاني : يستمر في المشاهدة ولكن بعين ناقدة ، فيقيم البرامج التي يراها وهل فيها تسلية أم فيها عنف وجنس .. إلخ ..

وفي الأسبوع الثالث : تمتنع الأسرة كلها عن مشاهدة البرامج ثلاثة أيام من أيام الدراسة ، وتحدد ساعات معينة للمشاهدة في الايام الأربعة الباقية .

وفي الأسبوع الرابع : يكون الامتناع تماماً عن مشاهدة التلفزيون ، فيخفى الجهاز أو يقطع عنه التيار الكهربائي ، أو تفصل عنه البطارية ، ولا تشترى المجلات التي تنشر البرامج ، وتمزق الصفحة التي تحتوي البرامج في الصحف اليومية ، أو يمتنع المرء عن قراءتها ، وإذا كانت هناك حلقات اعتادت الأسرة مشاهدتها فمن الأفضل مغادرة البيت في أوقاتها . وتنصح الكاتبة بعدئذ بالانضمام إلى ناد ، وممارسة حرفة أو هواية وصناعة لعب الأطفال بدلاً من شرائها [١] .

---

(١) محسن محمد : الإنسان حيوان تلفزيوني ص ٣٠٦ ـ مطبعة الأهرام التجارية .

المخرَج حاضراً ومستقبلاً

وبعد ، فإنه من حق القارئ الكريم ألاّ ندعه في مهب الريح دون أن نبحث له عن متكأ أو مخرج يستطيع من خلاله تكوين رأي شخصي اختياري بّناء تطمئن إليه نفسه على هدى من إرشادات الدين وتوجيهاته .

ومن الحكمة أن نبحث جميعاً عن المخرج المناسب الذي يجعلنا قادرين على الإفلات من قبضة التلفزيون على صورته الراهنة اليوم في أكثر بقاع المسلمين ، والتطلع إلى يوم يصبح فيه هذا المخترع العجيب سنداً وعوناً للإنسان الذي تحيق به الصعاب ، وتحف به المكاره ليكون عبداً لله وحده لا للشهوات أو النزوات ، ولا للمنحرفين أو الطغاة ، وبذلك تشعر الإنسانية بالسعادة وتمضي في طريق مستقيم في دروب النماء والتقدم .

المخرج حاضراً :

على الأسرة المسلمة أن تنأى بنفسها عن الانغماس فيما ينغمس فيه الآخرون ، وألاّ تشارك في العبودية الأخلاقية الفكرية ، لغير الله ، التي تجتاح شعوباً كثيرة وقبائل في عالمنا اليوم ، لوقوعها فريسة للخطاطيف التي ألقت بها اليهودية والصليبية والشيوعية في حلوقها ، وغرستها في نفوسها ، وأحاطت بها من كل جانب .

ونحن ندرك أن النتائج السيئة للتلفزيون والفيديو لا تصيب الأسرة المسلمة وحدها وتدع تلك التي لا تدين بالإسلام ، فهذه الآثار مدمرة للإنسان أينما كان ،وحيثما حل ، وبأي شريعة دان ، إلاّ أن الذي يجعلنا نتوجه بدراستنا هذه إلى الأسرة المسلمة هو أنها حاملة آخر رسالات السماء لأهل الأرض ، وأن المطلوب من المسلمين أن يكونوا القدوة في كل خير والمثال في

كل أسلوب يحمي البشرية من الوقوع في أكثر مما هي عليه ، ثم التوجه بها نحو آفاق رحبة من التعارف بين بني البشر على أساس من المنهاج القويم الذي ارتضاه الله للإنسانية ، والذي لاتقتصر ثماره على المؤمنين به فحسب ، ولكن على كل الذين انضووا تحت لوائه ، وعاشوا في ظلال نظامه ولو كانوا غير مؤمنين به ، وذلك لما يتمتع به الإسلام من جدية الإعلان العظيم في أنه ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[1] .

ولذلك فإننا نرى أنه على الأسرة المسلمة اليوم أن تتخلى عن التلفزيون نهائياً ، وألا تدع له مكاناً بين أفرادها ما دام موجهاً نحو أغراض تناقض ما أحبه الله لخلقه ، وبسبب الآثار المدمرة الثابتة النتائج كما دلت على ذلك الدراسات العلمية الجادة التي قام به الباحثون والمربون على المستويات العالمية المتخصصة .

ومن المعلوم أن أكثر المخترعات الحديثة التي وضعت في خدمة الإنسان تشتمل أيضاً على بعض الآثار الضارة بالنفس والبيئة كالسيارة مثلاً بما تطلقه من العوادم المؤثرة في الصحة ، أو تلك الأدوات الكهربائية المنزلية لما تشكله من الأثار الضارة بسبب ما ينشأ عنها من الإشعاعات التي تؤثر في صحة الإنسان الجسدية والنفسية ؛ ومع ذلك فإننا نجد أنه من الأمور المغايرة للعقل أن نقترح الاستغناء عنها لما فيها من الفوائد الكثيرة التي إذا قيست بسلبياتها ظهر لنا أن فوائدها ومنافعها تفوق ، إلى حد كبير ، مضارها مما يبدو معها أن هذه المضار تكاد ألا تذكر أو يحسب لها حساب .

أما التلفزيون ـ والفيديو أيضاً ـ على ما هو عليه من هيمنة جهات معينة لا تقيم للدين وزناً ، فتوجهه الوجهة المعاكسة للتربية القويمة المتوازنة فإنه

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

بالتمحيص والدراسة المتأنية نجد ، بشكل يثير القلق ، أن مضاره وآثامه أكبر من نفعه ، مما يدعونا إلى اختيار الدعوة إلى الإحجام عن استعماله أو الركون إليه ، ولو مؤقتاً إلى أن تنحاز برامجه إلى جانب الحق ،ويغلب خيره شره ، إذ ليس من العقل أو الإنصاف احتمال هذا الكم الهائل من الضرر في دين المرء ودنياه مقابل تلك الفوائد الضحلة التي لا تكاد تبين أو تذكر أمام هذا الركام المدمر من البرامج السيئة القصد .

ومن صفات المسلم الصادق الإيمان أن يسارع إلى الانحياز إلى جانب الحق إذا بدت له معالمه ، فلا يكابر ، ولا يناور ، ولا يلتمس الأعذار لتقصيره أو أخطائه ، ويعزم عزمة الواثقين على الانصياع لموجبات الإيمان والطاعة ويتوكل على الله : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ [١] .

المخرج مستقبلا :

ليست دعوتنا الأسرة المسلمة إلى التوقف عن تشغيل التلفزيون تعني طلب الإعدام لهذا الجهاز أو إلقائه في مقلب الزبالة كما اقترح الكاتب الأمريكي جيري ماندر ، فالجهاز بغير تيار ولا برامج كالميت الذي يبدو من السفاهة أن نعقد له فصول محاكمة وإدانة بعد أن أفضى إلى بارئه ؛ ولكن الذي نعنيه أن تسارع الأسرة المسلمة المبتلاة به إلى إخفائه أو بيعه وإن كان الأفضل أن نعمد إلى التخلص حتى من وجوده بغير عمل في بيوتنا ، كيلا يظل الحنين إلى برامجه وترهاته دافعاً إلى ضعف النفس وتراجع العقل أمام شيطان الهوى ووسوساته .

وكان من المفروض أن نقترح أولا وقبل هذا إصلاح برامج التلفزيون لتمشى مع تعاليم الدين ولا تتناقض معه ، ولكن تقديرنا أن المؤسسة التلفزيونية في بلدان العالم الثالث ، والشعوب الإسلامية جزء من هذا

---

(١) الطلاق : ٣ .

التصنيف تبدو صورة من صور السلطـة وجـانبـاً هـامـاً من مرتكزاتهـا التي لا تنفصل عن حقيقتها ، هذا التقدير جعلنا نتوجه الى الأسرة المسلمـة بـاقتراحنـا هذا مباشرة لإدراكنا بأن شعوب العـالم الثـالث قـد هـذبت على ألاّ تطلب من سلاطينها شيئاً بل عليها انتظار الإنعام .

وعليه فإن جماهير المشاهدين لا تمتلك الوسيلـة التي تتحول ببرامج الفيـديو والتلفزيون من الهدم إلى البنـاء ، ومن الشر إلى الخير ، مـا دامت تملى إملاء ، وتصب صبـاً في الرؤوس فما هي الـوسيلـة التي تجعلنـا نفيـد من هــذا المخترع الرهيب العجيب ونسخره للخير بعـد أن ظـل زمنـاً طـويـلاً منـذ اختراعـه مستخـدمـاً في ضروب شتى من التخريب وإضـاعـة العمر في متـابعـة ترهـاتـه وخزعبلاته ؟

هذه الوسيلة تكمن في التلفزيون السلكي [1] أو التلفزيون الجماعي ، وهو ما يسمىً أيضاً بالتلفزيون (الكابلي) وهو أحدث ثورات الإعلام وأجلها خطراً ، وأشدها تأثيراً على المستقبل ، وقد أصبح وسيلة اتصال قـائمـة بـذاتهـا ولمحطـاتـه القدرة على البث في نحو مائة قناة مرة واحدة وماتزال الأبحاث جارية لزيـادة عدد القنوات هذه .

وقد بدأ التلفزيون السلكي في الأصل كوسيلة علاجية لبعض حـالات البث التلفزيـوني العـادي الرديء غير الـواضـح ، إلا أنـه تطـور إلى نظـام إعـلامي مستقل يمثل ثورة هائلة في عالم الاتصال تضاف إلى ثورات الكتابة والطبـاعـة والصحافة والسينما والراديو والتلفزيون والأقمار الصناعية .

ومن أبرز خصائص التلفزيون السلكي أنه يتيح فرصة التفاعل بين المشاهـد ومصدر المعلومات بالاتصال بـالمحطـة الأم عن طريق الأسلاك ذاتهـا التي تنقل

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٦١ .

البرامج . ومن هذه الإمكانية انبثق نظام بنك المعلومات الذي يمكن ربطه على إحدى القنوات المتاحة في التلفزيون السلكي .

ويرى كثير من علماءِ الإعلام ورجاله أن التلفزيون السلكي هو تلفزيون المستقبل لامكان اعتماد المشاهد على التلقى من محطات تبث برامجها عبر الأسلاك التي تنطلق من المحطة الرئيسية حيث توصل بأجهزة المشتركين تماماً كالاشتراك في خدمات الهاتف (التليفون) ويستطيع المرء الاشتراك في أكثر من قناة واحدة للإفادة من نوعيات البرامج المختلفة .

وهذا الأسلوب يمكن الإفادة منه لتوصيل البرامج التلفزيونية التي تتمشى مع قيم الإسلام وتعاليمه للمشاهدين ، وذلك بواسطة أجهزة تلفزيون لا تستطيع التقاط الصور الإشعاعية عن طريق السلك الهوائي (الإيريال) أي أنه مصمم فقط للتعامل مع المحطات التي تبث برامجها عن طريق الأسلاك ، وبذلك نضمن للمشاهدين الحماية من المحطات العدوة التي تبث برامجها الموجهة إلى الشعوب الإسلامية بقصد زعزعة عقيدتها ، والسيطرة الفكرية عليها ، خاصة وأننا أمام تطور هائل في مجال البث التلفزيوني بواسطة الأقمار الصناعية التي تستطيع الوصول إلى أجهزة المشاهدين الإشعاعية مباشرة ، في أي مكان من العالم ، دون الاستعانة بمحطات التقوية الأرضية نتيجة للتقدم المذهل في صناعة التلفزيون والهوائيات التي تمردت على هذه المحطات الأرضية واستغنت عن خدماتها .

وهذا النظام الجديد للتلفزيون يمكّن المحطات الأم الرئيسة أن تختار المناسب المفيد من البرامج العالمية التي لا تتنافى مع عقائدنا وقيمنا ، وذلك عن طريق المحافل العلمية الجادة التي يمكن استقبال برامجها عن طريق الأقمار الصناعية مباشرة إلى المحطة الأم ، أو عن طريق الأشرطة التي تسجل عليها هذه البرامج .

ويتفوق التلفزيون السلكي على التلفزيون الإشعاعي بامتلاكه القدرة على تنويع الخدمات للمشاهدين ، وذلك بفضل اشتماله على مائة قناة إرسال تستطيع استغراق كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ويمكننا أن نختار لكل بيئة ما يناسبها من الخدمات .

ولا تقتصر خدمات التلفزيون السلكي وبرامجه بطبيعة الحال على الجانب السياسي [١] فهناك الخدمات الصحية والتربوية والتعليمية ، وما يخص الأطفال كلاً حسب عمره ابتداءً من سن ما قبل الحضانة وحتى دخولهم المدرسة ، وكذلك تعليم الكبار الذين لم تتح لهم متابعة العلم على مقاعد الدراسة ، وإعداد الخبراء والمتخصصين في شؤون الصناعة والزراعة ، مع تقديم خدمات كثيرة للفرد والأسرة ، كما أنه من الممكن تقديم خدمات طبية للأطباء والمرضين كما تخصص قنوات للتعليم المفتوح وغير ذلك من الخدمات ، وكذلك البرامج الترفيهية التي تتماشى مع تعاليم الدين وتهذيبه .

إن التلفزيون السلكي في ظلال إدارة إسلامية ، يجعل الفرصة مهيأة أمام المشاهد لاختيار البرامج التي تحقق رغباته وتوجهاته ، وتساعده على إشباع هواياته البناءة ،وتتيح له المجال للهو البريء الذي يكون منشطاً للهمة لامثبطاً لها ، بشرط ألا تستهلك المشاهدة وقت الأسرة المسلمة أو تمنعها من أداء الواجبات والأعمال إذ لابد من مراعاة أن من خصائص هذه الأمة التبكير في العمل لقول النبي الكريم ﷺ : « اللهم بارك لأمتي في بكورهم » [٢] وهذا

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإذاعي والتلفزيوني ص ١٧١ .

(٢) عن صخر بن وداعة الغامدي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار ، وكان صخر تاجراً فكان يبعث تجارته أول النهار ، فأثرى وكثر ماله ، رواه الترمذي وأبو داود والدارمي ،وقال الألباني في تعليقه على المشكاة رقم ٣٩٠٨ (٢ / ١١٤٤) : واسناده جيد .

وحديث « اللهم بارك لأمتي في بكورها » رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه عن

يستدعي ألا تطول فترات البث ولاتمتد ليلاً ، وأن تكون في أوقات لاتشغل الناس عن عباداتهم وأعمالهم فليس المهم مقدار الكم في البث التلفزيوني بل المهم هو نوعية البرامج ومدى تلاقيها مع تطلعات الفطر السليمة ، والإرادة الواعية ،وكما يقول المثل العامي : « كلمة نظيفة أحسن من جريدة وسخة » فإن قليل التلفزيون الخير أجدى وأنفع من كثيره إذا كان غثاً وضيع المحتوى ، سيئ القصد .

وينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن للتلفزيون استعمالات بناءة تخدم الإنسان وتحقق له كثيراً من فرص المعرفة ، وخير مثال على ذلك الدوائر التلفزيونية المغلقة التي تشكل أسلوباً جديداً في إدارة المنشآت ، وتوصيل المعلومات ، وهو ما يحدث فعلاً في كثير من المنشآت العامة العسكرية والمدنية من رصد ومراقبة ، وللدوائر التلفزيونية المغلقة [1] استعمالات كثيرة في الجامعات والمدارس والمستشفيات والمتاجر ، ومن المفيد حقاً أن نشير إلى إمكانية مراقبة حدود البلاد ورصد حركات العدو والمتسللين عن طريق استخدام هذا النظام ، وذلك عن طريق الكاميرات التي تبث في أماكن مموهة ترتبط بشبكة أو شبكات متعاونة تنتهي إلى غرفة المراقبة التي تتابع الصور ، ولا يمنع الليل من استمرار هذه المهمة بفضل الأشعة تحت الحمراء التي باستطاعتها المساندة عن طريق المواءمة بين هاتين الوسيلتين ، ولابد لنا بعد هذا من الإشارة إلى أن الدوائر التلفزيونية المغلقة هي إحدى الإنجازات التي تفرعت عن التلفزيون السلكي وتطبيقاته .

---

(١) انظر كتاب (التلفزيون وسيلة تعليمية) ص ٣٨ للدكتورة ماجي الحلواني ـ مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٥ .

رأي العلماء المسلمين في اقتناء التلفزيون

تقتضي منا عقيدتنا الإسلامية أن نرجع بأمورنا الدينية أو الدنيوية ذات البال إلى العلماء الأفاضل استرشاداً بآرائهم وسعيا لمعرفة وجه الحق والصواب في الأمور التي نعرضها عليهم ،وقد يكون ذلك بالمشافهة والمواجهة ، أو بالرجوع إلى مؤلفاتهم وفتاويهم التي تظل منارات يهتدي بها السارون ، ويجد فيها بغيتهم العاملون .

وبين يديَّ رأي للشيخ عبد الله علوان في شأن التلفزيون أنقله للقارئ الكريم من خلال كتابه القيم (تربية الأولاد في الإسلام) قال حفظه الله :

(مما لاشك فيه أن اختراع الوسائل الإعلامية من مذياع ، وتلفزيون ، وآلة تسجيل ... وغيرها تعد من أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل تستعمل للخير ، وتستعمل للشر ولا يختلف اثنان أن هذه الاختراعات المذكورة إن استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الإسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وبربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في جواز اقتنائها واستعمالها ، والاستفادة منها ، والاستماع إليها .. أما إذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف ، ونشر الميوعة والانحلال ، وتحويل الجيل الحاضر إلى طريق غير الإسلام .. فلا يشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، وإثم اقتنائها ، ووزر من يستمع إليها .

(ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا .. نجد أن أكثر هذه البرامج ترمي إلى هدر الشرف ، وتوجه نحو الخنا وَالزنى ،وتشجع على السفور والاختلاط والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية ، وقليل من برامجه ما يهدف إلى

العلم ويوجه إلى الخير .. وإذا كان الأمر كذلك فإن اقتناء التلفزيون ، والنظر إليه ، والاستماع إلى برامجه الحالية ، يعد من أكبر الحرام وأعظم الأثم .

وإليكم الدليل على ذلك :

أ ـ أجمع العلماء والأئمة المجتهدون في كل العصور على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة : حفظ الدين ، وحفظ العقل ، وحفظ النسب ، وحفظ النفس ، وحفظ المال ، وقالوا : إن كل ما جاء في الشريعة الإسلامية من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ترمي إلى حفظ هذه الكليات الخمس . وباعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية من أغان ماجنة ، وتمثيليات خليعة ، ودعايات مثيرة ، وأفلام فاسدة .. فإنه من المؤكد أن يحرم الشرع النظر إليها ، والاستماع لها لحفظ النسب والعرض ، وبالتالي أن يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع .

ب ـ روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ضرر ولا ضرار » وباعتبار أن التلفزيون يوجه في برامجه إلى الميوعة والانحلال ، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة ـ كما هو مشاهد ـ فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ، ويدخله بيته ، حفظاً على عقيدة الأسرة وأخلاقها وصحتها وقطعاً لدابر الأضرار التي تنجم عنه ،وتطبيقاً لحديث « لا ضرر ولا ضرار » .

ج ـ إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف ،والغناء الخليع ، والرقص المصحوب بالخلاعة والتكشف ، وباعتبار أن هذه الأمور محرمة فيتبين من أدلة ما ذكرنا أن اقتناء التلفزيون محرم لما يصحب البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى ، وغناء ماجن متميع ، ورقصات فاجرة داعرة ، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرماً كذلك لما لها

من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق)[١] .

وأضع بين يدي الأسرة المسلمة الفتوى التي سطرها الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله لما لها من قيمة بالغة ، وأهمية معتبرة في بيان وجه الحق في مسألة التلفزيون والفيديو وكافة الملاهي الأخرى التي تصرف الإنسان عن الطاعة ، وتغمسه في المعصية ولا تدعه حتى يصبح من جنود الشيطان ودعاته :

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، ج ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

التلفزيون وحكمه في الشريعة

بقلم / فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه . وبعد :

فقد كثر التساؤل عن حكم هذه الآلة المعروفة بالتلفزيون هل يجوز اتخاذها واستعمالها أم أن ذلك ممنوع شرعاً ،وقد تنوعت الأسئلة في ذلك إلا أنها ترجع إلى شيء واحد وهو أن هذه الآلة آلة تثقيف وتعليم تارة وآلة شر وبلاء تارة أخرى لما يعرض على شاشتها مما يضعه المخططون لبرامجه فأقول مستعيناً بالله معتمداً عليه :

لاشك أن هذه الآلة المعروفة بالتلفزيون التي انتشرت في كثير من البلاد واستعملها الكثيرون من الناس في بيوتهم وبين فتيانهم وفتياتهم حتى عمت الأندية والمجالس العامة ، وقبل أن نتكلم على حكمها ونبين مضارها ومفاسدها لابد من مقدمة قبل ذلك نبين فيها ما ينبغي للمسلم التنبه له من بيان حكم اللهو الممنوع ، وتقسيم القلوب وإشراب بعضها بالفتن ومحبتها لها وإنكار البعض لها واستنارتها بنور الإيمان .

المقدمة :

روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عقبة

ابن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رمية بقوس وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق » في هذا الحديث دليل على أن كل لهو يلهوه ابن آدم فهو باطل أي محرم ممنوع ما عدا هذه الثلاثة التي استثناها رسول الله ﷺ فإنها من الحق ووسيلة إليه .

قال الخطابي في معالم السنن قوله ليس من اللهو إلا ثلاث يريد ليس من اللهو المباح إلا ثلاثة ، وقد جاء معنى ذلك مفسراً في الحديث من رواية أخرى ، قلت وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخلال من جملة ماحرم منها ، لأن كل واحدة منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق أو ذريعة إليه ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح والشد على الأقدام ونحوها مما يرتاض به الإنسان فيتقوى بذلك بدنه ويتقوى به على مجالدة العدو ، فأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستجم به لدرك واجب فمحظور كله .

وقال الشوكاني في ما صدق عليه مسمى اللهو داخل في حيز البطلان إلا تلك الثلاثة الأمور فإنها وإن كانت في صورة اللهو فهي - طاعات مقربة إلى الله عز وجل مع الالتفات إلى ما يترتب على ذلك الفعل من النفع الديني .... إلخ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الكلام على حديث عقبة : كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الحديث : معناه الباطل ضد الحق فكل مالم يكن حقاً أو وسيلة إليه ولم يكن نافعاً فإنه باطل مشغل للوقت مفوت على الإنسان ما ينفعه في دينه ودنياه فيستحيل على الشرع إباحة مثل هذا .

فهذا كلام العلماء رحمهم الله في اللهو الباطل من أنه محرم في حين أنه مقصور على صاحبه ولم يكن بصورة عامة فاتنة للكثيرين من الناس في قعر

بيوتهم مما يعرض على شاشة التلفزيون من المناظر الفاتنة والحفلات الداعرة والمراقص الماجنة ، واختلاط الرجال بالنساء ومعانقة كل منهم الآخر بدون حياء ولا خجل ، وبانتشار فظيع في كل بيت وفي كل مكان ، وينظر إليه البطّالون فيفسد أخلاقهم ، ويقتل غيرتهم الدينية ومروءتهم العربية ، أين هذا من اللهو الباطل المقصور على صاحبه مما لم يكن بهذا الشكل ولا هذه الكيفية فالله المستعان .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً لايعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، وقلب أبيض فلا تكاد تضره فتنة مادامت السموات والأرض » قال ابن القيم فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً ، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينكس وهو معنى قوله كالكوز مجخياً أي منكساً فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين خطران متراميان به إلى الهلاك ، أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة والحق باطلاً والباطل حقاً . والثانية تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ وانقياده للهدى واتباعه له ، وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر مصباحه فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها فازداد نوره وإشراقه وقوته .

والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها وهي فتن الشهوات

وفتن الشبهات وفتن الغي والضلال وفتن المعاصي والبدع ، فتن الظلم والجهل فالأولى توجب فساد القصد والإرادة والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد . فالقلوب نوعان قلب إذا عرضت عليه الفتنة أشربها أحبها ومال إليها أيدها وقلب ينكرها ويبغضها ويحذر منها فذلك مثل ما يعرض على شاشة التلفزيون من الفتن المهلكة والمناظر الضارة والمراقص والحفلات والتمثيليات وغيرها قلب يألفها ويحبها ويدعو إليها فهذا القلب قد اسود وماتت غيرته واستحكم مرضه ، وقلب ينكرها وينفر منها ويحذر منها فذلك القلب الأبيض الذي أشرق بنور الإيمان وهو معنى ما تقدم في خبر حذيفة . وقال أيضاً : ومن حيل الشيطان ومكائده الكلام الباطل والآراء المتهافتة والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الأذهان ونحاتة الأفكار والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل والخطأ بالصواب وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات ورانت عليها غيوم الخيالات فمركبها القيل والقال والشك والتشكيك وكثرة الجدال فليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً وقالوا من عند أنفسهم ، فقالوا منكرا من القول وزوراً فهم في شكهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ماتلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال فهم إليه يتحاكمون وبه يتخاصمون فارقوا الدليل واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

ولا شك أن المؤيدين لهذه الآلة آلة التلفزيون من هذا القبيل قذف الشيطان بزبده في تلك القلوب المظلمة فرأوا أن التلفزيون أداة تعليم وتثقيف وبها تتسع مدارك الإنسان ويتسع أفقه وأن التلفزيون بمنزلة النافذة التي يطل معها الإنسان إلى العالم فيعرف ما كانوا عليه لما يعرض على شاشته مما يضعه مخططوا براجه ، هؤلاء وأمثالهم فارقوا الدليل واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من

قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، فلا عبرة بزخرف القول الباطل والخيالات الفارغة والتهافتات الساقطة فمن تأمل ما يعرض على شاشة التلفزيون من المضار وقتل الغيرة الدينية والميوعة والانحراف الغريب الذي طرأ على المسلمين في دينهم وعقيدتهم وتقاليدهم الحسنة ومروآتهم العربية لم يشك أن هذا من مكايد الشيطان وحيله ولم يتوقف في تحريمه والمنع منه ولا عبرة بمن استحسنه واستعمله في بيته واتبع هواه أعرض عن الحق وتولى عنه ذلك مبلغهم من العلم . فتجد الكثير من هؤلاء لا يرى من المصالح والمفاسد إلا ما عاد لمصلحة المال والبدن دون المصلحة الحقيقية وهي مصلحة الأسر وتربيتهم التربية الدينية النافعة .. وصلاح الدين يتبعه صلاح المال والبدن دون العكس والله أعلم .

تحريمه :

أسلفنا حديث عقبة الذي رواه أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم (كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ..) الحديث ، والباطل ضد الحق فكل ما ألهى عن أداء واجب ولم يكن ذريعة إلى حق فهو محرم كما تقدم في قول الإمام الخطابي والشوكاني وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم وقال ابن القيم رحمه الله إذا أشكل حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي ولا سيما إذا كان طريقاً مفضياً إلى ما يغضب الله ورسوله موصلاً إليه عن قرب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لايجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة ، وكل ما أفضى كثيره إلى حرام إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به فهو منهي عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يلهو به الباطلون من أنواع اللهو

وسائر ضروب اللعب مما لايستعان به على حق شرعي فكله حرام .

فاتضح من كلام هذين الإمامين أن الشيء إذا أشكل حكمه ينظر في مفسدته وثمرته وغايته فإن كانت مصلحته أرجح من مفسدته فالشرع لايحرمه بل تغتفر المفاسد الجزئية في جانب المصالح الكلية ، وإن رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية ، وإن اشتمل على مصالح جزئية فيستحيل على الشارع إباحته بل هو محرم قطعاً وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل وإن لم يحرم جنسه إذا رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية ، وإن اشتمل على مصالح جزئية فيستحيل على الشارع إباحته بل هو محرم قطعاً . وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل وإن لم يحرم جنسه إذا أدى إلى ترك واجب ، كالبيع والزراعة ونحوها فهذه وإن كانت أعمالاً مطلوبة ومرغباً فيها لكنها تكون محرمة إذا أفضت إلى ما يسخط الله ويغضبه كترك الصلاة في جماعة أو إلى أن يخرج وقتها وما لم يكن فيه مصلحة راجحة فهو أيضاً ممنوع لأنه يكون سبباً للشر والفساد ، فأين هذا من آلة التلفزيون ، مع قطع النظر عما يعرض على شاشته من الخلاعة والدعارة وتربية الأطفال على الرقص والمجون ، فإنه مشغل للوقت مذهب له بدون فائدة مؤد إلى ترك الصلاة في جماعة أو إلى خروج وقتها فهذا أولى بالتحريم .

مضار التلفزيون ومفاسده :

نشرت جريدة الشهاب البيروتية في عددها الثاني الصادر في ٢٧ / ١١ / ١٣٨٧ هـ مقالاً للأستاذ المحامي محمد علي ضناوي نقتطف منه ما يلي . قال :

الروح والمجتمع

الجسم والمال

التلفزيون مائدة للشيطان تعرض عليه المفاسد .

فالتلفزيون بما هو عليه الآن وفي أكثر برامجه شر ومائدة للشيطان يعرض عليها أنواعاً من المفاسد والمجون وتحريفات في القيم والأفكار والعادات وذلك بمختلف الوسائل الفنية : أغنية . صورة . تمثيلية . حفلة . دعاية . إلخ وأكثر الناس ، وخاصة الأخلاقيين والمحافظين والإسلاميين يعرفون ذلك ويدركون أنهم بشرائهم للجهاز يمكنون للانحلال والتميع في عائلاتهم ويعوّدون الأهل عليها ، ومع هذا فهم يشترونه وربما يستدينون أو يقطعون من عائداتهم لأجل الشيطان وجهازه التلفزيون .

ولا ريب أن التلفزيون ببرامجه الحالية عمل ويعمل على تخدير أعصاب الآباء إن لم نقل إنه جابهم في عقر ديارهم وانتزع منهم السلطة الأبوية وخاصة فيما يتعلق بالتوجيه .

فرب العائلة الأخلاقي أو المحافظ أو الإسلامي يتردد بادئ ذي بدء في شراء الجهاز وفي اقتنائه إلا أن ضغط الزوجة ومن ورائها ضغط الأولاد يدفعه إلى الشراء شريطة التقيد بمواعيد محددة لاستعماله موطناً نفسه عند اشترائه على استخدام نفوذه للحد من مفاسده وإغلاقه في اللحظات المناسبة والحاسمة ، بيد أنه بعد وقوعه في الفخ وبعد جلوسه مع زوجته وفتيانه وفتياته تضعف إرادته ثم تتراخى ثم تتخدر ونراه ونرى عائلته يتسابقون في النظر والاستماع وهم يتبعون الصور والحركات وينتقلون من برنامج إلى آخر وإذا سألته بعد حين عن توجيه الأولاد تأوه وأطلق زفرات حزن وتمتم لا حول ولا قوة إلا الله .

لقد أطلق أحد الأخصائيين الاجتماعيين في ألمانيا منذ سنوات عبارة تلخص بعمق مدى خطورة التلفزيون على النشء وعلى المجتمع وذلك بعد دراسة

مباشرة أجراها في مدارس ومؤسسات مختلفة فقال : اقتله قبل أن يقتلك . ولكن عندما يشتد التحذير يغدو القتل البطيء لذة محببة للنفوس المتخدرة ثم لو أراد مخططو البرامج المشرفون عليها أن تنتشر بين الناس عادة من العادات أو تتأصل فيهم فكرة من الأفكار في أعلى الدرجات أو أسلوب في الكلام والزينة في أدناها لوجدنا أن البرامج تلاحمت في جهد مشترك للوصول إلى الغاية المحددة سيئة كانت أو حسنة ، ودساً للسم في الدسم .

يعمل التلفزيون بين حين وآخر على تجميد غضب المعارضين للبرامج فينقل عبر محطاته وقنواته التي سبق لها أن نقلت السم الزعاف ومبيدات الأخلاق والقيم نماذج من البرامج الدينية والوطنية وربما الثقافية فيسكت الغضب عند المغضبين ويقولون عند هذا : له حسنات وله سيئات ، غير أن الكثيرين أو الأكثر يتعامون عن أضراره ومفاسده وذلك لانتشاره بين مختلف العائلات والطبقات واستعباده لقلوبهم فقد تعامى الناس عما فيه من الأضرار الاجتماعية والأخلاقية والدينية والصحية فهم يتثاقلون عن استماع ما يقوله الطب عن تأثير الأشعة النووية بأجسام الأطفال ، خاصة .. والكبار وإذا استمعوها تغافلوا عنها وربما لم يصدقوها لأن التلفزة قد استعبدتهم واستحوذت على قلوبهم وفتنتهم ببرامجها الخليعة الضارة ، كالتدخين يقول الطب والطبيب والناس بضرره ومع هذا فهم مدمنون على استعماله لايستطيعون الانفكاك عنه وهم يصطرخون فيه .

وقال الأستاذ الضناوي : ولقد قرأت أن العالم الشهير في التصوير الشعاعي الدكتور اميل كروب قد أكد بمرراة وهو يحتضر في أحد مستشفيات شيكاغو بأمريكا أن أجهزة التلفزيون في البيوت هي عبارة عن عدو لدود وأخطبوط سرطاني خطير يمتد إلى أجسام الأطفال ،وقد كان الدكتور نفسه أحد ضحايا السرطان الناتج عن إشعاعات التلفزيون وقد أجريت له قبل وفاته ٩٦ عملية

جراحية لاستئصال الدرنات السرطانية دون جدوى إذ أنه وصل إلى النهاية المؤلمة بعد أن استؤصل قسم كبير من وجهه وبترت ذراعه .

وأضاف الدكتور كروب قبل موته أن شركات التلفزيون تكذب وتخدع الناس عندما تزعم أن هناك حداً أدنى للطاقة الإشعاعية لا تضر ولا تزود بها أجهزتها ، فالعلم يقول بعد التجارب العديدة أن أية كمية من الإشعاع مضرة بالجسم على درجات متفاوتة وذلك حسب نسبة التعرض والجلوس أمام التلفزيون كما فند الطبيب المحتضر بالسرطان نفسه مزاعم الشركة التي تدعي أنها توجه الإشعاع في أجهزتها نحو الأرض لا إلى المشاهد الذي بالقرب من جهاز التلفزيون واستغرب الدكتور كروب كيف لا يهتم هؤلاء الناس الذين يسكنون في الطوابق السفلى علماً بأن الإشعاعات الضوئية والذرية والنووية المستعملة في التصوير الشعاعي والتلفزيوني تخترق جميع الحواجز بما فيها الجدران السميكة .

وأيد كل من الدكتور هاسل والدكتور لامب أقوال الدكتور كروب الذي يعاني آلام الاحتضار ولقد طالبت مجلة الاقتصاد التي نقلت هذه المعلومات والتي تصدر في بيروت في نهاية مقترحاتها أن على كل أب وكل أم أن يتناولوا مطرقة ضخمة ويحطموا بها كل مالديهم من أجهزة تلفزيونية .

(العدد ٢٣ كانون الأول عام ١٩٦٧م)

ولا شك أنها آلة بلاء وشر داعية إلى كل رذيلة ومجون ، داعية إلى كل فساد وخراب للعائلات ، مشغلة للوقت مذهبة له بغير فائدة ، بل ربما أدت إلى ترك الواجبات من الصلاة وقيام بطاعة هذا لو سلمت من الخلاعة والدعارة ، وكيف وقد يُعرض على شاشته مناظر داعرة لنساء خليعات ورجال أراذل فيتحدثون بكلمات عشق ووصال وصد وهجران ، مما يدعو إلى الفجور وارتكاب الجريمة بمشاهدة الخلق الكثير من الرجال والنساء ، فتجد الرجل

عندما يرى هذه الصورة أمامه ويسمع ما يقع بينهما وبجانب الرجل أو الرجال امرأة أو نساء أجنبيات ، وهم ينظرون ويسمعون ما عرض على شاشة التلفزيون من غرام وحب ومعانقة .. أليس هذا بأعظم دعوة إلى الفساد وارتكاب الفاحشة وقد وجد بمجتمعنا اليوم من يكتب ويدعو إلى التلفزيون أنه مصلحة وأداة خير للتثقيف والتعليم .

فقل للغيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً أطفأ الله نورها بأهوائها لاتستفيق ولا تعي

إنها لغفلة لم ينتبه الكثير من الناس إلى ما وراء ذلك من الفسق وفساد البيوتات وخراب الأسر واختلاط الحابل وبالنابل .

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوا
فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وهاهو التلفزيون الممنوع بالأمس أصبح الآن بيننا في حكم المباح إن لم يكن في حكم المستحب أو الواجب وكل ما نقوله أو نعتقده في الماضي كنا فيه اليوم على غير هدى .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

كفى حزنا للدين أن حماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر ؟
متى يسلم الإسلام مما أصابه إذا كان من يرجى يخاف ويحذر

أيها المسلم قد تكانفتنا الشرور من كل حدب وصوب ، ونرغب إلى الله الخروج من هذه المآزق ، ولا شك أن اجتماع الجنسين عند هذه الآلة وما يرونه على الشاشة من الخلاعة العظيمة والدعارة الفظيعة ، لا شك أن القلوب مع هذا ترقص طرباً وتذهب كل مذهب في هذه المناظر الهائلة ، ولا يعلم إلا عالم الغيب ما تعقبه هذه المناظر الهائلة والمسرحيات الطبيعية وغير الطبيعية ، فإن اختلاط الجنسين وقتئذٍ بالغ منتهاه ، وإذا كانت المقدمات تدل على

النتائج فإن هذه المقدمات لا تنتج في الحال ولا في المآل إلا البلاء والشقاء ، وهل ينتظر من النساء قطرة من الحياء ، وهن كل ليلة ينسللن من كل حدب إلى حيث تمثل روايات الغرام المهيجة على شاشة الآلة المسماة بالتلفزيون ، حيث ترى المرأة بعينها كيف يعمل العاشق مع معشوقته وما يقع بينهما من الآثام والكلمات الغرامية ، وتبادل كلمات التلاقي والشوق المبرح ، وما إلى ذلك مما لاأعرفه أنا . ترى المرأة هذا وتسمعه بأذنها فتقوم من هذا المجلس في حماس عظيم ، وإلهاب هائل ، فتكون في مثل هذا المنظر الذي تراه ألذَّ منظر في الوجود ولو أنها لا ترى هذا إلا مرةواحدة في حياتها لكفى في فسادها أبد الدهر ، ولكنها تراه كل ليلة يتكرر على سمعها وبصرها وهي امرأة ضعيفة في عقلها ودينها وفي تفكيرها ، ولا يهمها في الوجود شيء أكثر من إرضاء شهوتها البهيمية ، ليس ذلك فقط الذي تراه المرأة وترى مع ذلك نساء برعن في الرقص بنوعه الخليع ، بلباسهن الإفرنجي الخليع الذي تكون فيه المرأة شبه عارية وبعبارة أخرى عارية البدن كله إلا مكاناً مخصوصاً منه ، ورؤية المرأة وهي هكذا شديدة على النفس جداً خصوصاً إذا انضم إليه ما تفعله من حركات في البطن والخصر وما إلى ذلك من حركات تطرف الناظرين من الرجال ، وقد اجنبوا وهو ينظرون ، كما يكون ذلك منهم حينما يرون المرأة والرجل يرقصان ذلك الرقص الأفرنجي الذي يتخاصران فيه ويتلاصقان ، وهو والحق يقال منظر يثير الجماد ويحرك من لايتحرك ، يرى النساء هذا المنظر ويتكرر نظرهن له فما قولك في أمرأة هذه حالتها أيبقى فيها شيء من الحياء والعفة ، ولماذا لا تكون هي كهذه التي تخاصر هذا وتتمتع بمثل من تمتع بالرقص معه متعة فوق متعها بآلاف المرات والنفوس مولعة بالتقليد خصوصاً نفوس النساء .

أيها المسلمون مالي أراكم تتحمسون وتقومون من أجل قليل من حطام الدنيا أو شبر من الأرض يتعدى عليه من بعضكم لبعض ، أو من دولة مجاورة

فتزأر الحكومة من أجله وتقوم وتقعد وتجند كل إمكانياتها حماية لهذا الشبر ، ولا أراكم تتحمسون لدينكم ولا تغارون من أجل الشرف والعرض الذي ديست كرامته فأي الشيئين أهم وأقدس ، أوامر دينكم والتمسك بتعاليم إسلامكم ، أم حطام يسير من الدنيا أو شبر من أرض أحدكم تعدى عليه الآخر ؟ نرى منكم في الهين البسيط الحماس والتفاني ، ولا نرى منكم نحو الأهم الخطير إلا التهاون والتواني ، تتقون وتخشون عدواً من العباد ، ولا تخشون عدواً في أنفسكم اسمه الفساد ، يقتل النفوس ويستحيي الأجساد ، ألا ومنه التلفزيون المعروض على شاشته حفلة خليعة ، ومرقص ، وتمثيلية ، مسرح ، أغنية غرام التي هي رقبة زنا ، وقد شاهد الناس أنه ما عانى الغناء صبي إلا وفسد ولا امرأة إلا وبغت ولا شاب إلا وإلا ...

ألا فانتبهوا أيها المسلمون وناصحوا بعضكم بعضاً ممن امتهن أوامر الإسلام ، ونبهوا من خرج على الآداب والاحتشام ، وحاربوا هذا الداء الوبيل الذي يفتك ويهتك بالأعراض والأجسام ، فلا تعتبر نفوس ألفت الفاسد ، فصارت عميا لا ترى للحق نوراً ، ولا تعرف للفضيلة جمالاً ، ولا يظهر أمامها الحق جلياً ساطعاً نوره فتراه باطلاً مظلماً ، وتتجلى بين يديها الفضائل فتراها رذائل ، فهذه النفوس الدنيئة القذرة هي بالحشرات أشبه ، وبالديدان أقرب ، يتعذر إقناعها ويستعصي على الدعاة الناصحين علاجها، فمن العناء معالجة الهرم ، ومن التعذيب تهذيب الذئب ، لأن أمثال هؤلاء لايميلون إلى الرشد ولا إلى طلب الحقائق والفضائل ، وقد تستحسن بعض العقول استعمال هذه الآلة المسماة بالتلفزيون ظناً منها أنها أداة تثقيف وتعليم ، وأداة لنشر الفضائل ، ولم تنتبه العقول لخطورتها وما يعرض على شاشتها من الخلاعة والدعارة والمناظر الفاتنة والحفلات المفسدة للبيوتات ، والمخربة للأسر ، ولم تعرف قواعد الشريعة الصحيحة ، بل كلما تجلى أمامها من زيف مآله إلى الظلمة ، وكلمات معسولة بها السم الزعاف تلقته بالقبول والاستسلام ، ونسيت ما يعرض على

تلفزيونات البلاد الأخرى من الشر والبلاء والفتنة . وأضف إلى ذلك ضياع الوقت الذي هو من ذهب .

أيها المسلمون لا تعتبروا عقولكم وما تستحسن في هذا السبيل ، اعتبروا وقيسوا الأشباه بالنظائر وتريثوا في أموركم حتى تروا الحق واضحاً جلياً فإن العقول البشرية لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية فكيف تستقل بمعرفة المصالح الأخروية ، ولا تتمكن العقول وحدها إلى تمييز الخير من الشر ولا إلى معرفة المعروف من المنكر ، وليس في إمكانها أن تقف على حقائق الأمور ، ولا أن تدير أمورها وحكمها ، على نظام تام محكم مستقيم لا خلل فيه ولا جور ، فإنها وإن وصلت إلى ما وصلت إليه من المعرفة والإدراك فقد تميل إلى الباطل عن الحق ، وتنحرف إلى الفساد عن الصالح ، ويخفى عليها وجه المصلحة ولا تصل إلى الاهتداء لمغذى الأعمال ، وكثيراً ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتظنه خيراً وهو شر محض وبلاء مستطير فتقع فيه ، وكثيراً ما ظهر لها الخير فتظنه شراً لعجزها عن إدراك الحقائق فتقع فيه ، ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهت فتوى ابن حميد رحمه الله .

أثناء الطباعة

نشرت صحيفة أخبار اليوم القاهرية يوم ١٤ / ٦ / ١٩٨٦ خبراً يبين أن عدد أجهزة الفيديو في مصر قد بلغت ٥ خمسة ملايين جهاز ، وما على القارئ الكريم إلاّ أن يعيد حساب الأموال الموجهة إلى هذا الغرض في الوقت الذي تحتاج فيه الخزينة إلى آلاف المليارات من الدولارات للقيام بما عليها من واجبات حفظ التوازن الاجتماعي وتلبية مطالب الرعية التي لا تكل ولا تمل ، وإن لم نكف عما نحن فيه من إضاعة الأموال في غير ما ينبغي أن توجه له فلا نلومنَّ إلاَّ أنفسنا : ﴿ **إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ويجب ألاّ يغيب عن أذهاننا مدى الإفساد الذي تصنعه هذه الملايين الخمسة لشعب تتطلع إليه الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، وقى الله مصر وسائر بلاد المسلمين مما يحاك لهم تحت الظلام وما يراد لهم من الشر والفساد وسوء العاقبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ كتب الحديث النبوي الشريف .

٣ ـ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية : للدكتور محي الدين عبد الحليم .

٤ ـ الإعلام في صدر الإسلام : الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ دار الفكر العربي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨ .

٥ ـ الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها : الدكتور محمد ابراهيم نصر ـ الناشر دار اللواء الرياض الطبعة الثانية .

٦ ـ الإعلام له تاريخه ومذاهبة : الدكتور عبد اللطيف حمزة .

٧ ـ تاريخ الدعوة الإسماعيلية : الدكتور مصطفى غالب ـ ط ٣ ـ دار الأندلس .

٨ ـ مدخل في الرأي العام والإعلام والدعاية : الدكتور رفيق السكري منشورات جروس برس ـ طرابلس لبنان ط ١ ١٩٨٤ .

٩ ـ الرأي العام والمخطط الصهيوني : فتحي الأبياري ـ دار المعرفة الجامعية ـ اسكندرية بدون تاريخ .

١٠ ـ في ظلال القرآن : الشهيد سيد قطب ـ دار الشروق الطبعة الثامنة ١٩٧٩ م .

١١ ـ الكامل : لابن الأثير .

١٢ ـ الصحافة المهاجرة : حلمي محمد القاعود ـ دار الاعتصام القاهرة ـ ١٩٨٣ .

١٣ ـ الناس على دين إذاعاتهم : إيهاب الأزهري ـ دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

١٤ ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي الدكتور عبد الرحمن العيسوي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ .

١٥ ـ الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي : الدكتور محي الدين عبد الحليم ـ دار الفكر العربي القاهرة ـ ١٩٨٤ .

١٦ ـ أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون : تأليف جيري ماندر ـ ترجمة الأستاذ سهيل منيمنة .

١٧ ـ أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام : منى حداد يكن ، مؤسسة الرسالة .

١٨ ـ مدخل إلى الإذاعات الموجهة : الدكتورة ماجي حسين الحلواني ـ دار الفكر العربي ط ١ ١٩٨٣ .

١٩ ـ الإعلام الإذاعي والتلفزيوني : الدكتور إبراهيم إمام ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٩ .

٢٠ ـ ماذا يريد التربويون من الإعلاميين : إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٢١ ـ المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري : تأليف تشارلز.ر.رايت ترجمة محمد فتحي الهيئة المصرية ١٩٨٣ .

٢٢ ـ الفيديو والمجتمع الإسلامي : لمؤلفيه : سيد الشيمي ، الأمير أباظة ـ

١٩٨٤ مطبعة مؤسسة يوم المستشفيات .

٢٣ ـ القمر الصناعي العربي والتعليم المفتوح : الدكتورة ليلى العقاد ـ دار الفكر العربي القاهرة ـ ١٩٨٢ .

٢٤ ـ الإنسان حيوان تلفزيوني : محسن محمد ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٨٤ .

٢٥ ـ الدعاية والدعاية السياسية : تأليف غي درورندان ـ ترجمة الدكتور رالف رزق الله ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

٢٦ ـ دور الشباب في حمل راية الإسلام : الشيخ عبد الله ناصح علوان ـ نشر دار السلام الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

٢٧ ـ تربية الأولاد في الإسلام : الشيخ عبد الله ناصح علوان ـ نشر دار السلام .

٢٨ ـ سينما الأطفال : أحمد فؤاد درويش ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ .

٢٩ ـ التلفزيون وسيلة تعليمية : الدكتورة ماجي الحلواني ـ مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٥ .

الصحف والمجلات :

١ ـ الأهرام القاهرية .

٢ ـ مجلة العربي الكويتية .

٣ ـ الأخبار القاهرية .

٤ ـ أخبار اليوم القاهرية .

٥ ـ مجلة الثقافات ـ العدد الثاني ١٩٨٣ ـ اليونسكو ـ الطبعة العربية .

٦ ـ مجلة الرأي ـ كلية الآداب جامعة عين شمس ـ ١٩٨٦ .

٧ ـ صحيفة النور القاهرية .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ١٩٨٦/٧٢٢٨

هذا الكتاب

دراسة مستفيضة لآثار التلفزيون والفيديو، على الأسرة المسلمة خاصة والأسرة الإنسانية عامة؛ فهل ينبغي وجود هذين الجهازين الخطرين في البيت المسلم، ما داما غير خاضعين للقيم الإسلامية التي جاءت لإسعاد البشرية أم لا؟ وما هي الوسائل المثلى للإفادة من هذين المخترعين الفائقي التأثير؟

إن آثار هذين الجهازين تتسلل برفق وتؤدة لتعمل على تحطيم الأسرة ونسفها من الداخل.

وهذا الكتاب يضع أمامك خيوط المؤامرة الإعلامية التي تحيكها أيدٍ أثيمة تتمثل في حفنة من المستغلين، والطغاة والمستبدين، وذوي الأفكار الشاذة الهدامة، والأغبياء المستسلمين لهذه اللعبة الخبيثة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ٣٣٧٧٥١

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧